التوصل

إلى حقيقة التوسل

المشروع والممنوع

الطبعة الثالثة

مُصحَّحة ومَزيدة ومنقّحة

بقلم

محمد نسيب الرفاعي

مؤسس الدعوة السلفية وخادمها

بحلب

الطبعة الأولى
١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م
الطبعة الثانية
١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م
الطبعة الثالثة
١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه إلى ما شاء الله

فهذه بحمد الله ... هي الطبعة الثالثة ، من كتابي : / التوصل إلى حقيقة التوسل / أزجي به مرةً ثالثة ، إلى المكتبة الإسلامية، ثكنةِ الفكر الإسلامي الحي ، ومعسكرِ الكلمة المسلمة المجاهد ؛ لتدفع به جندياً جديداً .. في جملة أفواج الكتب الإسلامية المناضلة ، المتلاحقة إلى حلبة الصراع مع الباطل ، إن الباطل كان زهوقاً .

ولئن كان الجنديُّ البشريُّ المسلم ... قد يسقط شهيداً كريماً ، في ميادين شرف الدفاع عن الاسلام... فإن الجندي الكتاب المسلم.. سيظل مجاهداً دائماً في ميدان الصراع ، وسيبقى سيفاً ماضياً من سيوف الإسلام ، ويظل صامداً في خلوده لأنه أقوى من الموت بل وسيموت الموت ، قبل أن ينالَ الكتابُ المسلم من الموت مقصداً ، بل وسينتقل الكتاب ، هذا الكائن الحي المسلم المناضل من حياة الجهاد في الدنيا ... إلى نقطة الثقل في ميزان صاحبه ، في الآخرة ... يسجل في الميزان العدل ، أرقاماً تعجز الجبال الشم عن تسجيل مثل وزنها وستظل كلمات وحروف الكتاب المسلم تتلألأ بالنور الصادع الساطع في الميزان، حتى يشفع ويقول : يا رب لا أدخل الجنة حتى يدخل صاحبي قبلي إليها...أجل لن يطولَ الموتُ الكتابَ المسلمَ المجاهد ... لأنه يحمل فكرة الرسالة الخالدة التي لا تموت.. فهو حي بها ما دامت ، وهي محفوظة بحفظ الله لكتابه الجليل ، لأنها دفقة من دفقات نوره التي لا تخبو / إنـّا نحن نزلنا الذكر وإنـّا له لحافظون / ولئن كنت أقدم كتبي مع من يقدمون كتبهم جنوداً إلى المكتبة الإسلامية في الدنيا لتزجي بها سيوفاً في حلبة صراع الحق مع الباطل حتى تزهقه ... فأملنا جميعاً نحن حملةَ الحرف المسلم ... أن تكون هذه الحروف ، شفيعةً لنا... لا تدخل الجنة حتى تسوقنا إليها ونسمع النداء من العلاء ... يملأ القلوب والأفئدة : طبتم فادخلوها خالدين .

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه .

أما بعد :

فأحمد الله تعالى على ما قدّره من رواج الطبعة الأولى من هـــذا الكتاب : / التوصل إلى حقيقة التوسل / داعياً إليه وهو أكرم مسؤول أن يقدّر النفع به ،وأن يكون ذا أثر جليل في العقول والأفكار ...وبخاصة في الذين كانوا يجيزون التوسل إلى الله تعالى بذوات المخلوقين.هذا التوسل الممنوع الذي من أجل منعِه وتحريمِه، أرسل الله الأنبياء وبعث المرسلين ليبلّغوا الناس أنه تعالى : لا يقبل توسلاً إليه ولا قربى ،إلاّ بما شرع جل وعلا ، لا بما يسوّل الشيطان لهم ويبتدعه من التوسل الممنوع الذي لا يزداد فاعلُه من الله إلاّ بعداً. ولعلّ هؤلاء...يجدون في هذا الكتاب من الأدلة القاطعة ، والبراهين الساطعة ، المستندة إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ما يقنعهم بضرورة العودة إلى ما يرضيه تعالى،من التوسل والقربى ... لأنه أوضح حجةً، وأقوم محجةً .وهذه هي :/ الطبعة الثانية /من هذا الكتاب أضعها بين أيدي حضرات القراء الأعزاء من إخواني المسلمين، مصححةً ومزيدةً ومنقحةً ، بعد أن نفدت نسخ الطبعة الأولى نفاداً تاماً ... واشتد الطلب عليها ... فأعدنا طبعها لتظل المنفعة بها جارية ، والفائدة عميمة ، والأثر بالغاً وعميقاً، ولعل الله يهدي بها القلوب ويسلكها صراطاً مستقيماً ويجعلنا ممن عناهم الرسول ﷺ بقوله :[لأن يهدي الله بك رجلا واحداً خير لك من حمر النّعَم] وقوله ﷺ [ومن سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة دون أن ينقص من أجورهم شيء] وبقوله : [إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث:صدقة جارية ، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له.]وصلى الله على محمد وعلى آل محمد وصحبه أجمعين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة فضيلة الشيخ اسماعيل الأنصاري

البحاثة في علم الحديث بالرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والأرشاد بالرياض

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فإن مما وقع فيه الاشتباه والإجمال من الألفاظ لفظ « التوسل » فإن هذا اللفظ ، يطلق شرعاً على التقرب إلى الله تعالى بما شرعه من الإيمان به وتوحيده ، وتصديق رسله . وعلى التوسل إليه بما عمله المتوسّل من الأعمال الصالحة التي يحبها الله ويرضاها . وعلى التوسل إليه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى وعلى التوسل إلى الله بدعاء المتوسَّل به للمتوسِّل وشفاعته .

هذا ما يعنيه لفظ التوسل شرعاً .

وفي عرف من خفي عليهم ذلك من المتأخرين ، وهم الأكثرون ! صار لفظ التوسل يطلق على غير ذلك ، كقول الداعي في دعائه : « اللهم إني أسألك أو

أتوسل إليك أو أتوجه إليك بفلان ، أو أسألك بجاه فلانٍ أو بحرمته أو بحقه دون أن يكون لذلك الشخص المتوسَّل به أي صلة بموضوع المتوسَّل بدعائه له ولا بغير ذلـك ... كما يطلق التوسل عند أولئك المتأخرين على الإقسام على الله بالرجل الصالح أو بمن يعتقد فيه الصلاح .

لهذا اعتنى بموضوع التوسل من عرفوا مـــدى خطورة الوضع ، فأوضحوا الحقيقة ، وفرقوا بين ما دل الكتاب والسنة عليه من التوسل ، وما تكلم به الصحابة وفعلوه ، وبين ما أحدثه المحدِثون في هذا اللفظ ومعناه .

غير أن الموضوع كان متفرقاً في المراجع لم يفرده أحد بكتاب فيما أعلم... قبل شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الذي صنَّف فيه كتابه المشهور « القاعدة الجليلة في التوسل والوسيلة » وبين فيه بكل دقة معنى التوسل المعهود عند الصحابة .

وبحث في تلك الألفاظ التي أحدثها أولئك المتأخرون في أدعيتهم ، وادعوا أنها من قبيل التوسل المشروع وأجاب عما تعلقوا به واعتبروه أدلةً لهم .

ثم بعد شيخ الإسلام ابن تيمية ، لم أطلع على من اعتنى بجمع كلّ ما يتعلق بالموضوع في كتاب خاص كما اعتنى به في عصرنا هذا رئيس جمعية الدعوة السلفية إلى الصراط المستقيم بحلب الشيخ محمد نسيب الرفاعي فقد أفرده بكتاب سماه (التوصل إلى حقيقة التوسل) بسط فيه أدلة أنواع التوسل المشروع وبين وجه الاستدلال بكل دليل منها. ثم تطرق للألفاظ المتقدمة التي اشتهر عند المتأخرين إطلاق لفظ «التوسل» عليها دون أي صلة للمتوسَّل به بموضوع المتوسَّل، وأدى لكل لفظ ما يتطلبه من البحث معتمداً على أقوال أئمة العلم كأبي حنيفة وغيره في تلك الألفاظ . ثم تعرض لمـــا استدل به أولئك المتأخرون من كتاب الله ، وأحاديث رسول الله ﷺ فأجاب عنه بأن ما في الكتاب والأحاديث الصحيحة لا يدل على مقصودهم، وأوضح ذلك غاية الإيضاح وناقش ما لم يصح من الأحاديث

التي تتعلق بها سنداً ومتناً، وسلك في الإقسام على الله ببعض الصالحين، والسؤال بذواتهم : مسلك شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله في الإقسام على الله بالنبي ﷺ والسؤال بذاته : « هذا هو الذي لم تكن الصحابة يفعلونه في الاستسقاء ونحوه، لا في حياة النبي ﷺ ولا بعد مماته ، لا عند قبره ولا غير قبره . ولا يعرف هذا في شيء من الأدعية المشهورة بينهم ، وإنما ينقل شيء من ذلك في أحاديث ضعيفة مرفوعة أو موقوفة أو عمن ليس قوله بحجة » وقوله رحمه الله في قول السائل : « اسألك بجاه فلان أو بحقه فإن هذا مما نقل عن بعض المتأخرين فعله ولم يكن فيه سنة عن النبي ﷺ بل السنة تدل على النهي عنه كما نقل ذلك عن أبي حنيفة وأبي يوسف وغيرهما وصرح في موضع آخر بأن التوسل بذوات الصالحين ليس سبباً يقتضي إجابة الدعاء .

هذا ونسأل الله تعالى أن يثيب الشيخ محمد نسيب الرفاعي على ما بذله من جهود في سبيل إيضاح الحق في الموضوع وأن يحفظه ويرعاه .

الرياض ٢٧ / ١٠ / ١٣٩٥

اسماعيل الأنصاري

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة ادارة جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية

أحمد الله وأثني عليه وأستغفره وأتوب إليه لا إله إلاّ هو ولا ربّ لنا سواه والصلاة والسلام على نبيه ورسوله محمد وعلى آله وصحبه .

وبعد : فلقد قرأت كتاب (التوصل إلى حقيقة التوسل) للشيخ محمد نسيب الرفاعي جزاه الله خيراً فألفيته كتاباً نفيساً في بابه كافيـاً وافياً بما قصده قد عالج مسألة التوسل إلى الله تعالى بذوات المخلوقين وأوضح التحريم لهـا ، وأتى بما يقنع الخصم من أدلة المنع ، وأبطل أدلة الاثبات بأوفى بيان كما أتى بأدلة التوسل المشروع بأنواعه بما لم يسبق إليه فيما أعرف ... فالكتاب يصلح مرجعاً كافياً في باب التوسل بالذوات والأموات والتعلق عليهم دون الله لاعتقاد صلاحهم وفضلهم وقدرتهم على نفع من تعلـّق عليهم وتسمية ذلك توسلاً وتشفعاً كما عليه المشركون والقبوريون قديماً وحديثاً .

ويستحق الكتاب أن يطبـع منه كميات ... وينشر في البلاد البعيدة التي تمكنت فيها رواسب الشرك الصريح ، وصعب علاجها وانقاذها رجاءان يحصل له ثمرة يانعة في انقاذ فئام من الأمم ... مغمورين بالجهل والتقليد الأعمى للآباء والأجداد ... وصلى الله على محمد وآله وصحبه .

جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية

بالرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الدكتور ابراهيم جعفر سقا
المدرس بكلية الدعوة وأصول الدين

الحمد لله رب كل شيء ومليكه وخالقه ، لا نعبد إلا إيّاه ولا نتوسل إليه إلاّ بما يحبه ويرضاه والصلاة والسلام على محمد وصحبه ومن والاه ، وبعد :

فهذا الكتاب - التوصّل إلى حقيقة التوسّل - للأخ المفضال، والعالم السلفي العامل بعلمه والداعية الشهم الذي أوذي في الله فما وهن أو جبن .. وجمع له الناس فازداد إيماناً وقال : حسبنا الله ونعم الوكيل . أقول : هذا الكتاب كان استجابة للحاجة الماسّة إلى ردّ المسلمين إلى إيمانهم الصحيح بهذا الدين الذي يحملون اسمه ويجهلون في الغالب كنهه وحقيقته .

فلقد أحسّ المؤلف حفظه الله، في حسرة بالغة وألم شديد، أن علّة العلل في العالم الإسلامي ، هجر كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ والإرتياح إلى البدع الضالّة ؛ والعقائد الزائغة ، والأوضاع الفاسدة .. فقام رعاه الله بمطالبة الإعتماد على الكتاب والسنة حتى يعبد الله كما يحب ويرضى وحتى تغدو هذه الأمّة المستسلمة لأهوائها ، المتخاذلة أمام أعداء دينها، أمةً فتية ملتهبة حماسة وغيرة، وحنقاً على الشرك وأهله ، وعلى الجاهلية وعاداتها ونظمها وتقاليدها .

- هذا الكتاب - باعتماده على القرآن والسنّة يحدث صراعاً بين الإيمان والنفاق، واليقين والشك، والحق والباطل. وبعدها يقوم في كل ناحية بعون الله. « فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ، وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلـهاً لقد قلنا إذاً شططا » .

ولعلّه مما يلفت النظر في هذا الكتاب أنه يثير في نفس قارئه المعاني الإيمانية بالأدلة الشرعية ، والحقائق الدينية ، والوقائع القرآنية ، والأمثلة المتضافرة بلا تمحّل ولا اعتساف في مقدمة أو نتيجة .. إنه يبدأ برسم صورة سريعة للتوسل وأقسامه من حيث المشروع والممنوع وأنواع كل منها .. ثم يعرض الصورة الإيمانية

للتوسل المشروع بشكل يُحسّ القارىء فيه ، بمدى الحاجة الملحّة إلى الهدْي الإلـهي الذي انبثق ليخرج الناس من الظلمات إلى النور .

والخصيصة البارزة في هذا الكتاب ، دورانه مع الحق حيثما دار، وانتصاره للنواحي الشرعية ، وإهداره للجوانب الشخصية ، وهو لهذا لا يعدّ نموذجاً للبحث في التوسل فحسب.. بل نموذجاً كذلك في أبحاث الدين عامة .

ولعلّ القارىء لم يكن ينتظر من رجلٍ خدم الدعوة السلفية وأسسها في بلده أن يتحدث ويؤلف في التوسل وحده فلا ينسى الإلحاح على الجوانب الأخرى من العقيدة ، مع الإعتصام بحبل الله والثقة به مهما حزب الأمر وادلهمّ الخطب . وأخيراً : فإنّ السمة الظاهرة في هذا الكتاب كله .. هي معرفة كيف يكون الأمر لو أدرك المسلمون العقيدة الصحيحة بحيث خالط الإيمـان بالله ورسوله شغاف قلوبهم ، واستعذبوا التضحية في سبيل الله وجعلوا الحياة في كل جوانبها لا تقوم إلا عليه ؟.

على أنّ هذا الكتاب في غير حاجـة حقاً لتقدمة مقدم ، فقد تقبّـله القراء بقبول حسن وحفّوه بحفاوة لم يظفر به كتاب ظهر من أمثاله في هذه الأيام..وقد كان للإخلاص العميق ، وابتغاء وجه الله ، الأثر الكبير في سرّ نجاح الكتاب وشهرته . ولا أبالغ إنْ قلت : إن قراءة هذا الكتاب يكاد يكون واجباً على كل مسلم يريد أن يعرف التوسل الذي يحبّـه الله ويرضاه .

وختاماً : أسأل الله تعالى أن يجعل لنصائح صاحب الفضيلة آذاناً صاغية ، وقلوباً واعية، وأن يجزيه عن الإسلام وأمته خير الجزاء،ويجعله من أولياء دينه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

« إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد »

د. ابراهيم جعفر سقّـا
المدرّس بكلية الدعوة وأصول الدين
في الجامعة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم



ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ
أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَاءِ

الإهداء

إلى كلّ طالب للحقّ بدليله

متجرّدًا ....

عن الهوى

والتعصّب

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمدَ لله نحمَدُه ونستعينه ونستغفرُه ، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئاتِ أعمالِنا ، من يهدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له ، ومن يُضلل فلا هاديَ له .

وأشهدُ أن لا إله إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ لهُ ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه .

(يا أيُّها الذينَ آمنُوا اتَّقُوا اللهَ حقَّ تُقاتِهِ ولا تموتُنَّ إلاَّ وأنتمْ مُسلِمُونَ[1])

(يا أيُّها الناسُ اتَّقُوا رَبَّكم الذي خَلقَكم من نَفْسٍ واحدَةٍ وخَلقَ مِنْها زَوْجَها وبثَّ مِنْهُما رِجَالاً كثيراً ونِساءً واتَّقُوا اللهَ الذي تَساءَلُونَ بِهِ والأَرْحامَ إنَّ اللهَ كانَ عَليْكُمْ رَقيباً)[2]

(يا أيُّها الذينَ آمنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقولُوا قَوْلاً سَديداً يُصْلِحْ لكمْ أعمالَكمْ ويَغفِرْ لَكُمْ ذُنوبَكمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فازَ فَوْزاً عَظِيما)[3] .

أمَّا بعدُ : فإنَّ خيرَ الكلامِ كلامُ الله ، وخيرَ الهدْي هَدْيُ محمَّد ﷺ — وشرَّ الأمورِ محدثاتُها ، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ ، وكلَّ ضلالةٍ في النار .(٤)

★

(١) آل عمران : ١٠٢ .

(٢) النساء : ١ ، ٢ .

(٣) الاحزاب : ٧٠ .

(٤) أي صاحب الضلالة في النار

أخي القارئَ المسلم الكريم :

أضع بين يديك كتاباً ... جهدت فيه والتزمتُ ، أن لا أقولَ فيه إلاّ الحق المؤيد بالحجج القرآنية ، والبراهينِ السُنّيّة ، وسيرةِ ومنهج السلفِ الصالح ولا أراني محتاجاً لتعريف السلف الصالح ... فالكلُّ يعلم أنهم : محمدٌ ﷺ وصحابته الكرام ، والقرونُ الخيّرة التي شهد لأهلها بالخيْر ، ومن سار على نهجهم وتقفّى خُطاهم الهادية المهديّة إلى يوم القيامة .

وهذا الكتاب يبحث في موضوع جليل ، طالما تنازع فيه السلفُ والخلفُ ، واختلفوا فيه اختلافاً بيّناً !!! ألا وهو موضوعُ التوســل . وأعني بالتوسلِ التوسُّلَ إلى الله تعالى بما يحبّه ويرضاه للفوز بمحبته ورضاه .

على أن الطريقَ المؤديةَ إلى منتهى هذه الرغبات .. وغاية هذه الأمنيات .. قد شذّ فيها الخلفُ عن السلف .. ! واتّبعوا طرائق .. أقل ما يقال فيها : أنها على غير السبيل القويم والصراط المستقيم ، الموصل الى الهدف الأسمى من الرضا والفوز ، فلا بدع أن تزورَّ بهم تلك الطرائق ... عن النهج السوي فتضلّهم عن الوصول إلى الغاية المنشودة .

(وأنَّ هــذا صِراطي مستقيماً فاتّبعوه ولا تتّبعوا السُبُلَ فتفرَّق بِكُمْ عنْ سبيلهِ ذَلكم وصّاكم به لعلّكم تتّقون)[1] .

بحثنا هذا ... بحث سلفي موضوعي ، بأسلوب علمي منهجي ، وعرضٍ سهلٍ جديد ، مفصّل ومبوب ، يتسلسل بالقارىء تسلسلاً يعين على فهم الموضوع بشكل بسيط واضح وجذاب ، بمقارنة جلية بيّنة ، بين حجــة السلف ورأي الخلف ... فيخرج القارىء من البحث ، مستطيعاً أن يُعيّن بنفسه الطرف الذي اقتنع بحجته ، ويسير على الطريق الذي اختاره بعد تمحيص وتدقيق ومقارنة وتقرير . ويسلك المحجّة التي يدين الله بها أنهــا هي الحق الذي ما بعده إلاّ الضلال .

---

(١) الانعام : ١٥٣ .

لا أدّعي قط ... أنه بحث جديد ، أو موضوع حديث ... بل هو قديم وسحيق في آفاق القدم ... فهو موجود منذ أن اصطرع الهدى والضلال على الأرض، واختلف أهل كلٍ فيها . . وقد يكون هبوط الرسالات . . . وابتعاث النبوّات ... سبباً موجباً ليوضح فيه طُرُقَ الحق من طرق الضلال ، ويسلك البشرية صراطاً مستقيماً . فمن أخذ به من مشكاة النبوات ، ومصابيح الرسالات ... فقد تجنّب الغيّ والضلال، واتّبع النورَ الذي لا يجتمع والظلام في قلب واحد . ومن سلك فيه السبلَ ... افترقت به عن سبيل الله التي لا يزيغ عنها إلاّ هالك .

وهكذا فان بحثنا اليوم ... يسير في صراط المرسلين والنبيين، أسلوباً وهدفاً وغاية ، لحقق فيه على نهجهم ومسيرتهم ما دعوا إلى تحقيقه منذ آدم إلى محمّد عليهم أفضل الصلوات وأتم التسليمات وأبرك التحيات .

إذاً ... هو بحث في صميم الدعوة إلى الإسلام ... إن سلكتَ يا أخي فيه الحقَّ والهدَى،كان القنطرة التي عليها تمرُّ إلى جنّات النعيم ... وإن سلكت فيه السبل ... أي غير طريق النبيّين والمرسلين ... كان القائدَ والدافع الى الهاوية التي هوى فيها مِنْ قبـــلُ ... مَنْ تنكّبَ عن الطريق القويم ، وأزورَّ عن الصراط المستقيم ، واختار على علم !!! خاتمة حذر منها ومن مغبّتها المرسلون .

فاخترْ يا أخي المسلمَ ما ينجيك ... يومَ لا ينفع مال ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم .

منهجي في معالجة هذا الموضوع

اخترت لك يا أخي منهجاً في معالجـــة هذا الموضوع الهام ... بل البالغ الأهمية ، حرصت فيه أن يكون منهجاً واضح المعالم ... ووضعت لك على كل منعطف ، الصوَى الظاهرة البيّنة ، والدلالاتِ القائمـــةَ التي يراها كل ذي بصر وبصيرة ، وأشرتُ لك بأوضح الإشارات ، وأبينِ العلامات على كلِّ مفترق ، سبيل الخير والحقّ والهدى من سبل الشرّ والباطل والضلال. وما المعالم والصُّوَى والإشارات والدلالات والعلامات، إلاّ : تنزيلُ ربِّ العالمين، وهدْيُ خيرِ الأنبياء

والمرسلين ، ومنهجُ خير صحبٍ ، ومسلكُ خير قرون الأوّلين والآخرين .

بحثت لك معنى التوسل لغةً وشرعاً ، وقسّمت التوسل الى قسمين وهما :

١ً – التوسل المشروع . ٢ً – التوسل الممنوع وعرّفتُ لك كلاً منهما .

وقسّمت أيضاً التوسلَ المشروع إلى ثلاثةِ أقسام :

١ً – توسّلُ المؤمن إلى الله تعالى بذاته ، وأسمائه ، وصفاته .

٢ً – توسّلُ المؤمن إلى الله تعالى بأعماله الصالحة .

٣ً – توسل المؤمن إلى الله تعالى بدعاءِ أخيه المؤمنِ له .

ثمّ عرّفتُ كلَّ قسم من هذه الأقسام الثلاثة ، وأثبتُّ بالأدلّة عليه من الآيات البيّنات ... ففسّرتُها وذكرتُ الشاهدَ منها ... وأكثرتُ الأمثلةَ والأدلّة لتكونَ أوقعَ في النفس . وأدعى إلى الاطمئنان واليقين .

وكذلكُ ذكرتُ في كلّ قسمٍ الأدلّةَ الواضحةَ من الأحاديث الصحيحةِ فشرحتُها وذكرتُ كذلك الشاهدَ منها ، ومن إيرادها ، والموطنَ المقصودَ منها . وكيف أنَّ رسولَ الله ﷺ ذكرها معلّماً ومبلّغاً وهادياً ، وآمراً باتّباع هديها وسلوك محجّتها ، وذلك من أدعيتهِ وتوسّلاتهِ إلى ربّه ، أو من أدعية وتوسلات النبيّين قبلهُ أو من سيرة الأمم السالفة المؤمنة الذين سبقونا بالإيمان ، وكيف كانوا يتوسّلون إلى ربّهم ، ليكونَ سبيلهُ هو ، وسبيلُ النبيّين قبله ، وسبيلُ الذين سبقونا بالإيمان ، قدوةً لنا وأسوةً ، ونبراساً وهدًى .

وإنَّه ﷺ لم يذكرْها لأصحابه ، إلاَّ ليعملوا بها ويقتدوا بهديها .

ثم ذكرت لك يا أخي : التوسُّلَ الممنوع وعرّفتُه لك وذكرتُ حكمَ الشارع الحكيم فيه وفي من أخذ بهِ . وقسّمتُه كذلك إلى أقسامٍ ثلاثة :

١ً – التوسلُ إلى الله تعالى بذات وشخص المتوسّل بهِ من المخلوقين .

٢ً – التوسلُ إلى الله بجاه فلان أو حقّه أو حرمته أو بركته !!!

٣ً – الإقسامُ على الله تعالى بالمتوسّل به .

وردّدْت كل ذلك بالدلائل الواضحات ، والبراهين الساطعات والحجج الدامغات من الكتاب والسُّنّة ، وسيرةِ السلف الصالح رضي الله عنهم وبأقوال الأئمة المجتهدين

والعلماء الأعلام العاملين .

ثم ذكرت أقوال المجيزين للتوسّل الممنوع، وما يُدلون به من الحجج من القرآن والسُّنّة (بزعمهم ...) وذكرت دعاواهم وشبهَهم التي تربو على الثلاثين ، فكشفتُ عنها ونقضتها واحدةً إثر واحدةٍ ، متْناً وسنَداً .. إمّا لأنهم لم يحسنوا الاستدلال بها بأن جاءوا بها في غير مناسبتها ... وإمـــا كونها من الأحاديث الموضوعة المكذوبة والباطلة وما لا أساس لها من الصحّة !!! وأحسن ما أوردوا من حججهم ، الأحاديث الشديدة الضعف ...!!! التي لا يجوز إيرادهـا إلا في معرض عللها ، ليكون الناس على بيِّنةٍ منها ، فكيف إذا أُورِدت من أجل الاحتجاج بها ...!!!؟

وإنني لم أكنْ متجنّيـاً عليهم ، ولا ردَدْت شبهَهم لمجرد الهـــوى ... أو لعصبيّة ... لا والله ... وإنني لأبرأ إلى الله تعـالى من كل ذلك ... وإنني أقسم بالله لو أنَّ حججهم التي أدلوا بها صحيحةٌ كلُّها أو جلُّها .. حتى ولو واحدة منهـا ... إذاً لاتبعتُها وأنا منشرح الصدر ، ولكن يا ليت ... وهل تنفع ليت ...؟

ما ذنبي أنا!! إذا هم أوردوا من الأدلّة ، ما لم يصحّ منها ولا دليل واحد..؟ أم يأتون بالموضوعات والمكذوبات، وأنا الملوم والمسؤول . لِمَ رددتها .. !!!؟ أنا ما رددتها ... إنما الذي ردّها ، وشهد بوضعها ، وكذبها وبطلانها ، جهابذةُ أعلام علم الحديث وأكابر أهل الجرح والتعديل .

إنني أرى نفسي ... أنَّني أستحق الشكر منهم قبل غيرهم ، لأنني أنرتُ لهم الطريق ليرَوْا الحقَّ من الباطل ، والهُدَى من الضلال ، والرشاد بعد الغيّ ، ويتّبعوا مـا أمرهم الله أن يتّبعوه ... فسلّكتهم السبيل خطوةً خطوة ، وكلّي أملٌ أن يعودوا إلى ما اتّضح لهم من الحقّ والحقيقة ، عساهم أن يكونوا من أتباع الحقّ ... فلعلّهم كانوا مفتونين بتلك الشبهات والأباطيل ... فكشفتهـا لهم على حقيقتها، فإذا هي الأحابيلُ المزأبقة ، التي كان يخيل إليهم أنها تسعى. . حتى إذا جاءت عصا الحقيقة .. فابتلعت كلَّ ما يأفكون .. فرحنا لأنهم سيسجدون

لله ، مؤمنين بما جاءت به الرسُلُ ... كما آمن السحرةُ من قبل ... وسجدوا لله رب العالمين. ونرجو الله أن يفعلوا ولو فعلوا لوجدوا الله تواباً رحيما ، بل ولبدّل سيئاتهم حسنات .

والذي يحزُّ في النفس أنَّك يا أخي تسمعُ منهم أنهم يؤيّدون التوسلَ المشروعَ ويقولون بمشروعيَّته كما نقول تماماً .. ولكن يا ليتهم عندما يدْعون ويتوسَّلون إليه تعالى ، أن يتوسلوا إليه بالتوسُّلات المشروعة ولو مرة واحدة ..!! إنني تعمدت الإصغاء إليهم وهم يجأرون بالدعاء إلى الله ، لعلّي أسمعهم ولو مرة واحدة يقولون : اللّهم إننا نتوسل إليك بأسمائِك الحسنى وصفاتك العلىَ وبكلِّ عمل صالح مقبول منَّا عندك أن تقضيَ حوائجَنا ... فلا والله ما سمعتُ منهم هذا أو ما يشبه... بل كلهم يتوسَّلون بأحرج الأوقات: بحق الأنبياء، وجاه الأولياء، وبركة الصالحين، وينادونهم: بأن يدعوا الله لهم ليكشفَ عنهم الهمَّ والغمَّ والحزَن. وهم يعلمون أن الذين ينادونهم : أمواتٌ غيرُ أحياءٍ وما يدْرون أيّان يبعثون .

ليت شعري ... كيف يؤمنون معنــا في صيغ التوسل المشروع ... ويوافقوننا في ذلك ويقولون لا نختلف معكم في هذا... ثم لا يستعملونه أبداً ... ممـا يدلُّ على أنهم غيرُ صادقين في قولهم الذي قالوه : بأنهم يؤيّدون التوسل المشروع !! ولو كانوا صادقين لتقرَّبوا إلى الله به، ولم يرضوا عنه بديلا ، ولأثبتوا من فعلهم دليلا على صدقهم بما يقولون .

ولعلَّ هذا الموقف منهم ... كان من جملة الأسباب التي دعتني إلى تأليف هذا الكتاب ... راجياً أن أبلغ وإياهم به ، مـــا يقربنا إلى مرضاته تعالى ، فتنكشف الأغطية ، وتنهتك السُّتُـر التي كانت تغشى الأبصار والبصائر . فيظهر الحق جلياً واضحاً ونهتف جميعاً بلسان واحد :

(قل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً)

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم

وصلِّ اللهم على محمد وعـلى آله وصحبه ، والتابعين وتابعيهم بإحسانٍ إلى ما شاء الله وسلِّمْ تسليماً كثيراً . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

محمد نسيب الرفاعي

خادم الدعوة

بسم الله الرحمن الرحيم

معنى التوسّل لغةً وشرعًا

التوسل لغةً :

قال الجوهريُّ في صحاحه : « الوسيلةُ : ما يُتقرَّبُ به إلى الغيرِ . والجمعُ : الوسيلُ والوسائلُ . والتوسيلُ والتوسُّلُ واحدٌ . وسَّل فلان إلى ربِّه وسيلةً ، وتوسَّل إليه بوسيلةٍ ، أيْ تقرَّب إليه بعمل » .

وفي القاموس : « الوسيلةُ والواسلةُ : المنزلةُ عند الملِكِ ، والدرجةُ والقربةُ . ووسَّلَ إلى الله توسيلاً : عمل عملاً تقرَّب بهِ إلى الله ، كتوسَّلَ . والواسلُ : الواجبُ والراغب إلى الله تعالى » .

وفي المصباح : « وسَلْتُ إلى الله بالعمل . أَسلُ من باب وَعَدَ رغِبتُ وتقرّبتُ ، ومنه اشتقاقُ الوسيلة . وهي ما يُتقرَّب به إلى الشيء . والجمعُ : الوسائلُ . والوسيلُ : قيل جمعُ وسيلةٍ ، وقيل لغةٌ فيها . وتوسَّل إلى ربّه بوسيلةٍ : تقرَّبَ إليه بعملٍ » .

وكلُّ ما تقدّم في معنى الوسيلةِ ، قاله سائرُ علماء اللغةِ ، وهذا ما اتَّفق عليه الجميعُ .

التوسّل شرعاً :

هو التقرّبُ إلى الله تعالى بطاعتهِ وعبادتهِ، واتباعُ أنبيائهِ ورسلِه ، وبكلِّ عمل يحبّه الله ويرضاه . قال ابن عباس رضي الله عنهما : إن الوسيلةَ هي القربةُ وقال قتادة في تفسير القربةِ : أي تقرّبوا إلى الله بطاعته ، والعملِ بما يُرضيه . وهكذا ... فإن كلّ ما أمر به الشرعُ من الواجباتِ والمستحباتِ ، فهو توسّلٌ شرعيٌ ووسيلةٌ شرعية .

قال الله تعالى في سورة المائدة الآية / ٣٥ / :

(يا أيّها الذينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وابْتَغُوا إليهِ الوَسِيلةَ وجَاهِدُوا في سَبيلهِ لعلّكم تُفلِحونَ)

وقال جلّ وعلا في سورةِ الإسراء :

(قل ادْعوا الذينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونهِ فلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضرِّ عَنْكُمْ ولا تَحْوِيلاً/٥٦/ أولئكَ الذينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إلى رَبِّهِمُ الوَسِيلةَ أيُّهُمْ أقربُ ويَرْجُونَ رَحْمتَهُ ويخَافُونَ عذابَه إن عَذَابَ رَبّكَ كانَ محذوراً)/٥٧/

يتّضح مما تقدّم أن التوسُّلَ ، لغةً وشرعاً ... لا يخرجُ عن معنى التقرّبِ أو ما يؤولُ إليه من القُرْبى إلى الله تعالى بما يرضاه مِنَ الأعمالِ الصالحةِ .

وإنّك لترَى يا أخي المسلم ، أنَّ آيةَ المائدةِ ... يحضُّ الله فيها عبادهَ على أن يبتغوا إليه الوسيلةَ ، أي التقرّبَ إليه بالإيمان والتقوىَ والجهادِ في سبيله . ولهم الفلاحُ أي الجنّة ، والجنةُ ولا شك أقصَى غاياتِ الفلاح والنجاح .

وإنّك لترى أيضاً في سورة الإسراء الآيتين ٥٦ و ٥٧ أن الله تعالى يَلفت أنظارَ المؤمنين إلى أن عملَ المشركين بالتزلُّف إلى الله بأشخاص المخلوقين ، لا يفيدُهم شيئاً ، لأنَّهم لا يملكونَ كشفَ الضرّ عنهم ، ولا تحويلَهُ ، فدعاؤهم بالذوات أو التوسُّلُ بهم ... لا يقدّم ولا يؤخّر ، ولا يوصِلُهم إلى مُبتغاهم ، لأنَّهم أخطأوا الطريق إلى الله .

إن هاتيْنِ الآيتَيْن في سورةِ الإسراء : نزلتا في نفرٍ من العرب ، كانوا يعبدونَ نفراً من الجن ، فأسلم الجنيّون ... أما الإنس الذين كانوا يعبدونهم ، فلم يشعروا

بإسلامهم ... فأخبرهم الله بوحيه المنزَّل على عبده ورسوله محمَّدٍ ﷺ :

(قُلِ ادْعُوا الذينَ زَعَمْتُمْ مِـــنْ دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْويلاً . أولَئِكَ الذينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إلىَ رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ أيُّهُمْ أقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخافُونَ عَذابَهُ إنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كانَ مَحْذُوراً) .

فإن هؤلاء الذين يزعُم المشركونَ أنّهم يقرّبونهم إلى الله زُلفَى ، همْ أنفسُهم يخبرُ الله عنهم أنهم يتسابقونَ ويتنافسون فيما بينهم بالتقرُّب إلى الله تعـالى ، بالطاعات والأعمالِ الصالحةِ ، ويرجونَ رحمتَه بِهِمْ ، ويخشَوْنَ عذابَه أنْ ينالَهم ، ويُشفِقُونَ مِنْه ، فكيف يا أيهـا المشركونَ تدعونهم لكشف الضر عنكم وتوسّطونهم . .؟ فما الذي تؤمّلون منهم وهم على أشدّ ما يكونون حاجةً إلى الله تعالى . فالذي لا يملك شيئاً .. لا يُعطي شيئاً . وما مثلُكم في هذا العمل الذي تصنعون ... إلا كمثَلِ مريضٍ ذهبَ إلى الطبيب لكي يتَطبَّبَ عنده، فرأى طبيبَه مريضاً ، يتطبَّبُ عندَ كبيرِ الأطباء مثلاً أو عندَ أيِّ طبيبٍ آخر .. أفلا يدفعُه واقعُ طبيبه ، لأن يتطبّب عند من وجـد طبيبَه عندَه ..؟! فلو أنَّ في طبيبه نفعاً ، لنفع نفسه .. وما احتاج إلى طبيبٍ سواه .

إذاً فإن هؤلاء الذين تدعونَهم يرجون رحمةَ الله،ويخشون عذابه،ويتسارعون في مرضاة الله تعالى ويتقرّبون إليه بأعمالهم الصالحة المرضية ، فلماذا لا تصنعون كما صنعوا لتبلغوا عند الله الذي بلغوا .. لأن التوسُّل بالعبد الصالح من غـــير متابعة له في الأعمال الصالحة ، لا يجوز أن يكون وسيلة .

ثم فكروا قليلاً وانظروا .. هل هؤلاء الذين توسّطونَهم ..!! يوسّطون أحداً إلى الله في توسُّلاتهم؟ أم جعلوا أعمالَهم الصالحةَ وسيلةً إليهِ تعالى..؟ لا شكَّ أن الجوابَ: بل جعلوا أعمالَهم الصالحةَ وسيلةً وقُربةً يتقرّبون بها إلى الله تعالى . فما بالكم لا تقتدون بهم ..؟ ولِمَ لا تفعلون ما يفعلون. . ما دمتم بهم وبصلاحهم تثقون ..؟ أمن جهة تثقونَ بهم وبصلاحِهم ، ومنزلتهم عندَ الله ... ومن جهة أخرى تخالفون هديَهم ومنهجَهم..؟! هذا أمر يوحي بأنكم غير صادقين في محبتكم لهم ، ولستم واثقين من صلاحهم ، ولو كنتم صادقين بذلك .. لجعلتموهم قدوتَكم

الصالحة، وأسوتكم الحسنة، واتخذتم سبيلهم إلى الله سبيلاً لكم، ومنهجهم منهجاً لكم.

هذا ما قررته الآيات السابقة في هذا الموضوع ... ومن أحسن من الله قيلا ؟

أقسام التوسل

التوسَلُ إطلاقاً يدخل في معناه : كلُّ توسل شرعياً كان أو بدعياً . فلأجل التفريقُ بينهما ، يجبُ أن نعلم أقسامَ التوسُّل ، حتى يكونَ لدينا ميزانٌ نزن به الأشياءَ فنعرف غثّها من سمينها فإذا عرفنا ما هو التوسّلُ الشرعيُّ ، وما هو التوسُّلُ غيرُ الشرعيّ ، وذلك بمعرفة الأدلّة .. عندها نستطيع أن نأخذ لأنفسنا ما يحلو ، ونكون بعدها مسؤولين عما أخذنا ... إن كان خيراً فخيرٌ ، أو شراً فشر (**فمن يَعمَلْ مِثقالَ ذَرّةٍ خيراً يرَهُ . ومَنْ يعملْ مِثقالَ ذرّةٍ شراً يرَهُ**)(١)

ينقسم التوسل من حيث هو إلى قسمين :

١ — : توسّلٌ مشروعٌ .

٢ — : توسّلٌ ممنوعٌ .

الكلام على التوسل المشروع

تعريفه — : التوسُّلُ المشروع هو كل توسّل ندبنا الله تعالى إليه في كتابه وحثّنا عليـــه ، ووضّحه لنا رسولهُ الأمين صلى الله عليه وسلم . أي ما كان موافقاً لما شرعَ الله من التقرّب إليه بالطاعات والأعمالِ الصالحـة التي يحبُّها الله ويرضاها ، ولا يحبُّ ولا يرضى إلاّ الذي أمر به .

وينقسم التوسل المشروعُ إلى ثلاثة أقسام :

١ — : توسُّلُ المؤمنِ إلى الله تعالى : بذاتهِ العلية ، وبأسمائهِ الحسنَى ، وبصفاته العُلـَى .

٢ — : توسُّلُ المؤمن إلى الله تعالى بأعمالهِ الصالحة .

٣ — : توسُّلُ المؤمن إلى الله تعالى ، بدعاء أخيه المؤمنِ له .

---

(١) الزلزلة : ٧-٨ .

التوسّل المشروع

١

التوسّل إلى الله تعالى

بذاته العليّة ..

وأسمائه الحسنى ..

وصفاته العُلى

والأدلّة على ذلك من القرآن الكريم

التوسّل إلى الله تعالى

بذاته العليّة .. وأسمائه الحسنى .. وصفاته العُلى

والأمثلة الدالة على ذلك

تعريفه : هو أن تقدم بين يدي دعائك إلى ربك تعالى ، تمجيداً له وتعظيماً وحمداً وتقديساً في ذاته العليه ، وأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى . ثمّ تدعو بما بدا لك ... ليكون هذا الحمدُ والتمجيد والتعظيم والتقديس للرب تعالى، وسيلةً إليه سبحانه ، لأن يتقبل دعاءك ويجيبَك إلى ما دعوتَ . وتنالَ مطلوبك .

إن أعلى أنواع التوسل إلى الله تعالى، وأقربها إجابة : التوسل إليه عزّ وجل بذاته العلية ، وأسمائه الحسنى وصفاته العلى . لأنه تمجيد وتقديس وثناء على الله تعالى ، وهو كما أثنى على نفسه . والقرآن والسنة مكتظة صحفهما ، بالأمثلة على الحضّ على التوسلات إليه تعالى . ولأجل توضيح ذلك ... نضع صوراً عديدة من هذه الأمثلة ... ولتكون أيضاً ، بمثابة الأدلّة على صحة التوسل الذي ندعو إليه المسلمين دون سواه ، ونعتبره منهجاً صحيحاً ومسلكاً مثالياً للتوسل الشرعي الذي أمر الله تعالى به ووضّحه وبيّنه رسول الله ﷺ .

« الأمثلة الدالة على التوسل إليه تعالى بذاته وأسمائه وصفاته من القرآن الكريم » .

إن الله تعالى دلّنا دلالاتٍ واضحةً صريحةً ، في كتابه العزيز على التوسل إليه . والآيات في توضيح ذلك كثيرة ... إنّما نقتطف لك يا أخي المسلم، بعضاً منها على سبيل المثال . وهي في نفس الوقت ، دليل قاطع من كتابه تعالى ، على توضيح مراده من كيفية التوسل إليه سبحانه ، ليكون سبباً يحبه ويرضاه لاستجابة الدعاء .

الدليل الأول

قال الله تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾

الأعراف ١٨٠

هذا أمرٌ من الله تعالى لعباده ، يحضّهم فيه على أن يدعوه تعالى بأسمائه الحسنى ليكون دعاؤهم إليه إلى الاستجابة أقرب . أما الذين يلحدون في أسمائه أي يشركون بها فذروهم اليه فهو سيعاقبهم على ما كانوا يشركون بأسمائه . وأصل الإلحاد في اللغة : العدول عن القصد ، والميل والجور والانحراف .

هذا ما يدعو الله عباده المؤمنين إليه من التوسل إليه بأسمائه الحسنى .

قال أبو يوسف عن أبي حنيفة : لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلاّ به. والدعاء المأذون فيه ، المأمور به : ما استفيد من قوله تعالى : (**ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها**) . وقال رحمه الله ، وكذا لا يصلي أحدٌ على أحدٍ إلا على النبي ﷺ وكره قوله بحق رسلك وأنبيائك وأوليائك ، أو بحق البيت ، لأنه لا حق للخلق على الخالق تعالى وذكر العلائي في التنوير عن (التتارخانية) أن أبا حنيفة قال : لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلاّ به . وفي جميع متون الحنفيّة : إن قول الداعي المتوسل بحق الأنبياء والأولياء وبحق البيت الحرام ، مكروهٌ كراهة تحريم ، وهي كالحرام في العقوبة بالنار عند محمد اهـ ملخصاً .

وهكذا فإن المنكر لذلك النقل ، جاهلٌ بمذهب أبي حنيفة رحمه الله .

وقوله تعالى (وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون) فيه تهديد ووعيد من الله تعالى ، لمن ينحرفون عن دعـــاء الله بأسمائه الحسنى ويدعون غيره . ويأمر تعالى بمقاطعة الذين يلحدون بأسمائــه ، عند التأكد من عنادهم في الباطل وعدم انقيادهم للحق ، فإن الله أعدّ لهم مـــا يستحقون من العذاب والنكال ، والعياذ بالله تعالى :

إن ما تقدم من قوله تعالى : (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها . . .) أمرٌ منه سبحانه بأن نتوسل إليه بأسمائـه الحسنى ، في جملة التوسلات المشروعة ، كيما يكون دعاؤنا إليه أقرب للإجابة ، ولا شك في أن مـا يصحّ في الأسماء ، يصح كذلك في الصفات ، لأن الأسماء مشتقة من الصفات غالباً . . . ولا يعقل أن تكون أسماءٌ وصفاتٌ لغير ذات . إذاً . . فيكون المتكلم القائل : (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها . . .) هو ذات الله تبارك وتعالى وتقدس .

وعلى هذا تكون هذه الآية من حيث الحض على التوسل بأسماء الله الحسنى ، شاملة أيضاً الحض على التوسل بالصفات العلى والذات العلية . لأن هذا النوع من التوسل من أعلى أنواع التوسل المشروع،وأقرب أسباب الإجابة لدعاء الداعي. فجلت وعزّتْ ذاته عـن ذوات المخلوقين ، وتعالتْ أسماؤه وتنزهت عن أسماء المخلوقين ، وتقدستْ صفاته وتسامتْ عن صفات المخلوقين . (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) .

هذا الرب العظيم ، وهـذا الإله المتعال ، هو الذي يدعو عباده إلى التوسل إليه وإلى التقرب إلى جنابه العزيز ، ويرشدنا في قرآنـه الكريم ، إلى توسلات الأنبياء والرسل ، وكيف كانوا يتوسلون إليه، لنتخذهم قدوتنا الصالحة وأسوتنا الحسنة . وها هو جلّت صفاته وتقدّست أسماؤه يعطينا الأمثلة ، لتكون لنا حافزةً على الاقتداء بأنبيائه ورسله ، والتأسّي بهديهم ، على هذا الصراط المستقيم .

الدليل الثاني

قال الله تعالى مخبراً عن عبده ونبيه ورسوله إبراهيم عليه الصلاة والسلام، كيف توسل إليه تعالى، عندما أراد أن يتضرّع إليه بالدعاء:

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ سورة «ابراهيم»

هذا نموذجٌ من نماذج عدّة، من توسلات أبي الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

أرأيت يا أخي كيف قدّم بين يدي دعائه توسلاً إلى الله تعالى ... بعلمه سبحانه الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء من مكنونات صدور خلقه ولا معلناتها، أنه سبحانه وتعالى المحمود في ذاته وأفعاله وصفاته وأنه الوهاب لكل نعمة. ومن ذلك أنه تعالى أنعم على عبده ورسوله ابراهيم رغم كبر سنّه، وعقم زوجه بأن وهبه إسماعيل وإسحق، وإنه لسميعٌ لدعاء خلقِه أينما كانوا، وبأية لغة دعوا، وبأي قصد أو حاجة على اختلافها، فانه يسمع جميع الأدعية ويجيب كلا على سؤله - متى شاء -.

هكذا قدم ابراهيم بين يديّ دعائه هذه التوسلات: بعلم الله، ووَهْبه، وحمده، وسمعه. هذه الصفات العُلىَ التي جلّت عن صفات المخلوقين، قدّمها وسيلة ثم باشر بالدعاء لربه ... (**ربِّ اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعائي. ربنا اغفر لي ولوالدي[1] وللمؤمنين يوم يقوم الحساب**).

(١) قلت: كان هذا الدعاء قبل أن يتبرأ من أبيه لما تبين له عداوته لله عز وجل.

فما دام إبراهيم عليه الصلاة والسلام يتوسل إلى الله تعالى بما علّمه سبحانه . أليس هذا حافزاً من الله تعالى إلى الاقتداء به ؟ إذاً فلنشمّر ولنسارع بالاقتداء والتأسي لنحظى من الله بالإجابة المبتغاة من الدعاء .

الدليل الثالث

وإليك يا أخي مثلاً آخر من توسلات ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه ، عسى أن يكون لك دليلا ونبراساً تستضيء به .

قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ الشعراء

وهذا يا أخي دليل من سورة الشعراء/٢٦/فان الله سبحانه وتعالى ، يخبرنا عن عبده ورسوله ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، كيف كان يجادل قومه المشركين ويدلهم على من تجب له العبادة وحده ، وهو الله تعالى لا شريك له ، ولا مثيل ولا ندّ .

وإن هذه الآلهة التي يعبدونها هم وآباؤهم الأقدمون من قبلهم ، ليست آلهة ولا تستحق شيئاً من العبادة. فما أحد يستحق أن يعبد إلا ربُّ العالمين وحده لا شريك له. ثم شرع يصف لهم هذا الإله العظيم بصفات لا تشبه أي صفة من صفات

خلقه ، فقال : (الذي خلقني فهو يهدين، والذي هو يطعمني ويسقيني ، وإذا مرضت فهو يشفيني ، والذي يميتني ثم يحيين ، والذي أطمعُ أن يغفرَ لي خطيئتي يوم الدين)

إنه ﷺ قد وصف لهم جانباً من صفات هذا الربِّ الجليل ، الذي خلق الخلق جميعاً ، والذي يَهدي قلوبَ عباده إلى الحقّ ، وينعم عليهم . فما من نعمة في الأرض ولا في السماء ، إلا وهو مسديها اليهم . فهو الذي يطعم ويسقي ، وإذا مرض عبده فهو الذي يشفيه من مرضه ويعافيه ، وهو الذي يميته ويحييه ، ويبعث من في القبور . وهو الذي – من حلمه و كرمه وعفوه – يجعل عباده طامعين في مغفرته وعفوه .

هذه الصفات الجليلة العلى ، هل يتصف بها آلهتهم ، أم هي صماء بكماء ، لا تعي ولا تسمع ولا تبصر ؟ إن ابراهيم عليه الصلاة والسلام ... هكذا كان يعرّف قومَه بصفات هذا الرب الجليل ، ويَلفتُ أنظارهم إلى أن الذين يعبدونهم من الأصنام والآلهة ، إنما هي عبادة باطلة . إذ لا يستحق العبادة إلا الذي خلق وهدى ، وأطعم وسقى ، وأمرض وشفى ، وأمات وأحيا . كل ذلك قاله إبراهيم بصيغة المتكلم ، ليثبت لقومه الكافرين بالله تعالى ، أنهم على ضلال ، وانه على الهدى والحق ، ويدعوهم إلى هذا الهدى وإلى هذا الحق ، وإلى الإيمان بهذا الرب العظيم الجليل المتعال ، والاعتراف بهذه الصفات العُلى ، والإيمان بها . وحرّضهم على التوبة إليه تعالى بما فرط منهم . فقال : (والذي أطمع أن يغفرَ لي خطيئتي يومَ الدين) . وكأنه يَلفت أنظارهم إلى أن الله تعالى ، كما أنه يغفر له ويطمع بذلك يوم القيامة ، فكذلك إنهم إن آمنوا واتقوا ، فان الله تعالى يغفر لهم ما قد سلف ، والإسلام يجبّ ما قبله .

إن هذه الصفات العلى لله تعالى ، التي وضّحها ابراهيم في توسّله بها ، جعلها

واسطة لقبول دعائه ... فبعد أن قدّم هذه التوسلات المشروعة ، شرع عليه الصلاة والسلام ، داعياً إلى الله تعالى : (ربّ هب لي حكما وألحقني بالصالحين، واجعل لي لسانَ صدق في الآخرين، واجعلني من ورثة جنة النعيم).

أرأيت يا أخي المسلم ، كيف إن ابراهيم عليه السلام ، قدّم بين يديْ دعائه توسلاً اليه تعالى ليكون سبباً في الإجابة لأن يَهبَه الحكم، وأن يجعله من الصالحين في الدنيا والآخرة ، وأن يجعل له ذكراً جميلاً يُقتدى به إلى الخير ، فتحبّه كل ملّة ٍ وتتولاه، وأن يجعله من الذين يرثون الفردوسَ، ويستقرّون في جنات النعيم بما أسلفوا في الحياة الدنيا من العمل الصالح لوجههِ تعالى.

أرأيت يا أخي كيف يتوسّل أبو الأنبياء إلى ربّه ...؟ مَنْ علّمه ذلك ؟ أشيء اخترعَه من عند نفسه ، أم علّمه إياه العليم الخبير ؟ إنه والأنبياء والرسل عامة ما ينطقون عن الهوى ، بل إنّه الوحي يوحَى اليهم من لدن عزيز حكيم . ولماذا أخبرنا الله بتوسلات ابراهيم عليه السلام ... أليس إلاّ لنتبع ما فعل من حق وهدى وخير ، ولنقتفيَ أثره ونترسّم خطاه ...؟ أجل.. هو كذلك ... فلنبدأ جميعاً بذلك طائعين لله فيما هدى ، ومتّبعين أبا الأنبياء فيما اهتدى .

الدليل الرابع

قوله تعالى حاكياً عن قوم شعيب عليه السلام :

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾ الأعراف

ضاق ذرعاً قوم شعيب ، بشعيب عليه الصلاة والسلام وبمن آمنوا معه ، بما يدعوهم إليه من الإيمان بالله تعالى وتوحيده التوحيد الخالص . فهدّدوه بالنفي من بلدهم ...!! أو يعودَ في ملتهم . .! وهذا شأن„المستكبرين„ من كل قوم ، عندما تقوم عليهم الأدلّة الدامغة ، والحجج البالغـــةُ ، من أنبيائهم أو مصلحيهم ... لا يستطيعون أن يردّوا الدليل بالدليل ، والحجة بالحجة...فيلجأون إلى العنف، والجور ، والتهديد بالقتل والنفي من الارض ... ومـــا إلى ذلك من العناد والمكابرة بالباطل .

قال شعيب : كيف نعودُ في ملتكم بعــد أن أنقذنا الله منها ، وذُقنا حلاوة الإيمان ، ولذةَ اليقين وبردَه ؟ أنعود إلى دين نحن ندعوكم إلى هجره ..!؟ إذاً قد افترينا على الله كذباً بادعائنا أنه أوحى إلينا بأن ندعوكم إلى عبادته ، ولا يمكن

أن نعود فيها الا إذا شاء ربنا .

علّق شعيب عليه السلام عودته إلى ملّتهم على مشيئة الله تعالى ... وهذا تأدب بالغ من شعيب عليه الصلاة والسلام بأن ردّ المشيئة لله وحده مع علمه الأكيد بأن الله تعالى لن يشاء لهم العودة إلى الكفر بعد إذ هداهم إلى الإيمان ، وهو أعلم بما سيكون منهم بظهر الغيب .

لجأ شعيب عليه السلام إلى الله ، بأن رد المشيئة اليه ، وهو يعلم من يستحق الهداية فيهديه ، ومن يستحق الضلالة فيضله، وسع سبحانه وتعالى كل شيء علماً . فالمشيئة صفة له تعالى ، والعلم صفة له تبارك وتقدس ، وقد توسل بهما إلى الله تعالى ، وتوكل على الله في تثبيته على الحق الذي بعثه به إلى قومه . فبعد أن توسل بردّ المشيئة إليه ، وبعلمه الذي وسع كل شيء وبالتوكل عليه ، والتقرب إليه بهذا التمجيد والتعظيم، رفع الدعاء إليه تعالى: (**ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق**)أي لا يستطيع أحد أن يحوّل قلوبهم إلى الحق والإيمان والإسلام ، إلا هو تبارك وتعالى ، فإن قدّر الله إيمانهم ، وعلم منهم ما سيختارون من الهدى ... فهذا هو المطلوب . وإن كان يعلم منهم انهم سيظلون في عنتهم وكبريائهم على الحق ، فدعا أن يحكم بينهم (**ربّنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق**) أي افتح علينا بالنصر عليهم ، وانتقم لنا منهم، وعاملهم بما يستحقون (**وأنت خير الفاتحين**) ، أي وأنت خير من ينصر عباده المؤمنين ، على من كفر بك واستكبر عن عبادتك .

وهكذا ... فانك ترى يا أخي المسلم، كيف أن شعيباً عليه الصلاة والسلام لم يدعُ الله إلاّ بعد أن توسّل إليه تعالى بصفاته العُلى وختمه بها كذلك بقوله : (**وأنت خير الفاتحين**) فاستجاب الله تعالى دعاء نبيه ورسوله شعيب عليه الصلاة والسلام بعد أن ظل قومه على ما هم عليه من الكفر . .. فأخبر سبحانه بقوله :

(وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيباً إنكم إذا لخاسرون /٩٠/ فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين /٩٠/ .

فكان جزاؤهم جزاءً وفاقاً ، فكما أنهم توعّدوا شعيباً والذين آمنوا معه ، بالإجلاء عن بلدهم ، فإن الله تعالى أجلاهم جميعاً إلى حيث لا رجعة فاستأصلهم ، وأجلاهم إلى جهنم وبئس المصير .

ولا بد للقارىء المستنير ، إلا أن يخاطب نفسه ويسأل : ما الفائدة من ذكر هذه الاخبار بعد أن مضى عليها آلافُ السنين ؟ ولكنه سيجيب نفسه بنفسه : إن الله تعالى لا يذكر في قرآنه الكريم شيئاً عبثاً وحاشاه وسبحانه من ذلك . إنما ذكر هذه القِصّة ، وما ألهم عبده ورسوله شعيباً من التوسل إليه بصفاته ... حتى يُعلّمَ أمةَ محمد كيفية التقرّب إليه عند الدعاء ليكون الدعاء مستجاباً ... فقدم لهم هذه الصور من التوسلات بتمجيده وتعظيمه بأسمائه وصفاته والثناء عليه – وهو كما أثنى على نفسه – حتى يعلّمنا ويحضنا على اتباع أنبيائه خير خلقه فيما يتوسّلون اليه ، حتى نعملَ مثلما عملوا لنحصلَ على النتيجة التي نبغيها من الدعاء . وهي الاستجابة والحصول على المطلوب .

فهل نحن اذا اتبعنا هدى الله وهدى أنبيائه خير ... أم اذا اتبعنا خطوات الشيطان في الزيغ والضلال خير ...؟!!

لا ... بل سنتبع ما أمرنا الله به ، وما هدانا إليه **(قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير (١٢١)) البقرة .**

الدليل الخامس

قوله تعالى :

﴿ وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ (155) وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (156) ﴾ الأعراف

ذهب موسى - بأمر ربِّه - مع سبعين رجلاً اختارهم من أخير قومه ، إلى ميقاتٍ كان وقّته له ربُّه ، ليعتذروا إليه تعالى من عبادة بني إسرائيل العجل ، ويسألوه التوبة على من تركوا وراءهم من قومهم . فسار بهم إلى طور سيناء ، ولما وصلوا قالوا لموسى عليه الصلاة والسلام : اطلب لنا نسمعْ كلام ربِّنا . فقال: أفعلُ . فلما دنا من الجبل ، وقع عليه عمود الغمام ، حتى تغشّى الجبل كله . ودنا موسى عليه الصلاة والسلام فدخل فيه ، وقال للقوم : أُدنوا فدنوا ، حتى إذا دخلوا في الغمام ، وقعوا سجوداً .

فلما فرغ اليه من أمره وانكشف عن موسى الغمام ، أقبل اليهم فقالوا: **(لن نؤمن لك حتى نرَى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة)** فماتوا جميعاً .

فقام موسى عليه الصلاة والسلام يناشد ربَّه ، ويدعوه ويرغب اليه ويقول : **(ربّ لو شئتَ أهلكتَهم من قبلُ وإياي أتهلكُنا بما فعلَ السفهاءُ منّا)** .

فقوله : (بما فعل السفهاء منا) يعني به السفهاء الذين عبدوا العجل ، لأن

هؤلاء السبعين الذين رافقوه لم يعبدوا العجل ، ولكنهم لم ينهَوْا الذين عبدوه ، كما قال ابن عباس وغيره : إنهم أخذتهم الرجفة ، لأنهم لم ينهوا قومهم عن عبادة العجل ، بينما الآية في سورة البقرة (وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة(٥٥)) والآيـــة التي في سورة النساء (ارنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم(١٥٣)) تفيدان أن الصعق كان لقولهم : (ارنا الله جهرة) فأي السببين كان الصعق من أجله ؟ الجواب: إنه وقع لكلا السببين لأنه لا أعظم من عقوبـــة الموت في الدنيا ، ثم بعثهم الله تعالى استجابة لدعاء موسى عليه الصلاة والسلام : (ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلّكم تشكرون) وقال موسى عليـه السلام : (إن هي إلا فتنتُك) أي ابتـلاؤك واختبارك وامتحانك .

فمن هاهنا شرع موسى يتوسل إلى الله من أجل أن يتقبل الله دعاءه باحيائهم (إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء) وهذا تمجيد لله وتعظيم له بأنه وحدَه هو الذي يُضل من يشاء إضلاله حسب ما يستحق ، وهو وحدَه يهدي من يشاء هدايته حسب ما يستحق ، ولا يظلم الله أحداً. فالتوسل كان بمشيئته تعالى التي هي صفة من الصفات العلى التي يتّصف بها الربُّ جل شأنه . وإنها هي الغالبة ، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، إنِ الحكم إلاّ له وإنِ الأمرُ إلا أمرُه له الخلق والأمر . ثم توسل اليـــه باسمه الوليّ الذي هو من الأسماء الحسنى فهو سبحانه الوليّ والنصير (الله وليّ الذين آمنوا ...) فقال : (أنت وليُّنا) ولا شك أن الله وليّ الذين آمنوا ونصيرهم وناصرهم وما من وليّ ولا نصير سواه .

أرأيت يا أخي المسلم كيف قدّم موسى بين يدي دعائه توسلاً إلى الله بصفاته العُلَى وأسمائه الحسنَى ... ؟ فبعد أن فرغ من توسله وقرُب من الله بما قدّم من توسلات مقبولة عندهُ ، شرع بالدعاء : (فاغفرْ لنا وارحمْنا وأنت خير الغافرين) .

ولو تأملت يا أخي المسلم ، ووقفت قليلاً عند هذه الفاء: (فـ) لوضح لك المعنى من القصد الذي كان يقصده. أي بسبب ما قدمت لك يا رب من التوسلات اليك بصفتك العظيمة واسمك الجليل . . (فاغفر لنا ...) ممّا أذنب القوم من عبادة

العجل ومن قولهم: (ارنا الله جهرة) و(ارحمنا) لأن رحمتك وسعت كل شيء وانها سبقت غضبك (وأنت خير الغافرين) أي أنت خير من غفر الذنب ، وعفا عن الخطيئة ، ومن ذا الذي يغفر لنا إن لم تغفرْ لنا يا رب ...؟ ومن ذا الذي يرحمنا ان لم ترحمْنا يا رب ...؟ لا إله غيرك ولا ربَّ سواك .

ثم لم يكتفِ بذلك ، بل إنَّه لعلىً علم بكرم الربّ ورحمته، ورأفته بعباده ، فاستزاد عليه الصلاة والسلام من الكريم فقال : (واكتبْ لنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة إنّا هدنا إليك ..) أي تبنا وأنبنا إليك ورجعنا عن ما سبق من الذنوب والخطايا ... (قال عذابي أصيبُ به من أشاءُ ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبُها للذين يتّقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتي يؤمنون) .

فيا أخي المسلم الكريم : أرأيت كيف توسل عبد الله ورسوله موسى عليه الصلاة والسلام بالصفات والأسماء ممجداً ربه ومعظماً ؟ ثم عقَّب ذلك بالتوبة إليه تعالى مما سبق من الذنب ،فما كان من الله تعالى الا أن غمرهم بمغفرته ورحمته التي وسعت كل شيء ، وأحياهم بعد ما أماتهم بالصعق : (ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون) .

هذا هو التوسل المؤدي لاستجابة الدعاء ، وان موسى عليه الصلاة والسلام ليعلم أن قبله أنبياء ورسلا أحبّاء على الله وكرماء ، وذوي منزلة وجاه عظيم عنده ، فلم يتوسَّل بهم اليه تعالى ، ولا بأعمالهم ولا بجاههم .. لأنه يعلم : أن أعمالهم انما هي لهم وليس له بأن يدلّ على الله بها ، وانه ليعلم أنّ جاههم عليهم الصلاة والسلام عظيم ولا شك ... ولكنه لم يتوسَّل به الى الله تعالى ... بل قدّم تمجيداً لله وتعظيماً وتقديساً بأسمائه الحسنى وصفاته العلى ، ثم قدم اليه توبة من كل ذنب . فكان ذلك التوسل مقبولاً لدى الله تعالى وتقدس . فاستجاب دعاءه وعفا ورحم وغفر، وأحسن في الدنيا والآخرة،وهو لذلك أهل، لا إله إلاّ هو ولا ربّ سواه .

وان الله تعالى لم يذكر ذلك في محكم آياته ، إلاّ ليعلّم هذه الأمة ما علّم رسله وأنبياءه من التوسل الذي هو أعلى وأقرب التوسلات اليه ،وليحث المؤمنين جميعاً على

اتباع الانبياء والمرسلين خيرِ خلق الله ، وأكرمهم على الله ، فاتباعهم هو الحق، والحق أحقّ أن يتبع وما بعد الحق الاّ الضلال .

(ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون (٨٨) أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بهابكافرين(٨٩) اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا اسألكم عليه اجراً إنّ هو إلاّ ذكرى للعالمين(٩٠)) . الانعام

أخي المسلم الكريم

لقد ذكرت لك – فيما سبق – أمثلة من القرآن الكريم عن التوسل اليه تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى ، وبيّنتُ لك بالدليل القرآني ، كيف أن الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام يقدّمون الى ربّهم تعالى وتقدّس توسلاتٍ تكون سبباً لاستجابة الدعاء ، ولم يذكرها الله سبحانه وتعـــالى في تنزيله ، إلاّ ليعلّم المؤمنين كيف يتوسّلون إلى ربهم تبارك وتعالى . وكل ما تقدّم هو توضيح لقوله تعالى :

(ولله الأسماءُ الحسنى فادعوه بها) وان صفاتِه تعالى لها ولا شك حكمأسمائه تعالتْ أسماؤه وتقدستْ صفاته وإنك رأيتَ ما من دعاء إلاّ وقدّم صاحبه بين يدي دعائه توسلاً إليه تعالى به .

وكل أملي بك يا أخي الحبيب في الله ، أن ترى الحق حقاً وتُهرَعَ الى العمل به وتحبَّ أهله،وأن ترى الباطل باطلا فتهجرَهولا تلتفتَالى كثرة منيأخدونبه (وان تطعْ أكثر من في الأرض يُضلوك عنسبيلالله) ويكفيللدلالة علىالباطل وأهله ... أن الدليل الذي يستندون اليه ... أقوالٌ مجردة عن أدلة الكتاب والسُنَّة ، بل تعارضها ...؟!!!

(أفمن يمشي مكبّاً على وجهه أهدى أم من يمشي سويّاً على صراط مستقيم) ؟ [١] .

(١) استشهادنا بالآية كان لعموم اللفظ لا لخصوص السبب .

التوسّل إلى الله تعالى

بذاته العليّة ..

وأسمائه الحسنى .

وصفاته العُلى

والأدلّة على ذلك

مِنَ الأحاديثِ الصّحيحةِ

الأمثلة الدالّة على التوسّل
بالذات والأسماء والصفات من الأحاديث الصحيحة

أخي : كما أنني وضعت أمام عينيك أمثلة قرآنية ، في الحضّ على التوسل اليه تعالى بذاته وأسمائه وصفاته . . كذلك أضع أمام عينيك أمثلة من الأحاديث الصحيحة ، التي تثبت لك أيضاً ... أن نبيّك ورسولك محمداً ﷺ كان عندما يدعو ربّه سبحانه ، إنما كان يقدّم بين يدي دعائه ، توسلات الى الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العُلى . وإنك لتعلم علم اليقين أنه ﷺ قدوتك الحسنة وأسوتك... الذي أمر الله أن تتأسى به وتسير على هديه :

(لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) (٢١) الاحزاب

الدليل الأول

عن عبد الله بن بريدة عن أبيه [ان رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول : اللهم اني أسألك باني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحدُ الصمدُ الذي لم يلدْ ولم يولدْ ولم يكن له كفواً أحد . فقال : « لقد سألت الله عز وجل باسمه الأعظم »] أخرجه أبو داود والترمذي .

الدليل الثاني

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه [انه كان مع رسول الله ﷺ جالساً ورجل يصلي ، ثم دعا : اللهم اني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان

بديعُ السموات والارض يا ذا الجلال والإكرام يا حيّ يا قيوم. فقال النبي ﷺ: « لقد دعا الله باسمه الاعظم الذي إذا دعي به أجاب ، وإذا سئل به أعطى »] أخرجه الامام أحمد وأبو داود وابن ماجه والترمذي .

وضعتُ يا أخي المسلم أمامَك هذين الحديثين المتقدّمين ، ليتضح لك منهما ، أن أسماءَ الله الحسنى هي أقرب التوسلات استجابــــةً ، وأخصّها بذلك اسم الله الأعظم .

وقد شهد رسول الله ﷺ للصحابي الذي دعا... إنه دعا باسم الله الأعظم ، الذي إذا دُعي به أجاب ، وإذا سئل به أعطى .

فالحديث الأول : دعا الرجلُ قائلاً : [اللهمَّ إني أسألك بأنّي أشهد أنك أنت الله لا إلهَ إلاّ أنت الأحدُ الصمدُ الذي لم يلدْ ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحدٌ] . فقد توسل هذا الرجل بأسماء الله الحسنى ، ووافق عليها الاسم الأعظم ، فكان سبباً في قبول الدعاء بشهادة رسول الله ﷺ وأنعم بها وأكرم من شهادة .

★

وكذلك الحديث الثاني : فقد قال فيه الرجل : [اللّهم اني أسألك بأن لك الحمد ، لا إله إلاّ أنت المنّان بديع السموات والارض يا ذا الجلال والإكرام يا حيّ يا قيوم] وكل هذه الأسماء هي لله أسماءٌ حسنى وقـــد جمل هذا الرجل دعاءه الذي مجّد به ربَّ السموات والارض وسيلةً الى ربه تعالى حتى يتقبّل دعاءه... لا سيما وان الصادق المصدوق ﷺ شهد له أيضاً أنــه توسل الى الله وسأله باسمه الأعظم ، الذي إذا سئل به أعطى واذا دعي به أجاب .

★

فمن البدَهيّ أن يرغبَ كل مؤمن بالدعاء إلى ربه ، مقدّماً بـين يدي دعائه وسيلةً يرضى الله عنها. وإن كلّ داعٍ الى الله تعالى يودُّ من صميمه استجابة دعائه وحصوله على مطلوبه من الدعاء، فلكي يحصل على هذه الأمنية .. فعليه سلوك الطرق الشرعية المؤدّية الى بلوغ أمنيته الغالية ، وليس من طريق شرعي أدل على شرعيته مـــن طريق يسلكه رسول الله ﷺ ، ويختاره لنفسه ولأمته .

وها هو يعلّمنا أن نسلك هذا الطريق الذي هـــو أقربُ الطرق إلى استجابة الدعاء ، فمن يسّره الله تعالى إليه فيكون قد يسّره الله لليُسرى (فأما من أعطى واتقى وصدّق بالحسنى فسنيسّره لليُسرى ، وأما منْ بخلَ واستغنىَ ، وكذّب بالحسنى فسنيسره للعسرى) . — الليل (١٠)

الدليل الثالث

دعاء استفتاح رسول الله صلاته من الليل

وعن أم سلمة رضي الله عنها ، قالت : [سألتُ عائشةَ أمَّ المؤمنين رضي الله عنها . بأيِّ شيء كان نبيُّ الله ﷺ ، يفتح صلاتَه من الليل .. ؟

قالت : كان إذا قام من الليل افتتح صلاته قال :

« اللهم ربَّ جبرائيل وميكائيل وإسرافيل ، فاطرَ السموات والارض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختُلِف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراطٍ مستقيم »]

*

هذا دعاء – كما قالت عائشة رضي الله عنها – كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفتتح به صلاته من الليل وإنه كما ترى ... مسبوق بتوسلات إلى الله تعالى بأسمائه الحسنى ومع أنه صلوات الله عليه وسلامه مستجاب الدعوة ... ولكن مع ذالك كان لا يدعو إلاّ ويقرّب بين يديْ دعائه توسلاتٍ إليه تعالى. وما التوسل بحدّ ذاته إلاّ تمجيدٌ وتعظيمٌ وتقديسٌ لذات المتوسَّل إليه تبارك وتعالى وتقدّس . فما أعظم هذا التوسل حين يفتتح به قيامه في جوف الليـــل: « اللهمّ ربَّ جبرائيل وميكائيل واسرافيل، فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون » .

يمجّده عليه الصلاة والسلام ، بأنه ربُّ جبرائيل وميكائيل وإسرافيل ، وهم الأعيان من الملائكة وأعظمهم وأكرمهم على الله سبحانه وهم رسله إلى من يشاء من عباده ، رحمة أو عذاباً وانه تعالى ربّهم وخالقهم ، وهم عبيده لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون ولا يغفلون عن عبادة ربهم طرفة عين وهم من خشيته مشفقون .

ثم يقول ممجّداً ربَّه تعالى بأنه « فاطر السموات والأرض » أي خالقهما بما ومن فيهما وما بينهما ، وموجدهما من العدم لا شريك له ولا ربّ غيره ولا إلٰه سواه .

« **عالم الغيب والشهادة** » أي يعلم كل شيء مما يشاهده العباد، ومما يغيب عنهم ولا يخفى عليه منه شيء، ولا يعلم من الغيب شيئاً أحد من خلقه . . . إلاّ من ارتضى من رسول وأنه ﷺ يعظم ربه بأنه عالم الغيب والشهادة ، ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء . ثم يردُّ اليه الحكم بين العباد فيما اختلفوا فيه من الحق ويقول : أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون فأنت الحكم العدل الذي لا يجور .

قدّم كل هذه التوسلات اليه بتمجيدهِ وتعظيمهِ وتقديسهِ بأسمائه الحسنَى وصفاته العلَى ، ثم شرع يدعو فقال ﷺ : اهدني لما اختلف فيه من الحق بأذنك إنّك تهدي من تشاء إلى صراطٍ مستقيم ، أي اهدني إلى الحق الذي اختلف فيه الناس لا يهديني إليه إلا أنت ، إنك تهدي من تشاء ممن يستحق الهداية إلى الحق القويم والصراط المستقيم .

وهكذا فقد ردَّ المشيئة اليه تعالى في الهداية فهو يهدي من يشاء ويضل من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير .

إن هذه التوسلات والدعاء الذي تلاهــا بالإضافة إلى أنه تقرُّب إلى الرب تبارك وتعالى ودعاء اليه ورغبة ، فهو ولا شك تعليمٌ لأمته حتى تقتفيَ أثره ، وحضٌ منــه ﷺ ، حتى تقتديَ بفعله ، وتهتديَ بهداه ، وإنَّ خير الهدْي هدْي محمّد ﷺ .

الدليل الرابع

من أدعية النوم

وعن أبي هريرة رضي الله عنه وأرضاه قال : [كان رسول الله ﷺ يأمرنا إذا أخذنا مضاجعنا أن نقول : « اللهمَّ ربَّ السموات وربَّ الأرض وربَّ العرشِ العظيم ، ربَّنا وربَّ كل شيء ، فالقَ الحب والنوى، منزلَ التوراة والإنجيل والفرقان ، أعوذ بك من شرِّ كل شيء أنت آخذ بناصيته . اللهم أنت الأول فليس قبلَك شيءٌ ، وأنت الآخر فليس بعدَك شيءٌ ، وأنت الظاهر فليس فوقَك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيءٌ . اقض عنا الدَّين وأغننا من الفقر . »] أخرجه أحمد ومسلم والترمذي .

بأبي وأمي أنت يا رسول الله ، ما أعطفك على أمتك ، وما أحناك عليها ، أنت كما وصفك ربك (... بالمؤمنين رؤوف رحيم) صلّى الله عليك وعلى آلك وسلم تسليماً ، ما أشدَّك حرصاً بالخير حتى تتملَّى منه أمتك ، وما أخوفك عليها من الشر حتى ترتدع عنه ، نِعمَ المعلِّمُ أنت ، ونعمَ الأب أنت ، بل ونعم النبيّ والقائد ، والرسول الرائد ، تقودها في خير سبيل إلى خير غاية ، وتسير بها في أقوم نهج إلى أسلم نهاية . أرأيت يا أخي المسلم كيف يعلمنا الحبيب الأعظم الأدعية الطيبة الخيّرة . ؟

اسمعه ... وكأنه ينطق أمامَك بهـذا الدعاء الكريم ، والتوسل العظيم بالأسماء الحسنى ، اسمعه وهو يقول : « اللهم ربَّ السموات وربَّ الأرض وربَّ العرش العظيم » هذا تمجيد لله باسمه ربِّ السموات والأرض والعرش العظيم «ربَّنا وربَّ كل شيء » ثناء عليه بصفته الربوبية التي ربَّى بها العالمين بنعمته ، لا ربَّ لهم سواه « فالق الحب والنوى » أي يشقُّه في الثرى ، فتنبت منه الزروع على اختلاف أصنافها من الحبوب والثمار على تباين أشكالها وألوانها ، وطعومها ومذاقها رزقاً لعباده ، ليعلموا أنه المنعم وحده ، فلزم أن يكون هو المعبود وحده . فلا يعبدون إلهـاً غيره ولا ربّاً سواه .

ثم أثنى عليه وحمده على تنزيل كتبه على عباده، ليدلهم على الصراط المستقيم، ويهديهم إلى العمل بما أنزل فيها من الأحكام التي لا يأتيها الباطل، فلا يزيغ عنها إلا من شاء لنفسه الهلاك واختار لنفسه الكفر **«ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون»**.

ثم استعاذ عليه أفضل الصلاة والسلام من شرّ كل شيء... فما من شيء إلا والله آخذ بناصيته فانها كلها تحت سلطانه وقهره، وهو آخذ بناصيتها. ثم مجده بأنه هو الأول، وليس قبل الأول شيء، وأنه هو الآخر وليس بعد الآخر شيء وأنه هو الظاهر فما فوقه أحد قط، ظاهر في صفاته العلى الدالة على وجود ذاته، فلا ذات بلا صفات، ولا صفات بلا ذات، وأنه هو الباطن في ذاته العلية فليس دونه شيء، ذاته ليست كالذوات، وصفاته ليست كغيرها من الصفات، فهي ذات وصفات بلا تكييف ولا تجسيم ولا تأويل ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تشبيه. وهكذا فقد مجّدَ ربّه بذاته وأسمائه وصفاته، في كل ما تقدّم من توسلات. ثم شرع بالدعاء فقال: «اقض عنّا الدَّيْن، وأغننا من الفقر».

وهكذا فإن صلوات الله عليه وسلامه، لم يدعُ قبل أن قدّم بين يدي دعائه، هذه التوسلات المشروعة التي علّمه إياها ربه **«وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى»** ٣ – النجم ثم باشر بالدعاء اليه تعالى أن يقضي عنه الدين ويغنيه من الفقر وكان يأمر بذلك أمّتَه أن تدعوَ بهذا الدعاء وغيره من الأدعية.. حتى يستجيب الله دعاءها. هكذا سنّته ﷺ في دعائه أي لا يدعو حتى يتوسل إلى ربّه بما يرضيه، فهلاّ نتحاضُّ فيما بيننا على ذلك، ونتوسّل إليه تعالى، بمثل ما توسل وندعوه تعالى بمثل ما كان يدعو؟ **(قل إن كنتم تحبّون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم (٣١) قل اطيعوا الله والرسول فان تولّوا فان الله لا يحبّ الكافرين (٣٢)**) آل عمران.

نعم إنّ كنا نحب الله فيجب أن نقدّم برهاناً على ذلك، ودليلا يؤيد دعوانا، وإلاّ فتكون دعوانا بمحبة الله مجرد دعوى عارية عن الدليل، خالية من البرهان

وما دليل محبتنا إلا اتّباع رسول الله ﷺ حق الاتّباع ، وطاعته فيما أمر ، والانتهاء عما نهى ، فعندما نصدُق باتباعه ﷺ ، ونخلص بطاعته نكون قدمنا الدليل والبرهان... عندها يحبنا الله تعالى ، ويرفعنا الى مستوى المكانة التي وعدَناها : (**كنتم خير امة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ...**) ١١٠ - آل عمران .

إذاً ... فإنّ محبّة الله موقوفة ومرهونة ، باتباع رسوله ﷺ ، فلنجهد جميعاً بالاتباع ، نصاً وتطبيقاً ، وسلوكاً ، ومنهجاً ، وحالاً وقالاً ، لا نبغي عن سنته حِوَلاً ولا بدَلاً . عليه أفضل الصلاة والسلام .

الدليل الخامس

السؤآل بالقرآن

عن عمران بن حصين رضي الله عنـــه [أنه مرّ على قاص يقرأ ثم يسأل: فاسترجع[1] ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ القرآن فليسأل الله به، فانه سيجيء أقوامٌ يقرأون القرآن يسألون به الناس»]

رواه أحمد والترمذي

مما لا شك فيه، أن القرآن كلامُ الله تعالى: وكلامه تعالى وتقدّس صفة له سبحانه. فاذا قرأ المسلم القرآن، إنّما يقرأ ويتلو كلام الله تعالى وتبارك ليدّبرَ آياته، ويطبّقها على نفسه، ثم على من يعول. ويجعل القرآن بما فيه من عقائد وأحكام وأخبار، مرجعه في كل شيء فيحلُّ حلالهَ، ويحرمَ حرامَهُ، فيكون حجةً له لا عليه. وليسأل الله به حوائجه لتُقضى، ولا يسأل الناس به، يتعجّله ولا يتأجّله.

هكذا الأصل في قراءة القرآن، الذي أنزله الله دستوراً ومنهاجاً للعالمين. فمن غيّر نهجه، وبدّل ما أنزل من أجله، إلى مقاصد ومرادات تنحرف عن مراد الله سبحانه وتعالى من تنزيله، فيكون قد أزورّ عن الصراط المستقيم، والسبيل القويم إلى سبل تتفرّق به عن سبيله (**وأن هذا صراطي مستقيما فاتّبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذالكم وصاكم به لعلكم تتقون. (١٥٣)**) الأنعام.

---

(١) أي عمران بن حصين.

وقد انحرف المسلمون بالقرآن – إلاّ من رحم ربّك – إلى مقاصد انحرفت به عن المراد الذي شاءه الله تعالى لهذه الأمة المحمدية لتكون : **خير أُمة اخرجت للناس .**

فحققوا بذلك غاياتِ وأهدافَ أعدائهم الذين يهدفون إلى صرف المسلمين ،عن أوامر القرآن ونواهيه ، وحلالهِ وحرامهِ ، وعِبره وعظاتِه . وهكذا كان...

فجعل المسلمون قرآنهم : تمائمَ وتعاويذَ وأحجبةً ، ووصفاتٍ طبية ، وقراآتٍ على الأموات ، وترانيمَ تخرج بآياته الكريمة عن معانيها ، وتتعلق الأنفس بالترانيم دون المعاني ، فتنطلق الآهات والتأوّهات . لا على مجد الإسلام الضائع ، ولا على أحكام الكتاب المعطلة ، ولا على ما هم عليه من الانقياد إلى أغراض الكافر العدوّ اللدود ، بل من أثر النغمات الموسيقية التي أخضع القارىء القرآن وآياته إلى موازينها وإيقاعاتها ... ودليلنا على ذلك أننا إذا سألنا أصحاب الآهات والتأوّهات عن المعاني التي عقلوها من آيات الذكر الحكيم ... لوجدناهم في غفلة عن هدي القرآن ، لأن النفوس منصرفة إلى الألحان عن المعاني . ويقولون : ما شاء الله !! شيخنا قارىء على السبعة !! يردّدونها كالببغاء ، وأنهم والله لأجهل منها بالسبعة والتسعة والعشرة ... وهذا ما يسعى الكافر لتحقيقه ، فيصرف المسلمين عن الجهاد في سبيل الله ، والحكم بما أنزل الله ، وفهم مراد الله ، والعمل بمقتضاه .

يقولون : نقرؤه للبركة !!! ويا ليتهم يفهمون معنى البركة ، نعم يجب أن نقرؤه للبركة وما هي البركة ...؟ أليست البركة هي الزيادة والنماء ؟ زيادة في العقل ، ونماء في الفهم والعلم والعرفان فاذا عقلنا القرآن ، وفهمنا مضامينه ، وعلمنا أحكامه ، ونفذناها بدقة على مراد الله ، حصلت البركة والزيادة والنماء في كل شيء ، فكان الانطلاق ، والانعتاق ، والتحرير ، وكان البناء والعز والدولة والسلطان ، فلا نكتفي أن نكتب على الأوراق ، ونصرخ بالأشداق : أمة واحدة من المحيط إلى الخليج... نعم لا نكتفي بذلك ، لأن القرآن لا يقف عند هذا المطلب التافه... بل هو هدى ورحمة للعالمين ، ولسوف ترفّ بنوده وأعلامه

وتخفق شاراته وراياته، فوق كل سهل وجبل من هذه الأرض، وستستظل بها كل ذرة من ذراتها، وكل نسمةٍ من نسماتها، وكل برّ وبحر وفضاء، حتى يقضيَ الله أمره، وينفذ أحكامه، وترسو دولة الله وحدَها على الأرض.

من أجل هذا نزل القرآن... ولأجل هذا شرع الله تلاوته وقراءته، ليكون لجنوده في كل حرف يتلونه منه عشر حسنات لا أقول (الم) حرف، بل: ألف حرف لام حرف، ميم حرف. أجل يكون لكلّ جندي من جنود القرآن ثلاثون حسنة بمجرد تلاوته (الم) فكيف إذا كان دائم التلاوة، عميقَ الفهم، غزير العلم، قائماً بالحكم، شاكي السلاح، يـده على الزناد أبداً، تنطلق بندقيته، وقذيفتُه، وصاروخه، لأقل بادرة تبدر من أعداءِ الإسلام شرقاً وغرباً، جنوباً وشمالاً بالكيد للإسلام .. وليعتبرْ كل مسلم نفسَه جندياً للقرآن، تسيل نفسه على حدّالظُّبَى في سبيله، ومن أجل خلوده. وهذا أقصى ما يؤمّله ويتمنّاه.

لقد قدمت بين يدي هـذا الحديث الكريم، هذه المقدمة... حتى أصل بأخي القاريء المسلم الكريم، الى أغوار ما يهدف اليه هذا الحديث، من توجيه بليغ، ومقصد سام. وانني أعيده على مسامعك... حتى تتلوه مرةً ثانيـة بعد ما قرأت هذه المقدمة له: [من قرأ القرآنَ فليسألْ الله به، فانه سيجيء أقوام يقرأون القرآن يسألون به الناس]. أجل... إذا سأل به الله تعـالى، يكون قد استعمله فيما أنزله الله. واذا سأل الناس به، فيكون قد غيّر الوجهة التي أنزل من أجلها، الى وجهة أخرى .. وترك سبيل الله واتبع السبل...!!؟ فتفرّقُ به عن سبيله.

فالذي يقرأ القرآن اذاً. عليه أن يقرأه ليفهمَه ويعملَ به، ويستهديَ بهديه ويقيم أحكامه... فإذا سأل الله به متوسلاً... كانت الاستجابة قريبـة ومأمولة. فتكون قراءة القرآن من أقرب القربات، وأعظم التوسلات، لأن القرآن كلام الله، وكلامه صفة له، والتوسل اليه بصفاته العلى، من أعلى أنواع التوسل المشروع. اقرأ القرآنَ في السلم... واقرأه في خط النـار، وتوسل بما قرأت اليه تعالى أن ينصر الإيمان على الكفر، والتوحيد على الشرك، واقرأه

وتوسل به في أيـة حاجة لك مشروعة ، فإن الله سبحانه يستجيب دعاءك ، ويعطيك سؤلك ، ويمليك مـــا تتمنَّى ، في أي حاجة من حاجات الدنيا والآخرة .

★

أما اذا سألتَ الناس به ، وتعجّلت أجرَك منهم ، ولم تتأجله من ربّ العالمين فقد أغضبتَ الله ، لأنك غيرتَ الوجهة التي من أجلها أنزل القرآن ... وفي ذلك معصية الرب فمن ساعدك على المعصية ، فهو شريكك فيها .

أصبح القياد في يديْك ، فإنك تستطيع أن تجعل قراءتك نوراً لك ، وهداية تخرجك من الظلمات إلى النور ، وسبيلاً صحيحاً ، ومنهجاً سليماً ، للوصول الى رضاء الله تعالى ، وثوابـه وعطائه في الدنيا والآخرة .. وتستطيع أن تجعل قراءتك حسرة عليك تتعجلها من الناس ، وتشتري بهـــا ثمناً قليلاً ، في غير طاعته ... تقرأه على القبور وللأموات والله تعالى يقول : **(إن هو إلا ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين)** إن هذا القرآن نذير للأحيـــاء يفهمونه ويعقلونه ويعملون به ، لا للأموات الذين غدوا الى ما عملوا في الدنيا ، وانقطع عملهم منها بوفاتهم ، إلاّ من صدقة جارية ، وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو لهم ، وكل ذلك من كسبهم في الحياة الدنيا .

اتّضح لك ما هو المقصد الكريم من قوله ﷺ : [من قرأ القرآنَ فليسأل الله به ، فإنه سيجيء أقوام يقرأون القرآن يسألون به الناس] .

وشتّانَ بين من يسأل به الله ومن يسأل به الناس ... وهل ما عند الناس كما عند الله ؟ وأي شيء يملكه الناس ...؟!! ومن أين ما عند الناس ... أليس هو مما عند الله ، ومن ماله ورزقه ... ؟ فإذا كان ما عند الناس هو من الله ، فهلاّ سألنا به الله الذي له ملكوت كلّ شيء ... وربّ الناس ، وربّ ما عنـــد الناس ...؟ وهلاّ تقرّبنا إليه تعالى بما يحب ويرضى ، ولم نبعْ عطاءَ الله بعطاء الناس ؟

أجل ... إن مراد النبي ﷺ ، أن يتعلّق المسلمُ بربه ، ويرغب اليه بالدعاء ،

ويقدّم بين يدَيْ دعائه توسّلاً مشروعاً أقرب ما يكون للاستجابة ، وأن يقطع المسلم كل أمل إلاّ منه تعالى ، وليرجو ما عند الله ، وينقطعَ رجاؤه مما عنـــد الناس ، حتى يكونَ حقـاً عبد الله لا عبد أحدٍ غيره ، وأن يتقرّب به إليه ، وبكلامه إلى حضرة قدسه ، وبسائر صفاته العُلَى وأسمائه الحسنى إلى جنابه تعالى وتبارك وتقدس . وهل يشتري بُعدَ الله بقرب الناس ... إلاّ من سفه نفسه .. !!!؟

القرآن... وتلاوة القرآن، وإمعان النظر بمعانيه، وتدبره وتفهمه، وتطبيقه على النفس ، والأهـــل والولد ، وسائر من ترعى وتعول ... هي القرُبات المقبولة المستطابة ، والتوسلات المطلوبة المستجابة . كيف لا ، والقرآن :

[كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم ، هو الفصل، ليس بالهزل ، من تركه مـــن جبار قصَمَهُ الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضلّه الله ، وهو حبلُ الله المتـين ، وهو الذكرُ الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيـغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسن ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا يشبع منه العلماء ، من قال به صدق ، ومن عمل به أُجِر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا اليه هُدِي إلى صراط مستقيم][1] .

فاذا أنت قرأته يا أخي المسلم، مستحضِراً هذه النعوت الكريمة، والأوصاف العظيمة ، علمت عِظم ما تتوسل به إلى الله تعالى ، وأيقنت منه بالاستجابة لانه كلامُ الله ، والكلام صفة المتكلم والتوسل اليه تعالى بكلامه ، توسل اليه بصفة من صفاته العُلَى ، وهو عملٌ يحبّه ويرضاه ، بل هو من أقرب القربات إليه .

لا سيما وأن رسول الله ﷺ يقول : [لكل قارىء قرآن دعوة مستجابة] أي أن من يقرأ القرآن ويتوسل به إلى الله ثم يدعو ... كانت دعوته مستجابة.

وأرجو أن لا يفهم أن مجرّدَ القراءة بدون عمل وتطبيق لما قرأ. يمكن أن تكون دعوته مستجابة ... لا بل عليـه أي على القارىء أن يعزم على تطبيـق

(١) رجح مخرّج أحاديث الطحاوية : أنه من كلام علي رضي الله عنه

أحكام ما قرأ بقدر استطاعته .. حتى تكون دعوته مستجابة . وأما من يقرأ ويفهم، ويستطيع أن يطبق ولا يطبق ... فقد يكون عمله هذا من أسباب عدم القبول والعياذ بالله تعالى من غضبه ونقمته .

اللهم إنا نتوسل اليك بالقرآن العظيم، وبما نتلوه منه، وما نعمل به ونطبق من كلامك الكريم ، أن تهدينا إلى أحكام كتابك ، وأن تقوّينا على الأخـــذ بها ، والحكم بمقتضاها في كل شأن من شؤون الحياة .

اللهم أعنّا على إقامة دولة الاسلام من جديد ، واشدد أزرنا لتحقيق هذه الغاية ، حتى ننصر دينك ، ونعليَ كلمتك ، أو نهلك دون هذه الغاية ، ونسقط من أجلها شهداء ابتغاءَ مرضاتك ، ولوجهك الكريم .

اللهم وفقنا للقول والعمل ، ولا تجعلنا نقول ولا نعمل ، فما تأخر المسلمون ، ولا سقطت بلادهم بلداً بلداً في أيدي الأعداء إلا لما اكتفوا بالقول دون العمل .

(يا ايها الذين آمنوا لم تقولون مـــا لا تفعلون(٢) كبر مقتاً عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون (٣) ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص (٤))الصف.

اللهم الهمنا القول الصحيح الذي ترضاه يارب العالمين ، ووجهنا وجهة كتابك وسلكنا محجّة نبيك عليه أفضل الصلاة والسلام ، وأعِدْ لنا الخيريّة التي وصفتنا بها أول مرة : (كنتم خير أمة أخرجت للناس ...) وأسبل علينا الهيبة التي أسبلتها علينا يوم الجهاد الأول ، اللهم وحّدْ كلمة المسلمين ، وردّهم إلى دينك رداً جميلا . وأجمعهم تحت راية الإسلام ، وحكم الإسلام ، اللهمّ ثبتهم على الحق ، في ميادين الحق ، والدعوة إلى الحـــق . وصلّى الله على محمد وعلى آل محمد وسلّمَ تسليماً كثيراً .

٢

توسل المؤمن إلى الله ...

بأعماله الصّالحة

وأدلّته مِنَ القرآن الكريم

توسل المؤمن إلى الله ...

بأعماله الصالحة

وأدلته من القرآن الكريم

★

كما أن الله تعالى أرشد عباده المؤمنين ، إلى التوسل إليه جلّ وعلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى .. فقد أرشدهم كذلك إلى نوع آخر من التوسل المشروع . وهو : التوسل إليه بالأعمال الصالحة أي توسل المؤمن اليه عز وجل بأعماله وطاعاته المقبولة عند الله تعالى، وآية القبول : أن تكون خالصة لوجهه تعالى ، وأن تكون طبق ما أمر . فإذا جمعتِ الأعمالُ هذين الشرطين فهي مقبولة عند الله تعالى . وإنك يا أخي المسلم تستطيع أن تعلم فيما إذا كانت أعمالك مقبولة أو غير مقبولة . فانظر فيها وتأملها ... أهي خالصة لوجه الله ، لا رياء فيها ... ولا حباً بسمعة وإطراء من قبل الناس ؟ ثم أهي موافقة للأمر الذي أمره الله تعالى في كتابه وسنة نبيه ، لا بدعة استحسنتها... ولا رأياً أو هوى تعلق به قلبك دونما دليل شرعي ... فإن كانت لوجه الله ، وطبق ما أمر فأبشر فإن عملك مقبول ، فتقدّم وتوسل به إلى الله تعالى ، ثم ادعُه بما شئت فإن الله تعالى يستجيب لك عاجلا أو آجلا متى شاء

وكما أنني وضعت أمام ناظرَيْك أمثلةً وأدلة من القرآن الكريم والسُنّة الصحيحة على التوسل إليه تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العُلَى ... فكذلك سأضع أيضاً أمامَك أمثلةً وأدلة من القرآن والسُنّة، على التوسّل إليه تعالى بالأعمال

الصالحة ، وسأبدأ - كما فعلت في الفصل الاول - بذكر الأدلة القرآنيـة على التوسل اليه جل وعلا بالأعمال الصالحة ، التي يفعلها المؤمن طاعة لله كما أمر ولوجهه الكريم . وإن الآيات التي تدل على ذلك ، إن هي إلا تعليم من الله تعالى لكي نتأسى بمن عمل بهـا من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومن إخواننا المؤمنين والمسلمين الذين سبقونا بالإيمان حتى نقتديَ بأعمالهم ، ونهتديَ بهـا ، لنفوز بما فازوا به من الرضوان والقبول منه تبارك وتعالى وتقدس .

الأمثلة والأدلة من القرآن الكريم كثيرة جداً ... وحسبنا أن نختار لك بعض آيات نضعها أمام عينيك لتكون لك يا أخي مثالاً تحتذيه ، وأدلةً تطمئن بها نفسك ، ويستيقنها فؤادك ، وتكون لك أبداً حجةً تحتج بها ، في كل مضمار تتعرض فيه للنقاش في هذا السبيل ، وتدعو إلى الحق الذي وضح لك سناه ، واستبان هداه .

قلت إن الأمثلة والأدلة من القرآن الكريم على التوسل اليه تعالى بالأعمال الصالحة كثيرة ، ولعلَّ أعظمها دلالة ، وأصدقَها مثلاً على هذا النوع من التوسل المشروع ، هو ما أرشدنا الله إليـه في سورة الفاتحة الجليلة العظيمة ، التي هي أم الكتاب ، وأم القرآن ، والسبع المثاني ، فإن هذه السورة العظيمة أجملت ما في القرآن من المعاني ... ولعل القرآن وما فيـه من التوحيد والأحكام والأخبار ، شرح لما حوت سورة الفاتحة . .

أجل إنـه شرح مفصل ، وأكرم به وأعظم مـن شرح ، وأكرم وأعظم بالفاتحة مـن مقدمة جليلة شاملة ، داعية إلى هـذا الكتاب الجليل ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد .

وها أناذا واضع أمام عينيك هذه السورة الكريمة ... فلندرسها معـاً في صدد ما نحن فيه من بحث التوسل بالأعمال الصالحة ... فهي توسل إليـه تعالى بالأسماء الحسنى كما هي في نفس الوقت توسل بالأعمال الصالحة ... فهي شاملة لذلك كله ، ولكننا استشهدنا بها في هذا الفصل ، لأنها تتعلق في أكثر معانيها ..

بما حواه أو سيحويه هذا الفصل ، من توضيح للتوسل بالأعمال الصالحة . فتعال يا أخي المسلم الكريم نتلوها معاً ونستطلع ما فيها من الشواهد الحقّة ، والأدلة المقنعة وبالله المستعان ، وحده لا شريك له .

الدليل الاول

الفاتحة

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣﴾
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٤﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٥﴾ صِرَٰطَ
ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴿٦﴾ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾

هذا نص هذه السورة الجليلة، ويحسن بنا أن نضع -يا أخي القارىء المسلم- أمامك مختصراً لتفسيرها، حتى يسهل علينا جميعاً ... بيان وجه التوسل الذي يكمن بين طيّات هذه السورة الكريمة .

لقد اشتملت أم الكتاب – وهي سبع آيات – على حمد الله، والثناء عليه، وتمجيده وأفراده بالعبادة والاستعانة، فلا يعبد إلا هو، ولا يستعان بأحد سواه. فلما تقدم الحمد والثناء والتمجيد، وإفراده بالعبادة والاستعانة، ناسب أن يُعقّب بعد ذلك ... بالسؤال والدعاء منه تعالى بالهداية الى الصراط المستقيم .

فمن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

[قال الله عز وجل : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل .. فاذا قال : (**الحمد لله رب العالمين**) قال الله : حَمِدَني عبدي . واذا قال : (**الرحمن الرحيم**) قال الله : أثنى عليّ عبدي، فاذا قال : (**مالك يوم الدين**) قال الله : مجّدني عبدي، وقال مرة . فوّض إليّ عبدي، فاذا قال :

(**اياك نعبد واياك نستعين**)قال : هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل ،فإذا قال : (**اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غـــير المغضوب عليهم ولا الضالين**) قال الله . هذا لعبدي ، ولعبدي ما سأل]

فقوله تعالى : «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين» أي قسم سورةالفاتحة نصفين . نصف له سبحانه وتعالى ، وهو قوله تعالى في النصف الأول :

(**الحمد لله ربّ العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالكِ يوم الدين ، إيَّاك نعبدُ وإياكَ نستعينُ**) أي هذا النصف الاول ، هو لله تعالى . وذلك لأن العبد حَمِدالله تعالى وأثنى عليه ومجّده ، وحصر العبادة والاستعانة فيه وحدَه لا شريك له .

فأما الحمد، فهو له خالص دون كل ما برأ من خلقهعلى النعم الظاهرةوالباطنة فاستغرق جميع أنواع الحمد وصنوفه لله تعالى . وهذا الحمد انما هو عمل صالح من العبد ، فلما حمده كان حَمدُه هذا من أجـلّ الأعمال الصالحـة ، وأي عمل صالح أعظم من حمدِ ربّ العالمين ، المالك المتصرف في كل ما خلق في جميع عـــوالم السماوات والأرض وما بينهما ، على اختلاف أجناس هذه المخلوقات وأصنافهم مما نعلم وما لا نعلم ، وما الله به أعلم . فلا شك أنه الحمدُ الذي استغرق جميعَ أنواع الحمد لله سبحانه ،ولا ريبَ أنه من أجلّ أنواع الأعمال الصالحة .

ثم أثنى العبد على ربه باسمَيْه : (**الرحمن الرحيم**) المشتقَّين من صفة الرحمة، التي هي صفة له جل وعلا. هذه الرحمة عامة لجميـع خَلقه . وانما وصف اللهنفسه بالرحمن الرحيم ، بعد قوله: (**ربّ العالمين**) ليكون من باب الترغيب بعدالترهيب ف. (**الرحمن الرحيم**) فيه ترغيب جاء من بعد (... **ربِّ العالمين**) الذي فيه ترهيب، وذلك مطابق للآية: (**نبىء عبادي أني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الأليم**) ٤٩ – الحجر .

ثم مجّد العبد ربّه فقال : (**مالك يوم الدين**) أي أنه تعالى وحده المالك يوم القيامة لا يملك معه أحد ذلك اليوم كملكهم في الدنيا ، اذ يجوز في الدنيا أن يقول أحد ما : هذا ملكي ... هذا ما لي ... أمّا في يوم القيامة ، ليس لأحد ملك ولا مال ،ولمّا قدموا على خالقهم .. لم يقدموا عليه بأموال، ولا أملاك

بل جاءوه فرادى كما خلقهم أول مرّة .. والملك يومئذٍ لله الواحد القهار .

فعندما يقول العبد : (مالك يوم الدين) انما يمجّد الله تعالى بأنه الملك والمالك وليس لأحد ملك معه .

وإنك لترى يا أخي أن صيغة : (الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين) جاءت بصيغة الغائب ولكن لمّا تلاها العبد : فحمِد الله وأثنى عليه ومجّده فقرُب منه ، لأنَّ هذا الحمد والثناء والتمجيد لما يقرّب إلى الله تعالى .. فلما قرُب العبد من ربه ، فكأنــه صار أمامه تماماً ، فناسب أن يخاطبه بصيغة المخاطب فقال : (إياك نعبد وإياك نستعين) فإن ربَّ العالمين وربَّ كل شيء والرحمن الرحيم بجميع عباده ومالك يوم القيامة وحده لا شريك له ومليكه .. يستحق أن يعبد وحده وأن يستعان به وحده . اذاً هو معبود بحق ، فلا يملك غيره هذه الصفات العلى ، ولا ينادى غيره بهذه الأسماء الحسنى ، فصاحب هذه الأسماء والصفات إلهٌ عظيم يحق أن تصمد له العبادة وحده وأن يستعان وحده في كل شيء ... فمن كانت له تلك الصفات الكاملة ... يستحق إفراده بالعبادة وحده لا شريك له .

وإنك يا أخي لتلاحظ في قوله : (إياك نعبد وإياك نستعين) انه قــدم العبادة على الاستعانة ، لأن العبادة هي الغاية ، وأن الاستعانة هي الوسيلة اليها. فاذا لم يُعن الله عبدَه على طاعته ، ولم يطلب العبد إعانته على ذلك ، لا تحصل منه تمام العبادة .. أي إننا اذا لم نجعل طلب الإعانة من الله وحده ، لا تكون العبادة خالصة له .

وهكذا فإن العبد بقوله (اياك نعبد واياك نستعين) إنّمــا حصر العبادة والاستعانة بالله وحده . ف (اياك نعبد) تبرّؤٌ من الشرك (واياك نستعين) تبرّؤٌ من الحول والطول والقوة ، والتفويض الى الله عز وجل .

لا شك يا أخي القاريء الكريم ، في أنك مقتنعٌ معي ، أن النصف الأولَ من الفاتحة هو لله تعالى خاصة ... لأنه مشتمل على الحمد له ، والثناء عليه والتمجيد لذاته العلية ، وإخلاص العبادة له ، واقتصار الاستعانة عليه .

أما النصف الثاني منها : (**اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين**) فإن هذا النصف الثاني ، هو للعبد .. لأنه يسأل الله فيه الهداية الى الصراط المستقم ، أي صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً . غير صراط الذين غضب الله عليهم ، الذين عرفوا الحق ومالوا عنه الى الباطل ، وهم يعلمون أنه باطل !!! وهم اليهود ، وكل من شابههم من الأقوام الآخرين ... الذين عرفوا الحق وأنكروه ، وكانوا حرباً عليه وعلى أهله . وغير الضالين الذين لم يعرفوا الحق ، ولم يهتدوا اليه ، ولا فتشوا عنه ، بل تخبطوا في كل مهمهٍ ... وتاهوا في كل قفر ، فضلوا سبيل الحق ، لأنهم لم يسلكوا الطريق اليه ، وهم النصارى.. ومن شابههم من الأقوام الذين ضلّوا سواء السبيل ، ولم يسلكوا طريق الحق ، ليوصلهم اليه ، فظلوا في ضلالهم يعمهون ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً .

هذه سورة الفاتحة الجليلة ، وضعتها بشطريها أمام ناظريك يا أخي الحبيب في الله موجزاً تفسيرها لك .. ولعلك تأكدت معي من أن الله تعالى أرشدنا فيها ، إلى التوسل اليه جل جلاله ، بحمده ، والثناء عليه ، وتمجيده ، وبإخلاص العبادة اليه والاستعانة به ، وحده لا شريك له . فلما قدّم العبد كل ذلك لربه تبارك وتعالى ، متوسلاً اليه بحمده والثناء عليه وتمجيده وإفراده بالعبادة ... ناسب أن يعقّب بالسؤال وطلب حاجته ، وما حاجته الا ّ أن يهديه الصراط المستقيم فقال : (**اهدنا الصراط المستقيم**) اذاً فانه لم يدعُ ، قبل أن قرّب عملاً صالحاً ، يكون له وسيلةً لقبول الدعاء ... وإنه لم يدعُ إلاّ لأنه يعلم يقيناً أنه لا يهديه الصراط المستقيم إلاّ هو وحده لا شريك له ...

فرفع اليه الدعاء ... موقناً بالإجابة . ثم أوضح مطلبه عن نوعية هذا الصراط المستقيم الذي يحصر رغبته بالهداية اليه فقال : (**صراط الذين أنعمت عليهم**) من النبيّين والصديقين والشهداء والصالحين... الذين سبقونا بالإيمان... ونهجوا في حياتهم المنهج القويم ، والصراط المستقيم ، الذي لا عوج فيه ولا انحراف ، أي (**غير المغضوب عليهم ولا الضالين**) أي غير صراط المغضوب

عليهم الذين استحقوا الغضب من الله لانحرافهم – على علم – عـن الحق الذي وضح لهم ... ولا صراط الضالين الذين تاهوا وضلوا بمتاهات بعدت بهم عن الحق ويحسبون أنهم على الهدى .

ان هذا الدعاء الواضح من جميع جوانبه ... والذي هو كلام الله الذي علّم به عباده المؤمنين أن يدعوه به بعد تقديم التوسلات المشروعة التي سبقته ، من حمد وثناء وتمجيد وإخلاص العبادة والاستعانة له ، لدعاءٌ عرف كل من يدعو به كيف يعرف الحق لأهـله ... أي علم أنه لن يهديه إلى الصراط المستقيم إلاّ الله ولن يجنبه مزالق الزلل ، ومهاوي الغضب إلا الله تعالى وتقدس .

فحقٌ لهذا الداعي من ربه أن يستجيب دعاءه ، ويهديه إلى الصراط المستقيم وهذا الحق ... إنّما هو حق أحقّـه الله على نفسه ... تفضّلاً منه وتكرّماً وامتناناً جل جلاله لا إلٰه غيره ولا ربَّ سواه .

على أن هذه السورة الكريمة ... على فضلها وجلالتها ، ووضوحها ودلالتها غرب عن أذهان « بعض الناس .. !!؟ » ما فيها من معاني التوسل إلى الله تبارك وتعالى الذي يحضّ هو على العمل به والتوسل به اليه .

وغاب عن عقولهم ، ما يَلفت الأنظار إلى ضرورة انتفاع قارئيها منها ، وما تدل عليه من الخـــير الذي من جملته هذه التوسلات العظيمة ... المفضية إلى استجابة الدعاء ... فعشوا عما فيها من هذا الخير ... وعموا عنه ... رغم أنهم يردّدونها في صلواتهم مرات عديـدةً . !!! كأن المراد من قراءتها ... سرد حروفها وألفاظها فحسب ،دون إمعان النظر في معانيها، ومعرفة ما يتضمّن هذا القول الحكيم من تعيين مراد الله من هذه السورة الكريمة المباركة.

تركوا ما فيها من توسلات كريمة ، يلجون بها إلى رحاب عفو الله ورحمته ومغفرته ... وتعلقوا بتوسلات غير مشروعة !!! فضلّـوا ... وأضلّـوا ... وذهبوا يحملون أوزارهم ، وأوزار من أضلوهم ... ولا أدري إذا كانوا يحسبون أنهم يحسنون صنعاً !!!؟ فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

الدليل الثاني

لا شك في أن من المعلوم لديك يا أخي .. أنه ليس في الفاتحة وحدها إرشاد إلى هذه التوسلات فحسب ... بل ان كتـــاب الله مليء بمثل هذه الإرشادات والأمثلة والأدلّة على التوسل إلى الله بالأعمال الصالحة .

وإليك يا أخي أدلّة وأمثلة عديدة من القرآن الكريم ، وآياته الخالدة ، بما يثبت لك ذلك :

قال الله تعالى في كتابه العزيز :

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ البقرة

أمر الله تعالى عبده ورسوله إبراهيم عليه الصلاة والسلام أن يبني بيته في مكة ، فذهب إليها ... ولما وصل ... رأى ابنه اسماعيل يبري نبلاً له ، تحت دوحة قريبة من زمزم ، فلما رآه ، قام إليه وصنع كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد ثم قال : يا إسماعيل إن الله أمرني بأمر .. قال فاصنع ما أمرك ربُّك . قال : وتعينني ؟ قال : وأعينك . قال : فان الله أمرني أن أبني ههنا بيتـاً ، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها .

فعند ذلك ، رفعا القواعد من البيت ... فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة ، وإبراهيم يبني . حتى إذا ارتفع البناء ، جاء بهذا الحجر [1] فوضعه له فقام عليه

(١) وهو الحجر الذي كان يقوم عليه ابراهيم عليه السلام في بناء الكعبة . وهو نفسه مقام ابراهيم الذي قال الله فيه : « واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى » .

وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة ، وهما يقولان : (ربنا تقبّلْ منا إنك أنت السميع العليم) .

تعالَ يا أخي القارىء المسلم ، ولنقف قليلا ... ونستعرض هـــذا العمل العظيم ... خطوة خطوة .. نرَ الامتثال لأمر الله ، في كل خطوة ، بارزةً فيه أخلاق النبوّة من الطاعة ، والتنفيذ .. دون أي زمن يفصل بين الأمر والطاعة

١ً – تنفيذ إبراهيم عليه الصلاة والسلام أمر ربه ببناء البيت ، وبسفره فوراً من فلسطين إلى مكة .

٢ً – قول إبراهيم : يا إسماعيل : إن الله أمرني بـــأمر ... ولم يسمّه له ، وجواب إسماعيل فوراً : فاصنع ما أمرك ربك . دون أن يسأله عنه .

٣ً – قول إبراهيم : وتعينني عليه ...؟ وجواب إسماعيل فوراً : وأعينك.

٤ً – مباشرتهما بالعمل : إبراهيم يبني ، وإسماعيل يناوله الحجارة .

إنها النبوّة الجليلة السامية ... تظهر واضحة جليّة . هكذا النبيّ ينفـذ أمر ربّه ، دون بحث أو سؤال عن نوع هذا الأمر ... وهكذا فإن أمر الله يجب تنفيذه فوراً .. دون السؤال عن الحكمة منه ما دام صادراً عن الحكيم العليم . هكذا كان موقف إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام .

بعد ان استعرضنا وإياك .. هذه المراحل الأربعة ، القولية والعملية ، لهذين النبيين الرسولين الجليلين .. فكـّرْ يا أخي بهذا العمل وشكل تنفيذه ... أتراه عملا صالحاً أم لا ... ؟ لا ريب أنك ستجيب فوراً : أكرم وأعظم به من عمل صالح عظيم ، كريم جليل. وكيف لا ... وهو تنفيذ أمر الله تعـالى ، بعمارة بيته المحرّم ، الذي جعل أفئدةً من الناس تهوي إليه . أجل أنه عمل صالح لا من آحاد الناس ... بل من أبي الأنبياء إبراهيم وبِكـْرِهِ النبي الرسول إسماعيل جدّ خيرِ الأنبياء محمّد صلى الله عليهم أجمعين .

وخليق ببناء بيت الله ، العمل الصالح العظيم ، أن يرفعاه وسيلةً صالحة طيبة إلى جناب الله تبارك وتعالى وتقدس ، يتقرّبان بها إليه عز وجل .

باشرا به فعلا ... ثم ابتهلا إليه عز شأنه : (ربنا تقبل منا إنك انت السميع

العليم ، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذرّيتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتبْ علينا إنك أنت التوّاب الرحيم) .

سألاه : أن يجعلهما مستسلمَيْن إليه عز وجل في كل أمورهما ، ويجعل من ذريتهما أمةً مسلمة مستسلمة له ، وان يعلـّمَهما مناسكهما وان يتوب عليهما إنه هو التواب الرحيم .

أرأيت يا أخي المسلم الكريم : كيف أن هذين النبيّين الرسولين الجليلين ، لمَ يدعوا الله قبل أن يقدّما له وسيلة إليه من العمل الصالح . . وهو بناء بيته المعظم . ؟

فإذا كان هذان النبيان الرسولان الجليلان ، لم يدعوا إلى الله عز وجل إلا وقرّبا اليه وسيلة من عملهما الصالح ... افلا يجدر بنا ونحن الذين استجيبت فينا دعوتهما فكنّا أمة مسلمةً من ذريتهما ، أن نتخذهما لنا أسوة حسنة وقدوة صالحة فيما فعلاه من تقديم إلى الله بالعمل الصالح ، فنسعى جاهدين أن يكون لنا دائماً عمل صالح . . نتوسل به إلى الله جل جلاله كما فعلا عليهما الصلاة والسلام .

ولعلَّ ذكر قصتهما هذه في القرآن ، حضٌ من الله تعالى على التأسّي بهما، عليهما أفضل الصلاة والسلام . اللهمَّ نحن على ملّة إبراهيم ، اللهم فثبتنا عليها إلى أن نلقاك وأنت راضٍ عنا يا ربّ العالمين .

(ومن يرغب عن ملة ابراهيم إلاّ من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين). (١٣٠) البقرة

الدليل الثالث

قوله تعالى :

لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ · البقرة

روى الإمام أحمد عن أبي هريرة قال [لما نزلت على رسول الله ﷺ :
(لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا مـــا في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير)
اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ ، فأتوا رسول الله ﷺ ، ثم جثوا على الركب وقالوا : يا رسول الله كلفنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة والصيام والجهاد

والصدقة ، وقد أنزلت هذه الآية لا نطيقها . فقال رسول الله ﷺ : « أتريدون أن تقولوا كما قـــال أهل الكتابَيْن من قبلكم : سمعنا وعصينا ؟ بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير » . فلما أقرّ بها القوم ، ونطقت بها ألسنتهم أنزل الله في أثرها : (آمن الرسول بما انزل إليه من ربّه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرّق بين احَــــد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير) فلما فعلوا ذلك ، نسخها الله فأنزل سبحانه: (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربّنا لا تؤآخذنا إن نسينا أو أخطأنا)] رواه مسلم ، ولفظه :[... فلما فعلوا ذلك نسخها الله فأنزل : (لا يكلّف الله نفساً إلاّ وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبتْ ربنا لا تؤآخذنا إن نسينا أو أخطأنا) قال : نعم . (ربّنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا) قال : نعم . (ربنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به) قال : نعم . (واعفُ عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) قال : نعم.] وفي رواية ابن عباس : [قد فعلت] .

يتضح من الآيات الثلاث خواتيم سورة البقرة ... ومن حديث الإمام أحمد ، ولفظ مسلم: أنه شقّ على المسلمين أن يحاسَبوا حتى على أحاديث النفس الخفية ... فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ ، وصارحوه بأنهم لا يطيقون ذلك .

لنقفْ هنا هنيهةً ... لنرى تأديب الرسول الأعظم لأمته ، ونصحَه المحض لها ... ولننظرْ كيف أدَّبهم ... قال عليه الصلاة والسلام بأبي هـــو وأمي : [أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابَيْن من قبلكم : سمعنا وعصَينا ...؟!!! بل قولوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير] .

هكذا الراعي الصالح والرسول الأمين يمحّض النصح والتأديب لأمتـــه ، ولولا هـــذه النصيحة الخالصة المحضة ، لهلك المسلمون من قولتهم : هذه آية لا نطيقها !!!

بأبي أنت وأمي يا رسول الله ... أشهـد أنك بلّغت الرسالة ، وأديت الأمانة ونصحت الأمة ، فجزاك الله عنّا وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

أجل علـّمهم ﷺ ماذا يقولون : (**سمعنا وأطعنا ...**) فلما أقرّ بها القوم ونطقت بها ألسنتهم ، أنزل الله في أثرها : (**آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ...**) هذه نتيجة لقولهم : سمعنا وأطعنا ... وهذا هو شاهدنا من هذا الحديث أي قولهم : سمعنا وأطعنا ... أجل سمعوا قول الله تعـالى : (**... وإن تبدوا ما في أنفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله**)ثم أطاعوا كما علـّمهم رسول الله ﷺ ، فما قولك بقولهم : سمعنا وأطعنا أليس هو عملاً صالحاً ...؟

أجل ... إنه عمل صالح ، وأي عمل صالح أعظم من السمع والطاعة ...؟

وهل الدين إلاّ سمع وطاعـة ..؟ السمع : أي استماع الأمر من آمره عز وجل، والطاعة : تنفيذ هذا الأمر بحذافيره دونما زيادة أو نقصان. إذاً :فالسمع والطاعة جماع العمل الصالح أو هو الدين كله... وما الدين إلاّ الأوامر والنواهي والائتمار والانتهاء ... وهكذا فانهم قدّموا هذا العمل الصالح ، وهو قولهـم : سمعنا وأطعنا ، ثم عقبوا بالدعاء فقالوا : (**غفرانك ربنا**) أي نطلب المغفرة منك يا ربّ مما أخطأنا بقولنا : هذه آية لا نطيقها ...

وانك لترى يا أخي المسلم إنهم لم يرفعوا الدعـاء إلى الله بالمغفرة إلاّ وقدّموا بين يدي دعائهم وسيلة بالعمل الصالح وهو: (**سمعنا وأطعنا**) ثم رفعوا دعاءهم (**غفرانك ربنا وأليك المصير**) .

ما ظنك يا أخي برب يستغفره عبده مخلصاً تائباً منيباً مقرّاً بذنبه ، راجعاً عنه إليه ، أتراه يطرده من رحمته !!!؟ أم يتقبّل دعاءه ويغفر ذنبه ...؟ (**قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً انه هو الغفور الرحيم**)٥٣-الزمر . أجل.. إنه تقبل دعاءه وغفر ذنبه .

وهنا أخبر الله تعالى أنه علم بما دار بـين الرسول ﷺ وبين أصحابه الأبرار رضي الله عنهم ، من الحديث ... تعليم رسول الله لهم ، تعلمهم منـه ، سمعهم وطاعتهم واستغفارهم فقال جل وعلا : (**آمن الرسول بما انزل اليه من ربـه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير**) . ثم نسخ ما أنزل

من قوله تعالى : (.. وان تبدوا ما في انفسكم أو تخفوه يحاسبكم بـه الله) بقوله تعـالى : (لا يكلّف الله نفساً الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) .

وهذا ولا شك تخفيف عن عباده ، فهو الذي خلقهم وهو الذي يعلم تحمّلهم ، إنما أنزل الآية الأولى اختباراً لهم ... أيقولون . سمعنا وأطعنا ، أم يقولون : سمعنا وعصينا ؟ وهو ولا شك أعلم بمـا سيقولون قبل إنزال الآيـة ... ولكنه أنزلها حتى تكون سبباً في تعليمهم ماذا يقولون ...وهكذا كان ... فعلمهـم رسول الله ﷺ إذا أرادوا أن يرفعوا دعاء للرب تبارك وتعالى أن يقدّموا بين يدي دعائهم توسلاً بالعمل الصالح ، ففعلوا ... فنسخ الله آية الاختبار ، بآيـة التكليف بالوسع ، وانه لا يثيب أحداً إلاّ بما كسبه من عمل صالح ، ولا يعاقبه إلا بما يجترحه من العمل السيء ، وهذا هو الفضل والعدل. (لا يكلف الله نفساً الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) . ثم شرع الله تعالى يعلم عباده كيف يتضرعون اليه فقال عز من قائل :(ربنا لا تؤآخذنا ان نسينا او اخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به واعفُ عنا واغفرْ لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين).

وفي هذه المناسبة الجليلة أذكرك يا أخي المسلم أن هذه الآيات هي خواتيم سورة البقرة التي عناها ﷺ بقوله : [أعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش] رواه أحمد عن أبي ذر .

والخلاصة فانه يتضح ممـا تقدّم كيف يعلّم الله ورسوله المؤمنين الدعـاء ، وأيًا من الدعاء يكون مستجاباً ... وهو الذي سبقه توسل إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة من السمع والطاعة والتوبة اليه سبحانه . ثم يلفت أنظارنا إلى أن الدعاء المستوفي شروط القبول ، يكون مقبولاً ، وأحياناً يقبـل فوراً .. فما علينا نحن المسلمين لو تمسكنا بهدْي الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وتقيّدنا بتعاليمها التقيد التام ، طالما نعتقد أنه لا يجيب للدعاء إلاّ هو سبحانه ، ونتمسك حرفياً بما أنزل ، دون أن نجتهد في أمره .. ! ويؤدي بنا هذا الاجتهاد إلى نسخ أمره

بأهواء ابتدعناها من عند أنفسنا ... !!! وهي : أن نتوسل اليه بأحد مخلوقاته دون العمل الصالح بداعي أنه ليس لدينا عمل صالح، ولا ندري إذا كانت أعمالنا مقبولة عند الله حتى نتوسل بها اليه ...

أرأيت يا أخي ، كيف يُدخل الشيطان هذه الشُّبه علينا ..؟ وبدلاً من أن نطرد وساوس الشيطان بالكتاب والسنة ، نسينا الكتاب والسنة ، وأحللنا مكانها هذه الوساوس التي سوَّلها لنا اللعين.. فأطعناه وعصينا الله ورسوله ، ونحن من جهلنا نحسب أننا نحسن صنعاً ... !!

ألا إنَّ الخير كل الخير ، والحقَّ كل الحقِّ ، أن نرجعَ إلى الوحيَيْن كتاب الله تعالى وسنّة رسول الله ﷺ ، ونعودَ إلى تعاليمها ، والاكتفاء بها ... فإذا عدنا إلى أحكامها ، وقارنّاها بواقعنا الذي نحن فيه، نتأكد تماماً أنّنا كنّا على الباطل ، ويحفزنا هذا التأكد .. للرجوع إلى الحق بدل التمادي في الباطل وما بعد الحق إلاّ الضلال .

الدليل الرابع

قوله تعالى :

هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٨﴾

آل عمران

يخبر تعالى أنّ في القرآن آياتٍ محكماتٍ هنّ أمُّ الكتاب ، أي واضحات لا التباس فيها ولا غموض على أحد . ومنه آيات فيها اشتباه في الدلالة على الكثير من النـــاس ، أو بعضٍ منهم . فالأصل في ذلك ردُّ المتشابه إلى المحكم . فمن فعل ذلك اهتدى ، ومن عكس انعكس .

هذه الآية الكريمة يعلّمنا ويأمرنا فيها جلّ جلاله ، أن نؤمن بكل ما نزل إلينا منه تعالى محكماً كان أو متشابهاً ، ونقول : (آمنا به كل من عند ربنا) دون أن نؤوّل المتشابه تأويلاً ، يخرج عن مراد الله تعالى فنقع في الزيغ .

إن شاهدنا من هذه الآية الكريمة ، قوله تعالى فيها : (آمنا به كل من عند ربنا) هكذا قول الراسخين في العلم ، والناس تبع لهم في ذلك ، لأن الله تعالى أخبرنا أن المتشابه لا يعلمه إلاّ هو ، والراسخون في العلم يقولون (آمنا به كل من

عند ربنا) أي آمنا بالمحكم والمتشابه أنهما من عند الله . ولا شك في أن هـذا الإيمان على الوصف الذي ورد ، أي مـا علمنا منه طبقناه ، وما لم نعلم أوكلنا علمه إلى الله تعالى، نعم ان الإيمان بذلك هو عمل صالح عظيم ، ندبنا اليه سبحانه وحضّنا عليه وأمرنا به . فالخروج عن أمر الله ، زيغ حذرنا الله منه ، أي إذا أوّلنا المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله ، بمـا تراه أهواؤنا يكون ذلك سبيلاً إلى الزيغ لا محالة . فحتّى لا نقعَ فيه ، أمرنا أن نتوسل إليه تعالى بالإيمان به وبما أنزل ، أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا إلى انه لا يعلم المتشابه إلا الله (وما يذكّر إلا أولوا الألباب) أي ما يتعظ بأمر الله والإيمان بما نزل وأنه جميعه حق وصدق ، ومـا يفهمه ويعقله ويتدبر معانيه على مراد الله ، إلاّ أولوا العقول السليمة والفهوم المستقيمة .

فبعد أن علّمنا الله تعالى التوسل اليه بإيماننا بمحكم آياته ومتشابهها ، أرشدنا إلى الدعاء بعد التوسل بقوله تعالى : (**ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب**) ليكون دعاؤنا هذا مستجاباً ، فقد دعوناه متوسلين اليه بإيماننا بما أنزل في كتابه الكريم ، أن يثبت قلوبنا على هذا الإيمان ولا يزيغها بعد إذ هداها إلى الحق ، إنه هو الذي يهب القلوب هدايتها ، ويجنبها الزيغ والضلال ، لا يفعل ذلك إلاّ هو وحده لا شريك له . إنـه هو الوهاب لا إله غيره ولا ربّ سواه .

أخي القاريء المسلم الحبيب : لا شك في أن كل داع إلى الله تعـالى : يودُّ ويرغب من صميمه ، أن يتقبل الله دعاءه ، ليحصل على ما يود ويرغب ... ولكن هل كل من يدعو يستجاب له ... ؟ فلكي يكون دعاؤه مستجابـاً ، عليه أن يتقيد باتباع الطريقة التي يرضى الله عنها في الدعاء .

وإن الداعي إلى الله تعالى على الطريقة الموافقة لإرشاده وهداه ... يحصل ولا شك على نتيجتين طيبتين .

١ً - يحصل على رضاء الله عن عمله ، ويثيبه عليه ... لأنه أخـذ بالهدى الذي دلّه عليه .

٢ً – يحصل على استجابة الدعاء ، فيحظى بالمطلوب الذي دعا الله من أجله.

أما الذي يهجر هدى الله في الدعاء ... ويتوسل إلى الله بتوسلات ما شرعها الله ، ولا هدَى اليها في كتابـه ، ولا في سنة رسوله ﷺ يحصل على نتيجتين عكسيتين تماماً .

١ً – عدم رضاء الله عنه فيما عمل ... لأنه ابتدع في دعائه طريقةً ليست من هدْي الله تعالى ، ولا من هدْي رسوله ﷺ ، وإن عدم رضاء الله يعني غضبه ، ولا شك ان الغضب مفضٍ إلى العقاب . فكما أن مـــن أطاع الله ، فله ثواب ، فكذلك من عصاه فله عقاب ، والعياذ بالله من عقاب الله .

٢ً – لا يستجاب دعاؤه ... فلا يحصل على مطلوبه الذي دعا الله تعــالى للحصول عليه لأنه أطاع الشيطان ، وعصى الرحمن .

وعلى هذا ... فإن الله تعالى لا يتقبّل عملاً ، إلا إذا كان راضياً عنـــه ، ومصداق ذلك قوله تعالى : (رب أوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه) وان العمل ، وان كان صالحاً في حد ذاته ... لا يتقبله الله إلا إذا كان راضياً عنه ، ومن أجل ضمانة رضاء الله عنه ، يجب أن يكون مطابقاً لشيئين :

١ً – أن يكون مطابقاً لشرع الله تعـــالى ، ومصداقه (فلذلكَ فادعُ واستقم كما أمرتَ ولا تتّبع أهواءهمُ ...) .

٢ً – أن يكون خالصاً لوجهه تعالى لا يبتغى فيه ، من مخلوق شيئاً ومصداقه : (وسيُجَنَّبها الأتقى الذي يؤتي مالَه يتزَكى . وما لأحدٍ عندَه من نعمةٍ تُجزَى إلا ابتغاءَ وجهِ ربّه الأعلى . ولسوفَ يرضى) .

الدليل الخامس

قوله تعالى :

﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٦﴾

آل عمران

يحسن بنا قبل أن نشرع بشرح الشاهد من هذه الآية الكريمة ، المستشهد بها في موضوعنا الذي نحن بصدده ، وبيان الحق من الباطل ... أن نرجع إلى ذكر الآيتين اللتين قبل هذه الآية ، حتى يتسنّى لنا ربط الموضوع ، وتسهيل فهم المقصود منه ، على القارىء المسلم الكريم .

قال تعالى :

(زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب(١٤) قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد(١٥) الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار(١٦) آل عمران) .

يخبر تعالى عما زُيّن للناس في هذه الدنيا ، من أنواع الملاذ والشهوات من النساء والبنين . فبدأ بالنساء ... لأن الفتنة بهنّ أشد . ثم بالبنين . ثم بالمال ... من الذهب والفضة ، والخيل المسوّمة ، والأنعام من الإبل والبقر والغنم والحرث أي الأرض للغرس وللزراعة .

ثم يخبر أن ذلك كله متاع الحياة الدنيا ، وزينتها الفانية الزائلة . (قل اؤنبئكم

بخير من ذلكم) أي مما في الدنيا من تلك الملاذ والشهوات، التي تقدم ذكرها ..فان الله تعالى قد أعدَّ (للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد) .

أي أن الله تعالى قد أعد كل هذا النعيم الذي لا يفنى ، والملك الذي لا يبلى، مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ... كل ذلك للمتقين (الذين يقولون ربنا إننا آمنا) أي آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره ، وما يستلزم هذا الايمان من الائتمار بالمعروف ، والانتهاء عن المنكر .

والإيمان في حدّ ذاته عمل صالح بل هو أساس كل عمل صالح ، فلاعمل صالحاً بلا ايمان . فلما صدر عنك الإيمان يا أخي ... كان ولا شك عملاً صالحاً عظيما ، كما أن صدور الكفر من العبد لا شك أنه عمل غير صالح .

فلما تقرب المتقون إلى ربهم بقولهم : (ربنا إننا آمنا)وتوسلوا إلى الله تعالى بإيمانهم ...أصبحوا قريبين منه بما تقدّم من الوسيلة الطيبة التي رفعوها إليه ، فناسب بعد هذا القرب منه تعالى ، أن يقدّموا الدعاء الذي يرغبون فيه إليه ، فقالوا: (. . فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار)أي بسبب ما آمنا فاغفر ذنوبنا وجنبنا عذاب النار الذي لا يطاق انك على كل شيء قدير .

إن هؤلاء الذين صدرت عنهم هذه التوسلات بإيمانهم وأعمالهم الصالحة ، شهد الله لهم بأنهم هم الصابرون على طاعاتهم ، الصادقون في عقيدتهم ، وأعمالهم ، القانتون الخاشعون في عباداتهم ، المنفقون أموالهم ، في طاعة الله كما أمر ، والمشفقون على أنفسهم ، المستغفرون من ذنوبهم قليلة كانت أو كثيرة ، المتيقنون بأن الله وحده غافر الذنب وقابل التوب ، فاستغفروه وتابوا إليه في الأسحار وجوف الليل في أوقات تجلّي الله على عباده فيغفر للمستغفرين ، ويتوب على التائبين .

هكذا ... فان الله تعالى أعطانا نماذج من أعمالهم وتوسّلاتهم الصادقة الطيبة حتى نتأسّى بها ونعمل مثلها. . . فإنهم آمنوا وصبروا وصدقوا وأنفقوا وقنتوا ثم طلبوا المغفرة .

وإن الله تعالى يمتدحهم بهذه الصفات الطيبة ، ويهيب بنـا أن نقتدي بهم . فكما أحب منهم هذه الصفات ... كذلك فانه تعالى يحبها منا أيضاً ، ومن كل عبد ،لنحصل على ما حصلوا عليه من الرضا والمحبـة والجنات الخالدات والنعيم الذي لا يبلى .

فهيا يا أخي المسلم إلى هذا الميدان ، ميدان الإيمان والعمل الصالح ... وفي ذلك فليتنافس المتنافسون . وان صدر منك الذنب فتوسل اليه تعالى بما أسلفت من الطاعات والأعمال الصالحة الطيبة ، فإنه يغفر ذنبك ، ويقبل توبك ... لأن الذي توسلت به اليه ... إنما هو توسل مشروع شرعه لك ، وباب مفتوح لقبول إنابتك اليه ، فهيا يا أخي إلى تلك الرحاب الظليلة الوارفة ، وإلى روح وريحان ورب غير غضبان .

الدليل السادس

قوله تعالى :

﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝ ﴾

آل عمران

يقول تعالى : (فلما أحسَّ عيسىَ) أي استشعر من بني إسرائيل ، التصميمَ على الكفر والاستمرارَ على الضلال . (قال من أنصاري إلى الله) أي من أنصاري في الدعوة إلى الله ؟ (قال الحواريّون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون . ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين) .

الحواريون : جمع حواري وهو الناصر . والحواريون هم أصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام الذين آمنوا بـه وعددهم اثني عشر رجلاً قالوا نحن أنصار الله ، كيف لا نكون أنصاره وقد آمنا به ، واشهد يا عيسى بأنا مسلمون ، ولا شك أن الإسلام هو دين الأنبياء ومن اتّبعهم من لدن آدم عليه السلام إلى نبينا عليه وعليهم أفضل الصلاة وأتمّ التسليم ، ثم وجهوا خطابهم إلى الله سبحانه فقالوا : (ربنا آمنا بما أنزلت) أي الإنجيل وهو كتاب الله الذي نزل على عيسى عليـه السلام (واتبعنا الرسولَ) أي المسيح عيسى بنَ مريم ﷺ (فاكتبنا مع الشاهدين) أي مع أمة محمد ﷺ قاله ابن عباس رضي الله عنه وهذا كقوله تعالى: (وجعلناكم أمةوسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) شهداء على الناس أي تشهدون للأنبياء يوم القيامـة أنهم بلغوا رسالات ربهم

لأقوامهم . والوسط ها هنا : الخيار وقد جعل الله أمــة محمد وسطاً لما خصها بأكمل الشرائع وأقوم المناهج وأوضح المذاهب .

روى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري قال:قال رسول الله ﷺ : [يدعى نوح يوم القيامة فيقال له: هل بلغت ؟ فيقول : نعم ، فيدعى قومه ، فيقال لهم: هل بلغكم ؟ فيقولون : ما أتانا من نذيرٍ وما أتانا من أحد . فيقال لنوح من يشهد لك فيقول: محمد وأمته. قال: فذلك قوله:(وكذلك جعلناكم أمة وسطاً)قال : الوسط : العدل ، فتدعون فتشهدون له بالبلاغ ثم أشهد عليكم] رواه البخاري والترمذي والنسائي وابن ماجة من طرقٍ عن الأعمش ومن حديث لأحمد عن أبي سعيد الخدري : ... فيدعى محمد وأمته . فيقال لهم : هل بلغ هذا قومه ؟ فيقولون: نعم. فيقال : وما علمكم؟ فيقولون : جاءنا نبيّنا فأخبرنا أن الرسل قد بلغوا . فذلك قوله عز وجل : (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً)] .

أخي القارِىء المسلم الكريم : وضعت أمامك تفسيراً مقتضباً للآيتـــين المتقدمتين لتأخذ فكرة عامةً عن معناهما ثم أشرع في توضيح الشاهد منها في بحثنا وموضوعنا الذي نحن بصدد تحقيقه :

لنعد قليلاً إلى أول الآية :(فلما احسَّ عيسى منهم الكفر قال من انصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصارُ الله آمنا به واشهدْ بأنا مسلمون) . إنّ قول الحواريين : (نحن أنصارُ الله آمنا به) الا ترى يا أخي في قولهم عملاً صالحاً ...؟ أجل إنـــه عمل صالح . وما قولك يا أخي بنصرة الله ورسوله والإيمان بهما ...؟ فإذا لم يكن ذلك عملاً صالحاً فأينهوالعمل الصالح...؟ لا شك ولا ريب في أنه عمل صالح، بل هو رأس العمل الصالح وأساسه أيضاً . ودليلنا قولهم لرسولهم : (واشهد بأنا مسلمون) أي واشهد عـــلى إيماننا وإسلامنا فشهادة رسولهم لهم بذلك هي شهادة حق بإيمانهم وإسلامهم وصدقهم في قولهم: (نحن أنصار الله آمنا به واشهد بأنا مسلمون) . ثم توجهوا إلى ربهم سبحانه وقالوا : (ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين) الذين يشهدون لعيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام، – في جملة ما يشهدون للأنبياء –

أنه بلغ قومه رسالة الله .

وانك لترى يا أخي... أنهم ما دعوا الله بهذا الدعاء... إلاّ وقدموا بين يدي دعائهم توسلاً بإيمانهم بالله تعالى، وبإيمانهم بعبده ورسوله المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام ، وبما أنزل عليه من الأنجيل ، وبما اتبعوا به هذا الرسول الكريم فيا دعاهم اليه من أمرٍ ونهي . وكل ما تقدم إنما هو توسلات بأعمالهم الصالحة ، الخالصة لوجهه تعالى. ثم عقبوا على ذلك بدعائهم قائلين: (فاكتبنا مع الشاهدين) أي بسبب ما آمنا بك وبعبدك ورسولك المسيح عيسى بن مريم صلوات الله عليه وسلامه وبالانجيل الذي أنزلته عليه وباتّباعنا له فيا أمر ونهى ... اكتبنا مع الشاهدين .

ولعلك أدركت يا أخي ... ان الأنبياء والرسل جميعاً ، على منهج واحد في التوسل اليه تعالى فلم يخبرنا الله أن أحـــداً منهم توسل اليه بأحد الأنبياء الذين سبقوهم ، ولا توسلوا اليه بملائكته ، ولا بأحدٍ من خلقه ... بل توسلوا اليه بما شرع لهم من التوسل الذي يرضي عنه بل وأمر به عباده جميعاً .

فإذا كان الأمر كذلك... ونعلم أن أعمال الانبياء والرسل وأعمال أصحابهم الذين اهتدوا بهديهم هي أحسن أعمال العباد قاطبة ، فما علينا إلا أن نتخذ لنا من أعمالهم وسيرتهم الحسنة الطيبة نبراساً لنا وهدى ، نسير على أساسه في كل أمورنا ... أفلا يكفينا ما كفى أولئك المصطفين من الناس ، وهم خيار الخيار، وصفوة الخلق .

ولهذا فان الله حضّنا على ذلك ... لنقتفي آثارهم ، ونتعقّب خطـــاهم ، ونسلك ما سلكوه من الهدى والحق والخير وإنا إن شاء الله لفاعلون .

الدليل السابع

قوله تعالى :

وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ
وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا
وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا
وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ آل عمران

لقد عاتب الله بهذه الآيات من انهزم يوم أُحد ، وتركوا القتال لما سمعوا الصائح يصيح بأن محمداً قد قتل، فقال تعالى : (**وكأيّن من نبيّ قاتل معه ربّيّون كثير**) أي وكم من نبيّ أصابه القتل ومعه ربّيون أي جماعات فما وهنوا بعد نبيهم وما ضعفوا عن عدوهم ، وما استكانوا لما أصابهم في الجهاد في سبيل الله والدفاع عن دينهم وذلك الصبر (**والله يحب الصابرين**) .

لا شك أن الجهاد في سبيل الله تعالى من الأعمال الصالحة العظيمة التي تقرب صاحبها إلى الله سبحانه ، وإنه جل وعلا يعطينا أمثلة عن الذين كانوا يجاهدون مع أنبيائهم فقد يقتل نبيهم في سبيل الله، إنما يبقى من بعده أصحابه ، يواصلون الجهاد ، فلم يضعفوا ولم يستكينوا بعد نبيهم ... بل ثبتوا وصبروا ، ورفعوا دعاءهم اليه متوسلين بصبرهم في ساحات القتال على مناجزة الأعداء ، أن يغفر الله ذنوبهم ويثبّت أقدامهم ، فلا يفرّون من المعركة حتى ينصرهم الله، أو يلقوه

شهداء ، راضياً عنهم ومثيبهم بما أعدّ لهم في الجنات الخالدات من الكرامـة .

إذاً فالشاهد من هذه الآيـة هو ثباتهم وصبرهم في المعركة ، فما وهنوا ولا استكانوا بعد نبيهم وهذا كله من أعظم الطاعات والقربات اليه تعالى فتقربوا بها متوسلين اليه بها أن يغفر ذنوبهم وإسرافهم وأن يثبّت أقدامهم ، ويهبهم النصر على القوم الكافرين ، فتقبل الله وسيلتهم ودعاءهم بالنصر فقال تعالى مخبراً بذلك:

(**فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين**) أي آتاهم ثواب الدنيا ، وهـو النصر على الأعداء الكافرين ، وتوريثهم ديارهم من بعدهم ، وإضفائه عليهم أثواب العز والمجد ، والسؤدد والكرامة ، والتمكين في الحكم... هذا عدا عما ادّخره لهم عنده سبحانه من الثواب العظيم الدائم، بأحسن ما يجزي به عباده المخلصين المحسنين ، لأنهم قدّموا إلى الله تعالى أحسن الطاعات وهو بذل الأرواح والمهج رخيصة في سبيله، ومن أجل إعلاء كلمته فكان ذلك.. جزاءاً وفاقاً ، قدّموا عملاً حسناً ... فجوزوا عليه بثواب أحسن .

هكذا يروي لنـا الله سبحانه من سيرة السالفين من اخواننا الذين سبقونا بالإيمان أخباراً وعلوماً عنهم ، يعلّمنا فيها كيف نرفع العمل الصالح اليـه ، ونتقرب به منه ، ونتوسل به إلى جنابه العلي العظيم ، حتى إذا دعوناه بالنصر وغفران الذنوب ، والفلاح في الدنيا ،والنجاح في الآخرة ، واستجاب لنا دعاءنا بما قدمنا اليه من وسيلة العمل الصالح .

هذا ما يريده الله منا ، وهذا ما يأمرنا به من العمل ... أما إذا عزفنا عن هداه وعمّا ندبنا اليه ، وحضّنا عليه من الجهاد والعمل الصالح ، فيعاقبنا بمثل ما نعانيـه اليوم من الذل والهوان ، وذهاب القوة ، والاستسلام إلى الأعداء . لأننا خلدنا إلى الخمول ، وتركنا الجهاد في سبيله تعالى ، وتفرقنا طرائقَ قدداً ، كل حزب بما لديهم فرحون ... فأصابنا الوهن .

ولو أننا نفّذنا أوامره ، وأحكامه ، والهدي الذي أنزله علينا ، فحفظنا أنفسنا وذدنا عن حدودنا، ودافعنا عن حياضنا ما كان للكافرين علينا من سبيل والله قد وعدنا : (**ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً**) فلنصارح إذاً

أنفسنا بأننا لسنا مؤمنين حقاً !!! ولذلك فقد جازانا الله تعالى ، بأن جعل للكافرين علينا سبيلا جزاءً وفاقاً ...

على أن الطريق اليه تعالى ما تزال مفتوحة ، وسالكة واضحة ... فلنرجع اليها سالكين سبيله المستقيم ، هاجرين سبل غيره كيلا تتفرق بنا عن سبيله .

وما سبيله إلاّ الرجوع إلى ما أنزل من الحق ، متبعين أحكام كتابه ، وبيان سنة نبيّه عقيدة وعبادة وعملا ، فهي الوسيلة الوحيدة المقبولة ، لاستجابة دعائنا وقصدنا . عندها يحررنا من ربقة أعدائنا ، وينصرنا عليهم في كل ميدان، لأننا قدّمنا وسيلةً اليه هو الذي حضّنا عليها وهي العودة إلى شرعه الكامل، والحكم على أساسه ... ثم لنجرّبْ ...!! ولننظرْ ... أيبقينا الله أذلاء مهانين ... أم يعزّنا في الدنيا ، ويسعدنا في الآخرة فإنه لا يذلّ من والاه الله ، ولا يعزّ من عاداه .

أجل ... فلنجرّبْ ... ونحن واثقين غير حيارى ولا متردّدين ، انه سينصرنا ويجعلنا كما كنا : (خير امة اخرجت للناس) . فهيّا ... وهيّا ... وحيّ على الفلاح ... ولمثل هـذا فليعمل العاملون ... وبهذه الوسائل المقبولة فليتنافس المتنافسون .

الدليل الثامن

قوله تعالى :

إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ
يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا
خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ
وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ آل عمران

يقول تعالى: (إن في خلق السموات والأرض) أي بما فيهما من الآيات العظيمة (واختلاف الليل والنهار) أي تعاقبهما وتعارضهما من طول وقصر واعتدال . كل ذلك تقدير العزيز العليم (لآيات لأولي الألباب) أي العقول التامة ، الزكية المستقيمة التي تدرك حقائق الأشياء . ثم وصفهم بقوله تعالى : (الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم) أي يذكرونه في جميع أحـــوالهم ... على اختلاف معاني الذكر (ويتفكرون في خلق السموات والأرض) أي يتأملون ما فيها، ويفهمون الحكم الدالة على عظمة الخالق وعلمه وحكمته واختياره ورحمته ويقولون : (ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار) أي ربنـــا ما خلقت هذا الكون عبثاً ، بل بالحق والعدل ، وسبحانك عن العبث ، فأنت أجل وأعظم وأقدس وأنزه من أن تفعل عبثاً أو باطلاً .

فبسبب ما نزهناك ، ومجدناك بذاتك وأسمائك وصفاتك وأفعالك . وأنت

حقيق بكل ذلك ... جنبنا عذاب النار ، وارحمنا منها بفضلك وإحسانك ، ويسرنا بتيسيرك لما تحب وترضى عنه من الأعمال الصالحة . (ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته وما للظالمين من انصار) أي لا مجير لهم منك يوم القيامة ولا محيد لهم عنك .

لقد وضعت يا أخي المسلم بين يديك تفسيراً مقتضباً لهذه الآيات الكريمات، لنستعين بهذا التفسير على فهم شاهدنا منها ... ونتدرج للحصول على ما نبتغي من صحة ما نذهب اليه من فهم التوسل المشروع وذلك بالأدلة الشرعيـة التي تثبت ذلك .

إن أولي الألباب الزكية، والعقول المستقيمة ، الذين يفكرون بعمق وتدبر، في هذه المخلوقات العلوية والسفلية، تتضح لهم آفاقٌ جديدةٌ من الفهم ، والأدلة الواضحة ،على إثبات وجود الخالق العظيم. ويدفعهم بالحجة والبرهان، إلى الإقرار عن بحث وتدقيق، بعظمة الله وقدرته وسلطانه،فيذكرونه بما يستحق من التوحيد والتمجيد والتعظيم في جميع أحوالهم لا يفترون عن ذلك أبداً. لأنهم أينما اتجهوا وكيفما نظروا ، تتجلّى لهم معرفة هذا الربّ العظيم ، في جميع صفاته وأفعاله ، وتتضح حقيقتها عندهم ، فيكون ذكرهم لله جـــل وعلا شاملاً كل ما في معاني التذكر من أنواع . إذ ليس الذكر مقتصراً على الذكر الشفهي فحسب ... لا.. بل هناك أنواع منوعة من الذكر ، ومنها الذكر الشفهي . فإن من يمحّص ويدقق في آيات القرآن ، تتضح له هذه الأنواع ، ويرى: أن القرآن ذكر ، وتلاوته ذكر والصلاة ذكر ، والآذان ذكر ، والتـذكر ذكر ، والتفكر ذكر ، والدعوة إلى الله تعالى ذكر ، والعلـــم ذكر ، وحلق العلم ذكر ، والذكر الشفهي بالتسبيح والتحميد والتمجيد والتكبير ، والتهليل ذكر أيضاً، إنما يجب أن يكون موافقاً لما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من تعريف ... لا أن ندخل فيه أهواءنا وآراءنا[1] ... فكما أنه يجب أن نصلي ونزكي ونحجّ ونصوم طبقاً لأوامر الله تعالى

(١) سنفرد رسالة خاصة في تحقيق معنى أنواع الذكر ونقارن بين الذكر الشرعي ، والذكر البدعي الذي عليه بعض الطرق ... في زمننا هذا هدانا الله واياهم سبل الرشاد .

دونما زيادة أو نقصان فكذلك الذكر يجب فيه التقيد بما جاء عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ من تعريف وأحكام لا يتعداها إلى ما تهوى الأنفس. وانظر يا أخي ما جاء في الكتاب العزيز من وصف وتعريف للذكر: (**واذكر ربك في نفسك تضرّعاً وخيفة ودون الجهر من القول**) وقوله تعالى: (**إنما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم**) وقوله ﷺ: [... ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه] إلى مـــا هنالك من الآيات العديدة، والأحاديث الكثيرة في تعريف الذكر والذاكرين ... على مراد الله وما بلغ رسوله صلوات الله وسلامه عليه.

إن من يذكرون الله دائماً في غدواتهم وروحاتهم في أعمالهم وراحتهم، وعند نومهم واضطجاعهم وفي صلواتهم قياماً، فان لم يستطيعوا فقعوداً، أو لم يستطيعوا فعلى جنوبهم... أجل أن من يذكرون ويتفكرون فيما خلق الله، يفيض الاعتراف بالحق عن مشاهدة وفهم وقرب، بأن الله ما خلق الخلق إلاّ بالحق، ويتخذون من ذكرهم بكل ذلك، وسيلة إلى الله تعـــالى في قبوله دعاءهم بأن يقيهـــم عذاب النار التي لا تطاق. فجعلوا تذكّرهم وذكرهم وصلواتهم قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم وسيلة شرعية اليه، ليتقبّل أعمالهم ودعاءهم. وهكذا فانهم لم يدعوا إلاّ وقرّبوا بين يدي دعائهم توسلات يحبها الله ويرضاها ... أجل... إنهم توسلوا إلى الله تعالى بذكره سبحانه على اختلاف أنواعه ... وهو ولا شك عمل صالح عظيم، تقربوا اليه جل وعلا ودعوه مبتهلين: أن يدخلهم الجنة، ويقيهم عذاب النار، وتضرعوا اليه أن لا يخزيهم يوم القيامة بإدخالهم النار، فإن من يدخلها فقد باء بالخزي العظيم، وليس له من الله من ولي ولا نصير. اللهم علمتنا فتعلمنا وأمرتنا فأطعنا، اللهم فزدنا علماً وعلمنا العلم الذي لا جهل معه وسلكنا صراطك المستقيم، وجنبنا السبل حتى لا تتفرق بنا عن سبيلك القويم، واجعلنا نقوم بما أوصيتنا، كي نتقي غضبك، ونحظى برضاك، ونـفوز بجنّتك التي وعدت المتقين.

الدليل التاسع

قوله تعالى :

رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ آل عمران

وقوله تعالى : (ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا ...) هذه الآية الكريمة واضحة وضوحاً تاماً ، وظاهرة ظهوراً لا خفاء فيه ولا غموض، بأن الإيمان عمل صالح عظيم بل هو رأس الأعمال الصالحة، بل هو ركيزتها وأساسها المتين . وكل عمل مهما كان صالحاً في ذاته ، وغير مرتكز على الإيمان فهو هباء منثور . ولا شك أن الإيمان وسيلة مقبولة عند الله تعالى لتقبل الدعاء .

ولهذا ترى أن أولي الألباب يقولون : (ربنا إننا سمعنا منادياً) أي يا ربنا إننا سمعنا عبدك ورسولك محمداً صلوات الله وسلامه عليه ينادي في الناس كما أمرته : (أن آمنوا بربكم) الذي خلقكم وأنشأكم فهو أحقّ بالعبادة ... (فآمنا) أي صدّقناه وأطعنا ما أمرتنا به وما دعانا اليه ، لأن ما جاء به إنما هو

منك ، وإنك أنت الذي أرسلته للناس كافة ليخرجهم من الظلمات إلى النور ، واتبعناه فإنه الصادق الأمين .

قف هنا يا أخي المسلم الكريم ، وتأمل قوله تعالى على لسان عباده أولي الألباب (فآمنا) كم هذه اللفظة خفيفة على اللسان ، وكم هي ثقيلة في الميزان..؟ وانظر ضخامة معناها ... انـه الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ، والإيمان بكل ما حوى كتاب الله ، دخل القلوب وملأها ، وتخلل شغافها ، واستقرّ بها ، وفاضت من هذه القلوب النابضة آثار هذا الإيمان على الجوارح، فعملت بكل ما يرضي الله تعالى، وطبقت كل ما أمر .. وانتهت عما يسخطه وما عنه زجر ... ثم علم أولو الألباب كم هي منزلة هـذا الإيمان عند رب الأرباب ، فتقدموا بهذا الإيمان إليه تعالى متوسلين بـه عنده، وكل ذلك فهمناه من هذه (الفاء) من قوله تعالى : (**ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار**) أي بسبب استجابتنـا لنداء رسولك وإيماننا بما دعانا اليـه من الحق والخير والهدى ، اللهم اغفر لنا ذنوبنا ، وامح عنا سيئاتنا واقبضنا اليك مرحومين مغفوراً لنا وألحقنا بالصالحين الأبرار الذين برّوا بما وعدوا من الاستقامة على هـذا الإيمان إلى أن قبضتهم اليك ، وأنت راضٍ عنهم. (**وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد**) وهنا واصلوا دعاءهم بأن ينيلهم مـا وعدهم على لسان الرسول وألسنة الرسل من قبله ... مـن المغفرة والرضوان والجنة ... متأكدين وموقنين ومطمئنين إلى أنه تعالى سيبرُّ بوعده ولا شك ، لأنـه ليس من صفاته العلى الإخلاف بما وعد فلا أحد أوفى بعهده من الله تعالى .

فما ظنك يا أخي بالله الذي سمع توسلات عباده ، التوسلات التي يرضى عنهـا وهي التي أمرهم بها ... هؤلاء العباد الطائعين المؤمنين حقاً ... أيستجيب دعاءهم أم لا . .؟ لا شك أنك ستقول : بل سيستجيب لهم دعاءهم ولا شك . ولذا جاء قوله تعالى طبق ظن عبده المؤمن به ، فقال عز من قائل : (**فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين**

هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأُوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرنَّ عنهم سيآتهم ولأدخلنّهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب) .

أجل ... إن الله عندهُ حسن الثواب لعبـاده المؤمنـين الطائعين . كيف لا وانهم هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأهليهم وأموالهم ، وأوذوا أشدّ الايذاء في سبيل الله وقاتلوا الكفر وأهله ، فمنهم من قضى نحبه في سبيله تعالى ومنهم من ينتظر وما بدلوا ولا وهنوا ولا تراجعوا بل ثبتوا حتى نصرهم الله تعالى .

نعم كيف لا ... وهم الذين وصفهم الله بأنهم أولو الألباب الزكية ، والعقول المستقيمة الذين يذكرون الله في جميـع أحوالهم الحياتية ، وبمختلف أنواع الذكر ويتفكّرون في الخالق والخليقـة فزادهم فهماً وإدراكاً لحقيقة الربوبية والألوهيـة والأسماء والصفات والأفعال ، وإن هذا الخلق ما خلقه الله عبثاً ، ولا صدفة ، ولا باطلاً. ولما نادى منادي الإيمان ﷺ ودعاهم إليه ، أسرعوا إلى الإيمان بالله تعالى ونبيه وكتابه وبكل ما جاء فيه من الهدى والخير والحق .

ثم قدموا كل ذلك توسلات إليه تعالى لتكون هذه التوسلات الحقّة سبباً في قبول دعائهم واستجابته ، وأكّد سبحانه تكفيره سيآتهم وإدخالهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابـاً منه سبحانه والله عنده أحسن الثواب جل جـلاله ولا إله غيره ولا ربَّ سواه .

فهيا أيها الأخوان المؤمنون إلى العمل الصالح ، نعمله لوجه الله ، خالصاً له ليكون لنا ذخراً ووسيلة إليه عز وجل ، وقربى لجنابـه العظيم ، لا نبتغي إلا وجه ربنا ذي الجلال والإكرام .

فإن دعوناه بها أجاب دعاءنا ، وادخلـنا جناتٍ عرضها السموات والأرض أعدّت للمتّقين ، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

الدليل العاشر

قوله تعالى :

﴿ رَبَّنَآ إِنِّىٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيۡرِ ذِى زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِىٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ ابراهيم

هذا دعاء يدعو بـه ابراهيم عليه الصلاة والسلام بعد فراغه من بناء البيت الحرام فقال: (ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم) أي نفذت أمرك يا رب حينما أمرتني بأن أسكن أمّ ولدي هاجر وابني اسماعيل في هذا الوادي غير ذي الزرع ولولا أمرك إياي مـا فعلت ، ولمّا أمرتني بذلك علمت أنك ستتولاهم برعايتـك وعنايتك فأطعتك وأسكنت أمّ ولدي وولدي متوكلا عليك . وذلك ليقيموا الصلاة ، مع ذراريهم التي ستكون في المستقبل منهم بتقديرك ومشيئتك .

فلا شك أن طاعة أوامر الله تعالى بإسكان هاجر وابنها بهذا الوادي المُمْحل تحت الشمس المحرقة بلا أكل ولا ماء، إنما هو غاية قصوى في التوكل عليه سبحانه وتعالى. حتى أنه لمّا وضعها في ذلك المكان ، وانصرف عنها ... قالت له هاجر أمّ ولده إلى من تتركنا يا إبراهيم ؟ فلم يجبها وظلّ منصرفاً عنها ، حتى قالت له في الثالثة : إلى من تتركنا يا إبراهيم... آلله أمرك بهذا...؟فالتفت إبراهيم عليه السلام اليها وقال : نعم ... قالت : إذاً لا يضيّعنا ... وهذا كذلك توكّل على الله منها واطمئنان ويقين بأنه سبحانه لا يضيعها وهو العليم الحكيم الخبير .

إن الطاعة المطلقة ، والتوكل على الله من ابراهيم بإسكان ذريته بواد غير ذي زرع عند بيته المحرم،ومن أجل أن يقيموا لله وحده الصلاة لا شك أنه عمل صالح عظيم منه ﷺ ، هذه الطاعة وهذا التوكل وبناء البيت المعظم... جعل كلّ هذا العمل الصالح وسيلةً منه إليه تعالى ثم دعا الله وقال : (... **فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلّهم يشكرون**) .

أي بسبب ما أطعتك ، وتوكّلت عليك، وبنيتُ بيتك الحرام ، اللهم فاجعل أفئدة المسلمين تهوي اليهم بالمحبة ، أي لذريته التي أسكنها بواد غير ذي زرع ، ثم إلى ذراريهم إلى يوم القيامة ، وارزقهم من الثمرات ليكون ذلك عوناً على طاعتهم لك.

ولما كان توسل إبراهيم إلى الله توسلا شرعياً ، ويحبّه الله ويرضاه. استجاب دعاءه كما قال عز وجل : (**أولم نمكّنْ لهم حرماً آمناً يجبَى إليه ثمرات كلّ شيء رزقاً من لدنا**) ٥٧ – القصص وهذا من لطفه تعالى وكرمه ورحمته فها إن الثمرات تترى على الحرم وأهله إستجابة لدعاء ابراهيم عليه السلام ، وتجبى اليه ثمرات كل شيء من كافة أنحاء المعمورة . فاللهم أوزعنا أن نشكر نعمتك ...

وهكذا فقد علمتَ يا أخي المسلم أن التوسل المشروع سبب في استجابة الدعاء لا سيما إذا كان صادراً من نبيّ كريم بل من أبي الأنبياء عليه الصلاة والسلام فلا شك أن ذلك كان تلقّياً من الله تعالى وتعليماً منه لأن كل عمل يعمله النبيُّ إنما هو وحيٌ من الله سبحانه .

وكلنا يعلم ... أن الأنبياء هم القدوة الصالحة لمن بعدَهم ، وعندما يذكر الله القصة تلك: في القرآن فهو حضٌّ منه تعالى لعباده المؤمنين لأن يتقفّوْا خطوات الأنبيـــاء في أعمالهم وعباداتهم ، ولأنهم المثل الأعلى للمؤمنين ، والأسوة الصالحة والقدوة الحسنة ، في كل شأن من شؤون دينهم ودنياهم ... فإلى هذه القدوة الصالحة والأسوة الحسنة ، ندعو المؤمنين ليكونوا حقـــاً كما كانوا ... ويعودوا خير أمة أخرجت للناس .

على أن هذه الخيريّة على الناس ، لم تأتهم صدفـةً ولا اتفاقاً ، ولا رمية من

غير رام... إنما كانت هذه الخيرية، لمّا اتخذوا من كتاب الله تعالى وسنّة رسوله ﷺ نوراً يستضيئون بها في دياجير الشك والجهل، فلما آمنوا وتعلموا بدّلهم الله بحال خير من حالهم التي كانوا عليها، فقد تبدل شكهم بإيمان ويقين، وجهلهم بمعرفة وعلم، فصاروا هداة للعالمين، وصاروا إلى قيادة الدنيا وأهلها في الحق والهدى والخير، وتذوّق أهل الارض على أيديهم، طعوماً من الطمأنينه في العقيدة، والراحة في العبادة، والعدل في الاحكام، لأنهم يحكمون بما أنزل الله (**ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون** /٥٠/) المائدة.

الدليل الحادي عشر

قوله تعالى :

قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ القصص

يحسن بنا من أجل أن نفهم مراد الله من هذه الآية الكريمة أن نستعرض الآية الكريمة التي قبلها ... لكي نعلم مـا هو الذنْب الذي ارتكبه موسى عليه الصلاة والسلام ، والذي اعترف لله بأنه ظلمٌ للنفس فطلبَ المغفرة منه ؟ قال الله في الآية التي سبقتها :

(ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلَيْنِ يقتتلان هذا من شيعتهِ وهذا من عدوّه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوّه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدوٌّ مضل مبين/١٥/) .

فهم من هذه الآية الكريمة أن الذنب الذي فعله موسى صلوات الله وسلامه عليه هو قتله نفساً ما قصد قتلها ، إنما أراد أن ينتصر للذي من شيعته على الذي من عدوه المعتدي فوكزه والوكزُ عادةً لا يؤدى إلى القتل ، إنمـا سبق الأجل

ومات الرجل من أثر وكزة موسى . نفهم أنه عليه السلام لم يكن في نيته قتل الرجل ... لكنه قُتِلَ قضاءً وقدراً ... وعلى كل فإنّ القتل صدر عن موسى عليه السلام خطأ ... وفي هذا ولا شك ذنب ، يقتضي الاستغفار ، لأنه ظلم نفسَه بقتلِ الرجلِ وان لم يكن عن قصد ... (**قال ربي إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم**) .

إن اعتراف موسى عليه السلام بأنه ظلم نفسه بقتله القبطيّ ... أجل إن هذا الاعتراف منه هو عمل صالح أراد أن يتوسّل به موسى الى ربّه ليغفرَ له ذنبَه وإن كان فعله له خطأ ... فإنه — على كلٍّ — ذنب يستلزم التوبة منه ولما أراد أن تكون التوبة منه مقبولة عند الله ليحصل على المغفرة منه ، قدّم بين يديْ توبته ودعائه واستغفاره ، عملاً صالحاً يصلح أن يكون سبباً شرعياً عند الله لقبول التوبة وحصول المغفرة . فاعترف بذنبه بأنه ظلم نفسه بهذا العمل الذي وقع منه ولو خطأ ... فقدَّم هذا الاعتراف وسيلةً للمغفرة ... فتقبل الله منه ... وكان اعترافــه عملاً صالحاً مقبولاً ... وأهلاً عند الله لأن يغفر الله له بــه (**فغفر له**) أي قبــل توسله ، ومن قبول الله لتوسله ، فُهِمَ أن الاعتراف بالذنب عملٌ صالح ، يصلح لأن يكون وسيلةً إليه تعالى ، وقربَى منه . وفُهِم أيضاً أن التوبة عند الله ترجِّحُ على الذنب وأن الاعترافَ والندمَ توبةً إليه تعالى مقبولة .

ونود أن لا نغادرَ هذا الفصل ... قبل أن نتوقّف — ولو قليلاً — عند الآية التي قبلها .. عند قوله تعالى : (**فاستغاثه الذى من شيعته على الذي من عدوّه ..**) هذه الآية التي يستدل بها بعض الناس ... على جواز الاستغاثة بغير الله ... ولا يحسبنَّ القارىء الكريم أننا شذَذْنا عن البحث عندما ننتقل من بحث التوسل إلى الاستغاثة فأقول : لا لا .. إننا لم نشذ عن البحث ، إنما نحن في صميمه ويجب علينا معالجته في مناسبته ...

أخي القارىء المسلم الحبيب : تذكر أننا عندما نقول لأحد من الذين يجوّزون الاستغاثة بغير الله ... يا أخي ... إياك أن تستغيث ، أو تدعَ أحداً أمامك ...

يستغيث بغير الله فإن الاستغاثة عبادة... ولا يجوز صرفها إلا لله تعالى. فيقول يا أخي : إن هذا لا يستغيث بغير الله ... إنما يتوسل به إلى الله تعالى مع أنه يستغيث فعلا بغير الله ، ولكن يريد أن يصرف مفهوم الاستغاثة إلى مفهوم الوسيلة ... تهرباً من المسؤولية التي تلحق به عند استغاثته هو بغير الله ... أو سكوته عن أحد ما... استغاث أمامه بغير الله تعالى. ولم يعلم أن هذه المغالطة !! إنما يغالط بها ربّه الذي يعلم الجهر وما يخفى ، والسر وأخفى ، فلا تخفى عليه خافيه في الأرض ولا في السماء . إنه بهذه المحاولة أو المغالطة يريد أن يدفع عنه الانتقاد والنصح فحسب ... وإلا فانه يجيز بلا شك ولا ريب الاستغاثة بغير الله تعالى ... ولكنه يريد أن يتهرب من الإدانة ، فيختبيء وراء الوسيلة ، ليبرر بزعمه عمله. ودليلنا على أنه يجعل الوسيلة تُكأة لتبرير استغاثته بغير الله ، هو استدلاله بقوله تعالى : (**فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه**) ويقول : أرأيت كيف تجوز الاستغاثة بغير الله ...؟ فهذا الاسرائيلي استغاث بموسى على القبطي فأغاثه موسى .. ولم ينبهه موسى عليه السلام إلى عدم جواز استغاثته به بل كان عليه أن لا يستغيث بموسى إنما يستغيث بالله وحده ...!!! فسكوت موسى عن استغاثة الاسرائيلي ... بل واغاثته فعلا دليل واضح على جواز الاستغاثة بغير الله ... فأقول :

هذه إما مغالطة ثانية ... أو جهل مطبق من هذا المتفلسف الذي يدافع عن الزندقة والشرك والكفر بلا علم ولا كتاب منير. وأرجح أنه كما يقول العامة عندنا (غشيم وشيطان) بآن واحد نحن لا يهمنا مهما كانت منزلته الإبليسية أو الغبائية ... فإنه هو الذي يحمل وزره وأوزار من يضلهم ... إنّما المهم في الأمر أن نسعى مخلصين لإظهار الحق له ولغيره ، ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر . ولا يمنعنا أحد عن الجهر بالحق .

لا حجة للجهال الذين يحتجون باستغاثة الإسرائيلي بموسى عليه الصلاة والسلام على جواز الاستغاثة بغير الله ، مع علمهم بأن استغاثة الإسرائيلي بموسى عليه الصلاة والسلام هي استغاثة مخلوق بمخلوق في أمر يقدر على تنفيذه المستغاث به.

أي إغاثته من القبطي ، وقد فعل ... فكيف تحتجون به على جواز استغاثة مخلوق بمخلوق في أمر لا يقـدر عليـه إلاّ الله وحده ، كالمغفرة وجلب الرزق ، وتفريج الكروب ومـا إلى ذلك ...؟ فشتّانَ بين الاستغاثتين !! لأن الأولى ، استغاثة عادة ... ويمكن أن يفعلها أي إنسان لأن ذلك في مقدوره وفي حدود طاقته ... أما الثانية أي الاستغاثة فيما لا يقدر عليه أحد إلاّ الله تعالى ، فهي استغاثة عبادة . فمن صرفها لغير الله تعالى ، فقد وجّـه عبادة لغيره ... وهذا والعياذ بالله .. هو الشرك الأكبر. فإذا فهم هذا .. وضح الفارق بين الاستغاثتين ولا قياس مع الفارق كما هو معلوم والله الموفق للصواب .

أرأيت يا أخي كيف يخلطون – خبثاً أو غباء – بين الاستغاثتين، لينصروا الباطل على الحق ...؟ تَراهم يفسرون الاستغاثة بالوسيلة...ولا وجه في المشابهة بينهما قطعاً . وليست الاستغاثة هي الوسيلة أبداً ... لأنّ لكلٍ معنى مستقلاً دون الآخر فالاستغاثة يتم حصولها بوجـــود شيئين فقط وهما : المستغيث ، والمستغاث به. أما الوسيلةفلا تتم إلا في وجود ثلاثة أشياء: المتوسّل، والمتوسّل به ، والمتوسّل اليه . فكيف يمكن أن نقول الاستغاثة هي الوسيلة ..؟!! وقد علمنـا الفارق بينهما ...؟ ولكن برغم كل ذلك ... فلا يزال الخصوم – هداهم الله – يتمسكون بهذا التفسير المغلوط برغم وضوح الفارق بينهما !!!

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

نستميح عذراً من القارىء المسلم العزيز ، لاستطرادنا بالبحث ... وسيعذرنا القارىء ولا شك ... ما دمنا نحاول أن نبيّن واقعاً مؤلماً يعيشه قسم لا يستهان به من المسلمين ، وأمراً باطلاً، يتمسك به المغرضون..!!؟برغم بيان الحجة،ووضوح المحجة، وسطوع الحق متلألئاً كالشمس. ولكن الغرض مرض والعياذ بالله تعالى. ندعوه تعالى أن يقينا وإياهم والمسلمين عامة من شرّه ، ويجنبنا الفتن ، مـا ظهر منها وما بطن ...

الدليل الثاني عشر

قوله تعالى :

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ الأعراف

هذه كلمات طيبة في آية كريمة طيبة ، هي الكلمات التي تلقاهن آدم من ربه ، والتوسلات التي لقّنهن الله آدمَ لتكون سبباً في التوبة عليه وعلى زوجه . قال الله تعالى : **(فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم)** . (٣٧) البقرة .

روى مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وأبو العالية ، والربيع بن أنس ، والحسن ، وقتادة ومحمد بن كعب القرظي ، وخالد بن معدان ، وعطاء الخرساني ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: أن الكلمات التي تلقاها آدمُ من ربّه ، فتاب عليه هي: (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفرْ لنا وترحمْنا لنكونن من الخاسرين) أي أن هذه الآية إنما هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه أي هو الذي أملاها عليه ، وأمره أن يدعو بها هو وزوجه حواء ، فكانت توسلاً منهما اليه تعالى قدّر بسببها التوبة عليهما والمغفرة .

وإن التوسل الظاهر في هذه الآية هو : الاعتراف بالذنب والخطيئة ... ولا شك أن الاعتراف بالذنب عمل صالح جليل ، وأقرا بأنهما ظلما أنفسهما والإقرار بالذنب وظلم النفس كذلك عمل صالح جليل ، وندما على ما فرطا من العمل الذي كان سبباً في حرمانهما الجنة ... والندم ولا شك توبة . وما دام الله هو الذي علّم آدم هذه الكلمات وتلقاها منه ... دل ذلك على أن هذا التوسل هو التوسل المشروع ، وهو المتلقّى عن الرب جل وعلا . وهو الذي قدر أن يكون سبباً للتوبة والمغفرة . ومما لا شك فيه... أن هذا ليس خاصاً بآدم فقط

إنما هو باقٍ في عقبه ونسله المؤمنين إلى يوم القيامة . ولم يذكره الله تعالى في القرآن ، إلا ليحث المؤمنين أن يتوسلوا اليه بالعمل الصالح . والقرآن والسنة مليئان ولا شك بالأدلة والامثلة على ذلك .

إذاً فآدم عليه السلام لم يتبِ اللهُ عليه ... قبل أن توسل اليه تعالى بعمله الصالح من اعترافه واقراره بالذنب والخطيئة ، وطلب المغفرة من الله (فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم) أي تاب عليه وعلى زوجه أي انه يتوب على من تاب اليه وأناب وهذا من رحمته بعبيده .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : قال آدم عليه السلام : ألم تخلقني بيدك ؟ قيل له بلى . ونفخت فيّ من روحك ؟ قيل له : بلى . وكتبت عليّ أن أعمل هذا ..؟ قيل له : بلى . قال أفرأيت إن تبت هل أنت راجعي إلى الجنة ؟ قال : نعم . وكذا رواه العوفي وسعيد بن جبير ، وسعيد بن معبد . ورواه الحاكم في مستدركه إلى ابن عباس .

هذا ما أخبرنا الله في كتابه من توسل آدم وزوجه باعترافهما بذنبيهما وطلبهما المغفرة على الشكل الذي أمرهما الله به فكان هذا التوسل سبباً في حصول التوبة والمغفرة واستجابة الدعاء .

أما ما يقوله «المغرضون..» من أنه توسل وقتئذ بالرسول الأعظم محمد صلوات الله وسلامه عليه فهذا مما لم يثبت به دليل من قرآن أو سنة صحيحة بل اعتمد القائلون ذلك على أحاديث لا أساس لها من الصحة وهي موضوعة مكذوبة وأعلى ما فيها درجة ، الحديث الشديد الضعف[1]. وإننا نتساءل: ما هو السر في استناد القائلين بجواز التوسل إلى الله بمخلوقاته ، إلى أحاديث مكذوبة وموضوعة والشديدة الضعف وإلى آراء من سبقهم في نحلتهم تلك ... بينما نرى السلفيين لا يستندون في أقوالهم إلا على أحاديث صحيحة ومتفق عليها بين المحدثين ؟ والغريب جداً ، أن الذين نصبوا أنفسهم خصوماً لدعوة السلف يعترفون بأن حجج خصومهم على

---

(١) راجع التفاصيل في الصفحة ٢٢٠ — ٢٢٨ في معالجة التوسل الممنوع من هذا الكتاب .

جانب عظيم من الصحة ويشهد لها القرآنُ وكتبُ الحديث المعتمدة ، وفي الوقت ذاته لا يتّبعونها بل يَردّونها ويناصبون الداعين لها شديدَ العداء ، ويعملون بخلافها وهم يعلمون أنهم لا يستندون إلاّ إلى الأحاديث المكذوبة والموضوعة والشديدة الضعف . فلماذا هـذا الموقف من دعوة الحقّ وأهلها ... وهم يعلمون ...!!!؟

هذا سؤال ندع الجواب عليه إلى القارىء المسلم الكريم .. [اللهم أرنا الحقّ حقاً وارزقنا اتباعه وحببنا فيه . وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه وكرهنا فيه] .

الدليل الثالث عشر

قوله تعالى :

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾ يونس

التوكّل على الله عبادة عظيمة له سبحانه ، والتوكل عليه يجب أن يكون في كل شيء. ومن توكل عليه تعالى حقَّ التوكل، لا يخيب في أي مسعى يسعاه في دنياه وآخرته ... ولكن يجب أن يكون مرافقاً للعمل والأخذ بالأسباب ، فإن من يتّكل على الله في دخول الجنة ولا يعمل لها عقيدة، وعبادة وعملاً ، فلن يدخلها ! وكذلك في كل شأن من شؤون الدنيا والآخرة. فيجب لكل عملٍ على أن لا نعتقد أن أعمالنا هي التي تفضي الينا بالنجاح وحدها، بل بتوفيق الله تعالى ورحمته.

فمثلا أنا لا أربح بتجارتي ولا أوفّق بزراعتي ولا أفوز في أي ربح بمجرد خبرتي وعملي فحسب... بل يجب أن يكون هذا موفوراً بتمامه ، وأتوكل على الله في الفوز بما أتمناه . ولهذا : قال رسول الله ﷺ [«لا يدخل أحدكم الجنة بعمله». قالوا ولا أنت يا رسول الله . قال : « ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته »] فــلا يصح العمــل بلا توكّل على الله ، كما لا يصح التوكّل بلا عمل ، فعندها يكون تواكلا لا توكّلا . ويتمنى صاحبه على الله الأماني . دون أن يأخذ بأسباب نيل الأماني ...

قدّمنا هذه الكلمة بين يدي البحث لنعلم نوعيّة التوكل الذي يرضاه الله ، فهو سبحانه يحبّ التوكّل لا التواكل ، وهذا ما أمر به أنبياءه ، أن يبلغوه عباده.. ولم يخصّ نبياً به ويستثني آخراً منه ، بل أوصاهم جميعاً بالتوكّل عليه .

وهذا موسى عليه الصلاة والسلام يخبرنا الله عنه : **(وقال موسى لقومه يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين)** أي إن كنتم آمنتم بالله حقاً في جميع صفاته وأسمائه ، فيلزمكم هذا الإيمان أن تتوكلوا عليه سبحانه في كل أموركم . لأن تمام صفات المؤمن المسلم أن يتوكّل عليه وهو الذي يعلم ما كان وما يكون وما هو كائن منه إلى يوم القيامة فخليق بهذا الإله العظيم الذي له هذه الصفات الكاملة التامّة ، أن تسلّم أمورك إليه مع مراعاة ما أمرك به من العمل . وقول موسى عليه الصلاة والسلام : **(إن كنتم مسلمين)** أي إن اتخذتم الاسلام ديناً ومبدأً . يجب إلزاماً أن تظهر آثار إسلامكم عليكم ، فتسلّموا أموركم اليه وتتوكلوا عليه ، وتطمئنوا إلى نتيجة ما يقدّره الله عليكم ، وترضوا بذلك ظاهراً وباطناً ، وهذا التسليم هو أحد معاني الاسلام .

فما كان من قومه المؤمنين إلاّ أن استجابوا: **(فقالوا على الله توكلنا)** فنالوا بقولهم أجرين على عملين صالحين الأجر الأول : طاعتهم لأمر نبيّهم بالتوكل على الله . وهذه الطاعــة لنبيّهم عملٌ صالح ولا شك . والأجر الثاني : توكلهم بالفعل عليه تعالى أي تنفيذ عمليّــة التوكل على الله . ولا شك أن التوكل عليه سبحانه عبادةٌ مباشرة لله تعالى ، وأنه جل وعــلا أهل لذلك . فرفعوا هذين العملين إلى

الله تعالى وسيلة بين يدي دعائهم اليه ، فلم يدعوا إلا ّ أن قالوا (على الله توكلنا) مستحضرين المنيَيْن السابقين ودعوا : (ربنا لا تجعلنا فتنةً للقوم الظالمين) أي لا تنصرهم علينا فيظنوا أنهم إنما نصروا لأنهم على الحق ونحن على الباطل فيفتتنوا بذلك ... ويفتن المؤمنون بدينهم .

فانظر يا أخي المسلم أن مؤمني قوم موسى توسلوا – بأمر نبيّهم عن أمر الله – بأعمالهم الصالحة التي هي طاعتهم لنبيّهم وتوكلهم على ربّهم ، وجعلوها قربات إليه بين يدي دعائهم. ثم دعوا الله ألا ّ يجعلهم فتنة لعدوّهم ولا فتنة لأنفسهم... هكذا علّمهم نبيهم ورسولهم عبد الله ورسوله موسى عليه الصلاة والسلام ، الذي ما ينطق عن الهوى ... فانه هو وسائر الأنبياء والرسل عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم ، وأذكى التحية ، إنما يوحى إليهم ... فلا يقولون شيئاً استقلالاً من عند أنفسهم ... بل ، إنّما هو الوحي الإلهي ... يتنزّل عليهم منه سبحانه وتعالى وتبارك وتقدس .

فمِنْ هذا . نعلم أن موسى عليه الصلاة والسلام ، لما قال لهم : (... إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكّلوا إن كنتم مسلمين) ما قاله من عند نفسه ، إنما بوحيٍ وأمرٍ وتعليم من الله تعالى .

إن قوم موسى عليه الصلاة والسلام ، استجابوا لأمر نبيهم ، فتوكلوا على الله سبحانه ، ودعَوا متوسلين إليه تعالى باستجابة أمر نبيهم وطاعتهم له ، وبتوكلهم الفعلي على ربهم تبارك وتعالى . أن ينصرهم على عدوهم ، ولا ينصر عدوهم عليهم .

فما ظنك يا أخي المسلم ... ما ظنك بالله تعالى ..؟ أتراه سبحانه ، يستجيب دعاءهم وينصرهم على أعدائهم ...؟ أم أنه لا يفعل ...!!!؟ لا بل انه سيفعل ، ويستجيب ... وإنه قد استجاب ... انه هو السميع المجيب .

نعم نعم ... إنه قد استجاب دعاءهم ... ونصرهم على عدوّهم نصراً عزيزاً مؤزراً . وحسبهم من هذا النصر المحجل المبين ... أنه لم ينجّهم من فرعون وأسرِه وإذلالهِ ومن اضطهادهِ لهم فحسب ... بل أغرق لهم عدوَّهم فرعون ،

بقضّه وقضيضه ، وتاجه وصولجانه ... وكامـــل ُعدده وعُدته ، وعَدده المديد .. !!! وأعينهم تنظر ذلك ... وتشتفي صدورُهم ، بل وكل ذرةٍ من ذرات وجودهم بذلك المصير الذليل ، والخاتمة المقهورة ... مصير فرعون الظالم المسرف ، وخاتمة ذلك المتغطرس المتأله ... !!! وهو يغرق بكامل جيشه .

فقد أذله الله وقهره ،وأورث الله موسى وقومَه الأرضَ من بعده يتبوّؤنها بما فيها من مخلّفات وخيرات وجنّات وعيون .. (فأخرجناهم من جنات وعيون (٥٧) وكنوز ومقام كريم (٥٨) كذلك أورثناها بني إسرائيل (٥٩) الشعراء) وما ذلك إلا بفضل الله ومنته ، وكرمه ورحمته .

أرأيت يا أخي المسلم الحبيب ، كيف ينصرُ الله عباده المؤمنين ، ويستجيب دعاءهم لمّا توكلوا عليه . ثم رفعوا توكلهم على ربّهم ، وطاعتهم لرسوله ، وسيلةً إليه تباركِ وتعالى ، لاستجابة دعائهـــم ...؟

هذه أمثلة حية رائعة ، ناطقة بالحق والصدق ، يسوقها الله تعالى في قرآنه خاتم الكتب .. لا للمرور بها مر الكرام .. دونما عظة أو اعتبار ، بل للتأسّي بمن كانوا قبلنا .. بأعمالهم الصالحة ، وتوسلاتهم بها اليه تعالى .

فهيا أيها الأخوة المؤمنون ، هيّا يا أهل القرآن ، نلتزمْ بما التزم به المؤمنون من قبلنا ... وهيا للعمل الصالح المرضي المقبول ... نعمله مطمئنين ،ونرفعه إلى الله متوسلين به اليه ، واثقين بالاجابة .

اللهم اجعلنا بفضلك ومنّك وكرمك ، ممن يستمعون القول ، فيتبعون أحسنه إنك يا مولانا سميع قريب مجيب الدعاء . والحمد رب العالمين .

الدليل الرابع عشر

قوله تعالى :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾ النصر

روى البخاريّ عن ابن عباس : [كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر ، فكأن بعضهم وجد في نفسه،فقال : لمَ يدخلُ هذا معنا ، ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر : إنه ممّن قد علمتم ... فدعاني ذات يوم ، فأدخلني معهم . فما رأيت أنه قد دعاني يومئذ عليه إلا ليريهم ... فقال : ما تقولون في قول الله عز وجل : (إذا جاء نصر الله والفتح) ...؟ فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا . وسكت بعضهم ولم يقـــل شيئاً ، فقال لي : أكذلك تقول يا ابن عبّاس ؟ فقلتُ : لا ... فقال : ما تقول ؟ فقلت : هو أَجل رسول الله ﷺ ، أعلمه له ، قال: (إذا جاء نصر الله والفتح)فذلك علامة أجلك ... (فسبح بحمد ربك واستغفره إنّه كان توابا) فقال عمر بن الخطاب : لا أعلم منها إلا ما تقول] . تفرد به البخاري .

روى الإمام أحمـــد عن ابن عباس ، قال : [لما نزلت : (إذا جاء نصر الله والفتح) قال رسول الله ﷺ « نعيت إليّ نفسي » فإنه مقبوض في تلك السَّنَة] .

على أن المعنى الذي فسره أهل بدر في مجلس عمر بن الخطاب رضي الله عنهم أجمعين ، كما تقدم ... هو معنى مليح صحيح . وقد ثبت له شاهد من صلاة النبي ﷺ يوم فتح مكة وقت الضحى ثماني ركعات ، فقـــال قائلون : هي صلاة الضحى . وأجيبوا : بأنه لم يكن يواظب عليها في الحضر ، فكيف صلاهـــا ذلك اليوم وقد كان مسافراً ...؟! ولم ينوِ الإقامة في مكة ؟! ولهذا أقام فيها قريباً من تسعة عشر يوماً يقصر الصلاة ويفطر هـو وجميع الجيش ، والصحيح أنها صلاة الفتح .

قدّمنا بين يدي فهمنا لمراد الله تعالى من هـذه السورة الكريمة لتسهيل فهم الشاهد منها ، تفسيراً مختصراً يعيننا على توضيح مـا نود توضيحه من الاستشهاد بهذه السورة الكريمـــة على التوسل بالأعمال الصالحـة من التسبيح والتحميد والاستغفار ، استدراراً لمغفرته سبحانه وتعالى فإنه هو الغفور الرحيم والتواب الكريم ، لا إلّه غيره ولا ربٌّ سواه .

كانت هذه السورة المباركه آخرَ سورة نزلتْ من القرآن الكريم . وهي كما قال ابن عباس ووافقه عمر ... نعيٌ لنفس رسول الله ﷺ ، فقـــد قرُب أجله صلوات الله عليه وسلامه ، وأوشك ان يلتحق بالرفيق الأعلى ، لانتهاء مهمته في الدنيا ، فهيأه الله للقدوم عليه ... فالآخره خير له من الدنيا ولسوف يعطيـه ربه فيرضى . لذا أمره تعالى أن يحمل خواتيم عمله مع فرائضه التي افترضها الله عليه التسبيح والتحميد والاستغفار ، استدراراً للتوبة والمغفرة وإن كان ﷺ مغفوراً له سلفاً ولكن ليبقى دائماً عبداً شكوراً . وفي هذا ولا شك تعليم لأمته أن تصنع مثلما يصنع ... فالمغفور له من ذنبه ما تقدم ومـا تأخر ، مكلف أن يسبح ويحمد ويستغفر ... فما أحرانا نحن بذلك . ومن يمعن النظر في هذا الأمر من طلب التحميد والتكبير والاستغفار ، يرَ إن الله ما يطلب منا ذلك إلا توسلاً بها أي بالتحميد والتسبيح والاستغفار ، إليه تعالى ، لتكون سبباً لتوبة الله على المستغفرين فلولا أن يعلموا ان الله أهل للتحميد والتسبيح والاستغفار ، ما فعلوا ذلك ، فعلمهم به دفعهم إليه فقد علموا أن الله سبحانه وتعالى أهل لكل ذلك ،

وفوق ذلك فلله الحمد في الأولى والآخرة . وهو المستحق وحده لهذه العبادة ... فإن هذا التحميد والتسبيح والاستغفار ، أراده الله وسيلة يتوسل بهـا عبده ورسوله محمد ﷺ ومن ورائه أمته لتكون سبباً مشروعاً ، لمغفرة الله تعالى وتوبته على عباده المؤمنين ، فليكثروا من ذلك فإنه عمل يحبه الله ويرضـاه ويحب أن يرفع إليه دائماً ... وما ذلك إلا ليجزينا سبحانه بأحسن ما كنا نعمل ... تفضلاً منـه وامتناناً وكرماً إنـه الكريم المنان ذو الفضل والمنة والنعمة .

فهيّا أيها الأخوان المؤمنون المسلمون : سراعاً إلى مثل هذا العمل الصالح ، نعمله ونرفعه إليه تعالى ، متوسلين به إليه جل جلاله ليغفر لنا ويتوب علينـا ويرحمنا ويعيد إلينا عزتنا ، ويُرجع إلينا دولتنا ، فنحكم بكتابـه وبسنّة سيد خلقه وأحبابه ، ونعود إلى ما كنا عليه ، هـداةً مهديين ، خير دعاة اليه في العالمين . وصلى الله على محمد وآله وصحبه ، ومن والاه وتبع هـداه ، الى ما شاء الله .

لقد وضح بلا شك ... مما جاء في الصفحات المتقدمة من هـذا الفصل : « توسل المؤمن إلى الله بأعماله الصالحة ، وأدلته مـن القرآن الكريم » أن في القرآن الكريم حثّاً من الله تعالى لعباده على أن يتوسلوا اليه بالأعمال الصالحة التي عملوها لوجهه تعالى خالصة له ، لتكون سبباً لإستجابة الدعاء ، وبلوغ المطلوب . ولو أردنا أن نستشهد بكل ما جاء في القرآن الكريم من الآيات ، لضاق بـه هذا المؤلف ، ولكننا أثبتنا طائفةً منهـا كشاهدٍ على صحة ما نذهب اليه .

ولما كانت السنة الصحيحة ، مفسِّرةً للقرآن فقد ورد فيها : أحاديث كثيرة في الحضّ على التوسل الى الله تعالى بالأعمال الصالحة التي فعلهـا المؤمن ... ولو أنعمنا النظر لرأينا الحض على التوسل بالأعمال الصالحة إليه ... إنما هو في الحقيقة حضٌ على فعل الأعمال الصالحة نفسها ، اذ هل يمكن أن تتوسل الى الله تعـالى بأعمالك الصالحة اذا لم يكن لك عمل صالح مهـما كان صغيراً ؟ الجواب : كلا

لا يمكن. اذاً . . . فالمراد من الحض والحث على التوسل بالعمل الصالح، انما هو في الحقيقة كما قلنا آنفاً . . . حض وحث على العمل الصالح نفسه . . . حتى ترفعه الى الله تعالى وسيلةً اليه ، يحفّها منه تعالى الرضا والقبول . فهيا للعمل الصالح ، وهيا للتوسل به اليه تعالى . . . وما دام المقصود وجهه سبحانه فالعمل الصالح عبادة له تعالى ، والتوسل به الى الله عبادة له أيضاً تقربنا اليه سبحانه ، وتدنينا من رحاب مغفرته جل جلاله ولا إلَه غيره ولا رب سواه .

توسل المؤمن إلى الله تعالى بأعماله الصالحة

وأدلته من السنة الصحيحة

توسل المؤمن إلى الله تعالى بأعماله الصّالحة

وأدلّته من السُّنّة الصّحيحة

في السنّة المطهرة ... أمثلة رائعة لا تحصى ... في الحض على التوسل إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة ، لا تكفي لاستيعابها هذه الصفحات المعدودة ، ولا تتسع لها هذه الورقات المحدودة ... إنما المقصود ، إيراد الأمثلة والأدلة ، ليحصل الاقتناع ، ونحظى بالطمأنينة .

وسأحاول أن أضع بين يديك يا أخي المسلم الكريم ، باقة زكية من حقلها الكبير الفواح . وعساني أوفق إلى تقريبها اليك ، وإدنائها منك ، لتقطف أنت وبيدك جناها العبق ، فتنتعش النفس بأريجها العطر ، ويشعر القلب بالسكينة ، وينبض باليقين من شذى ريحها الطيب . ولن تصبر على الانفراد بالاستمتاع بها وحدك ... فستدنيها من غيرك ، ليتنسّمَ عرفها أيضاً ، فيشعر بما شعرت به قبلَه ... إذ ليس التمتع بلذة الحق هو اللذة فحسب ... إنما يكون تمتعاً أشهى وألذّ ... عندما ترى غيرك يشاركك هذه اللذة الغامرة ، ويوافقك صادقاً على ما حكمتَ عليه من الحكم السليم ... بصلاحيّته ، وأحقيّته ... وبخاصّة .. إذا كان هذا التصديق والموافقة ... بتأثيرٍ منك .

ولولا هذا ... ما انتشر العلم ، ولا عمّت المعرفة ... ولحبَس العالم علمه في صدره ، ومات العلم بموت العلماء . ولكنها حكمة الله العلي القدير ، الذي جعل

في عمل الخير لذة ... وفي إذاعته ونشره لذائذ ... لا يشعر بها إلا من عاناهـا وكابدها بعظيم أثرها ووافر بهجتها في الروح والبدن .

اللهم فلك الحمد كله ، على ما وهبت وأنعمت ، إنك أنت الحكيم العليم . جل جلالك وعز سلطانك ، وتبارك اسمك. اللهم علمني العلم الذي لا جهل معه، وسلكني بفضلك صراطك المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ولا الضالين .

والسنّة – كما لا يخفى – لها قوة الاستدلال كما للقرآن... إذ السنّة شرع ، والقرآن شرع . فكما أن القرآن ، وحي من عند الله فكذلك السنة وحي منه تعالى ، إذ كان جبريل عليه السلام ينزل على النبيّ ﷺ بالسنّة ، كما ينزل عليه بالقرآن يعلمه إياهـا كما يعلمه القرآن . ومصداق ذلك قوله صلوات الله وسلامه عليه : [والذي نفسي بيده بعثت بالقرآن ومثله معه] أي السنّة . ولا شك أن الرسول ﷺ : (ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) . ٣ – النجم.

وهكذا فقد ثبت لديك يا أخي ... أن القرآن والسنّة يستويان في الاستدلال وما أجمل عبارة ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه: « إعلام الموقعين » ج١ ص/٣٩ في تفسير قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) ٥٩ – النساء قال رحمه الله تعالى :

« (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) فأمر تعالى بطاعته وطاعة رسوله وأعاد الفعل – أي قوله (وأطيعوا الرسول) إعلاماً بأن طاعة الرسول تجب استقلالاً ،من غير عرض ما أمر به على الكتاب، بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقاً ... سواءً كان ما أمر به في الكتاب ، أولم يكن فيه ... فإنه ﷺ أوتي الكتاب ومثله معه .. ولم يأمر بطاعة أولي الأمر استقلالاً بل حذف الفعل – أي وأطيعوا .. – ولم يقل وأطيعوا أولى الأمر منكم – وجعل طاعتهم في ضمن طاعة الرسول إيذاناً بأنهم يطاعون تبعاً لطاعة الرسول. فمن أمر منهم بطاعة رسول الله وجبت طاعته ومن أمر بخلاف ما جاء به الرسول ، فلا سمع ولا طاعة . كما صحّ عنه ﷺ أنه قال : [لا طاعة لمخلوق

في معصية الخالق] وقال : [إنما الطاعة في المعروف .] اهـ

آن لي أيها الأخ الحبيب في الله ، أن أضع بين يديك . . ما انتقيته لك من الأحاديث الدالة على شرعية التوسل بالأعمال الصالحة ، والحض عليه من الرسول صلوات الله عليه وسلامه،لا سيما ... إذا كان مما توسّلَ به هو لنفسه – بأبي هو وأمي – أو مما علمه عليه الصلاة والسلام لأمته فأحرِ بنا نحن المسلمين من بعده... أن نقتديَ بفعله ، ونمتثلَ أمره وهديه ، فنتوسلَ كما كان يتوسل وندعُوا كما كان يدعو،ونطبق تماماً ما كان يأمرنا به من الحق والخير والهدى .

الدليل الأول

فمن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال لرسول ﷺ عليه وسلم [علمني دعاءً ادعو به في صلاتي . قال : « قل : اللهمَّ إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرةً من عندك ، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم »] أخرجه الإمام أحمد بن حنبل والبخاريّ ومسلم والترمذيّ .

لا شك أن العلم بالذنب أنه ذنب ، مدعاةٌ للتذكّر بأن الله أعدّ للمذنبين عذاباً أليماً ومن عرّض نفسه للعذاب الأليم ، يكون قد ظلمها ظلماً كثيراً باقترافه الذنوب .

فعِلمُ ذلك ... والمعرفةُ به ، يولّد في النفس شيئين :

١ً – الإقلاعَ عن الذنب ، وعدم العودة اليه .

٢ً – الإسراع الى التوبة الى الله واستغفارهِ تعالى من الذنب .

ومن أجل أن ترفع التوبة اليه تعالى ، لا بد قبل هذا ... أن تعترف بالذنب الذي اقترفته بأنه ذنب يقتضي التوبة ، اذ لولا الاعتراف بالذنب أنه وقع منك لا تسرع الى التوبة والاستغفار ، وإذا كنت تظن أن هذا الذي وقع منك ليس ذنباً... بل قربةً !!!فلا تفكّر بالتوبة ولا بالاستغفار حتى ولا بالإقلاع عنه ...!! وهذا ما لفت رسولُ الله ﷺ نظرَ أبي بكر إليه ، وهو الاعتراف باقتراف الذنب

وظلم النفس فقال له : [قل : اللّهمّ إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً . .] وهذا تعليم منه ﷺ لأبي بكر ومن وراءِ أبي بكر يعلمّ الأمةَ جميعاً ... بالاعتراف بالذنوب لأنه غالباً ما يكون الاعتراف بالذنب ندماً وخاصة اذا كان الاعتراف لله تعالى ، فيكون حتماً ندمـاً ... والندمُ توبة ولا شك . فالاعتراف بالذنب عمل صالح أيضاً والندم من فعل الذنب عمل صالح أيضاً ... والتوبة الى الله من الذنب عمل صالح كذلك .

فقوله ﷺ : [قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ...] تضمّن كل هذه المعاني التي تنم عن تلك الأعمال الصالحة . وقوله : [ولا يغفر الذنوب إلا أنت] هو معرفـة واعتراف أيضاً بأنه لا يوجد في الأرض ولا في السماء ولا فيما بينهما أحد يغفر الذنوب إلا الله وهذا فيه توسلان : توسل باعترافه ومعرفته اللذين هما عمل صالح ، ثم علمه بأنه هو وحده غافر الذنب وقابل التوب، هو توسُّل باسمه تعالى الغفار. ولولا علمه أنه غافر الذنب وحدَه لا شريك له ، وقابلُ التوب وحده لا شريك له لما استغفر ولا تاب اليه ، فاستغفاره والتوبة إليه علم منه بأنه وحده يطلب منه ذلك، لأنه وحده القادر على ذلك وهذا الإيمان والعلم كذلك عمل صالح.

أرأيت يا أخي كم تجمع في قوله : [اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت...] من أعمالٍ صالحة وتوحيدٍ باسميه التوّاب والغفار..؟ فبعد أن قدم بين دعائه كل هذه التوسلات بالأسماء والصفات والأعمال الصالحة شرع رسول الله ﷺ يعلمه بعد ذلك الدعاء : [... فاغفر لي مغفرة من عندك ، وارحمني انك أنت الغفور الرحيم] . قف يا أخي قليلاً عند هذه « الفـاء » من قوله : « فاغفر لي » وأمعن النظر جيداً . . واستوضح ما فيها من معان... ترَ ... ان هذه الفاء وحدها حملت كل المعاني التي تقدمت من التوسلات بالأعمال الصالحة وبالأسماء والصفات . أي : فبما قدمت من اعترافي بذنوبي ومعرفتي وعلمي بهـا وندمي على ما فرطت وبتوبتي إليك وباستغفارك وبأنك أنت الغفار التواب... اغفر لي بمغفرة من عندك وحدك لا شريك لك ، وارحمني برحمتك التي وسعت كل شيء ، فإنك وحـــدك أنت الغفور وأنت الرحيم ولا يغفر ولا يرحم الا

أنت ... ثم عاد مختتماً دعائه بتمجيده وتعظيمه بأنه وحده هو الغفور الرحيم .

هكذا يُعلّم رسول الله ﷺ أبا بكر ومن ورائه الأمة ، كيف يتوسلون الى الله بأعمالهم الصالحة ، حتى يغفر ذنوبهم ، ويرحمهم برحمته الواسعة . هذا مراد رسول الله ﷺ ، من تعليم أمته كيف تدعو ربّها سبحانه وتعالى ، وكيف تتوسل اليه جلّ وعلا في الملمات والشدائد ، لتعلمَ علـم اليقين ، بأنه لا ينقذها ، ولا يفرج كرباتها ، ولا يغفر ذنوبها وزلاّتها ، إلا هو وحده لا شريك له .

هذه حقيقة مسلّم بهـا ، بل هي أولى الحقائق ... فلا يعذر بالجهل بها أيُّ مسلم . ويجب أن تكون من بدهيات معلوماته الدينيـة ... وإلاّ فلا يكون إلاّ مسلماً تقليدياً ... لا يثبت على أمر من أمور دينه الذي هو عصمة أمره ، والجهل ما كان في يوم من الأيام عذراً مقبولاً عند الله تعالى لأن الجهل في العقيدة ، يؤدّي إلى الكفر ، وصاحبه لا يدري إلى أين يقوده جهله .

فليُهرع المسلمون إذن ... إليه تعـالى ، في كل ما يلمُّ بهم من ملمّات ، فـلا يدعوا في الشدائد إلاّ الله تعالى ، ولا يتوكّلوا إلاّ عليه ... ولا يستعينوا إلاّ به ، ولا يستغيثوا بأحدٍ غيره ، ولا يصرفوا أية عبادة من سائر أنواع العبادات إلا له جل جلاله وتقدّستْ أسماؤه . لأنه تبارك وتعالى هو مستحقها وحده لا شريك له . ولا يتوسلوا إليه سبحانه ، إلاّ بما علّمهم في كتابه وفي سنة رسوله ﷺ ، وبما حضّهم عليه من التوسلات التي شرعها عز وجـل وبلغنا إياها عبده ورسوله وخيرته من خلقه وصفوته من عباده أبو القاسم محمد صلوات الله وسلامه عليه وتحياته ورحمته وبركاته . فإذا أردنا أن ندعوا الله تعالى ، فلا نتوسل إلاّ بها ... لتكون من الأسباب المقبولة ، لاستجابة الدعاء اليه ، وبلوغ ما نتمنى منه ... من توفيق في الدنيا والآخرة ، ونصرٍ على الأعداء مع ضرورة الأخذ بالأسباب التي شرعها الله ، وبالعمل المأمورين به ... بعد التوكل عليه تعالى في كل ما نفكر وما نعمل (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) .

الدليل الثاني

قوله ﷺ فيما رواه عنه البراء بن عازب رضي الله عنه . قال :

قال رسول الله ﷺ : [يا فلان : إذا أويت إلى فراشك فقل : اللهم أسلمت نفسي إليك ، ووجهت وجهي إليـك ، وفوّضت أمري إليك ، وألجأت ظهري إليك ، رغبة ورهبة إليك ، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ، وبنبيّك الذي أرسلت . فإن متّ من ليلتك ، متّ على الفطرة وإن أصبحت أصبت خيراً] . أخرجه الامام احمد ، والبخاريّ ، ومسلم ، والترمذيّ .

فقوله ﷺ : [يا فلان : إذا أويت إلى فراشك فقل : اللهم أسلمت نفسي اليك ..] أي إني أسلمتك روحي التي بين جنبيّ ، وأُغمض عينيّ ، وكلّي بين يديك ، واستودعك نفسي ، وأنت خيْر مستودع فأرحمها برحمتك يا أرحـم الراحمين [ووجهت وجهي إليك ...] أي ولّيت وجهي قبلك مسلّماً أمري اليك فأنت ربي ورب العالمين [وفوضت أمري إليك] أي تبرأت مـن حولي وقوتي وتدبيري . وأمري كله جعلته بـين يديك فأنت أرحـم بي مني وأعلم . فأقدر لي الخير كله ، إنك على كل شيء قـدير [وألجأت ظهري اليك] أي وانني عذت بك أن ينـالني عدوي من خلفي ، فإنني الجأت ظهري اليك وإلى قوتك واحتميت بك ظاهراً وباطناً . وما تسليمي نفسي اليك ، وتوجيه وجهي

اليك ، وتفويض أمري إليك ، واسنادَ ظهري إليك، إلاّ رغبة في ثوابك ورهبة من عقابك . [ولا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك] أي أنني مؤمن بأنك أنت المقدِّم وأنت المؤخّر وأنت المعطي وأنت المانع ، وأنت المهيمن وأنت الرحمن الرحيم ، وأنت اللطيف الخبير ، وأنت العفو الغفور فلا ملجأ منك إلا إليك ، ولا منجى منك إلا إليك ، ولا فرار منك إلا إليك فأنت شديد العقاب والغفور الرحيم لا إله غيرك ولا رب سواك .

[آمنت بكتابك الذي أنزلت] أي أنني آمنت وصدقت بما أنزلت على عبدك ورسولك محمد من الكتاب المبين ، والحبل المتين ، والصراط المستقيم ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد آمنت بحلاله وحرامه، وبكل ما جاء فيه جملة وتفصيلا، وأنني عامل بما آمنت به صادع بالحق الذي آليت على نفسي أن اصدع به وأنشره ما استطعت الى ذلك سبيلا.وأصبر على كل أذيّة تلحقني من أجل ذلك مبتغياً في كل ما أعمل وجهك يا ذا الجلال والإكرام ، وأرجو منك لا من أحد سواك الثواب وأخشى منك لا من أحد غيرك أن ينزل بي أي عقاب،أنت المعبود بحق في السموات والأرض وحدك لا شريك لك.

[وبنبيك الذي أرسلت] أي آمنت وصدقت أيضاً، بعبدك ونبيك ورسولك محمد خير خلقك وصفوتك،من عبادك.آمنت بنبوته ورسالته وأنك أنت الذي أرسلته رحمة للعالمين ، أشهد أن طاعته من طاعتك ، ومحبته من محبتك ، وهداه من هداك، ولا أتبع أحداً إلاّ على نور شريعته، ولا أقبل حكماً إلا على هدي سنته وضياء محجته التي لا يزيغ عنها إلاّ هالك.إنه نبيّي ورسولي وقرة عيني وحبيبي أشرف الخلق وأفضل العباد عبدك ورسولك محمد اللهم أحيني على سنته ، وأمتني على شريعته واحشرني على ملته واسقني من حوضه وأظلني تحت لوائه ، وتحت ظلك يوم لا ظل إلا ظلك . يا رب العالمين .

هذه هي معاني بل مختصر معاني هذا الحديث الجليل هذه المعاني السامية الهادية ... يود ويرغب اليك يا أخي المسلم نبيُّك ورسولك ، وحبيبك وقرة عينك محمد أن تدعو الله تعالى بها عندما تأوي إلى فراشك وتسلم نفسك إلى

ربك ... حق تجني من ورائها الخير العميم والفضل العظيم واصغ يا أخي إلى صوته الحبيب وكأنه إلى الآن يهمس بأذنك : [فإن مت من ليلتك مت على الفطرة ، وإن أصبحت أصبت خيراً ..] أي إن قدّر الله وفاتك فتكون قد توفيت على الفطرة أي على الإسلام والإيمان، وينتظرك من عطاء الله ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ... وإن رد الله نفسك إليك وأصبحت من الأحياء أصبت رحمةً وخيراً من الله ونعمةً وبركةً ورضا .

وضعت أمامك يا أخي شرحاً وجيزاً لهذا الحديث المتقدّم ولعلّك تسألني : أين يكمن الدليل في هذا الحديث على التوسل فيه إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة فأقول : ما قولك يا أخي بتسليم نفسك إلى ربك ، وتوجيه وجهك اليه ، وتفويض كل أمرك اليه ، واسناد ظهرك اليه ، رغبة اليه ورهبة منه ، وتبرئك من حولك وطولك إلى حوله وطوله وقوته... فاعترفتَ أنه لا ملجأ ولا منجى منه إلا اليه ... أجل... ما قولك بهذا كله أليس عملاً صالحاً تقدمه إلى الله تعالى وتتوسل به اليه ؟بأنه إذا قبض نفسك أن يقبضها على الإسلام والإيمان ، ويهبك الجنة بما فيها مِنْ لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ... وإن ردّ اليك نفسك وأصبحت معافى ، أصبت من الله خيراً في دينك ودنياك وروحك وبدنك . إنه توسل عظيم جداً بأعمالك الصالحة المخلصة لوجهه الكريم ليعطيك الجنة إن قبضك ... أو يجعلك تصيب خيراً في دينك ودنياك وهذا ما يثبت أيضاً رأفة ورحمة النبي الكريم الذي يدلّ أمته على الخير كله ، ويحذرها من الشر كله (**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم /١٢٨/ فان تولوا فقل حسبي الله لا إلّه إلا هو عليه توكلت وهو ربُّ العرش العظيم /١٢٩/**) التوبة .

الدليل الثالث

قوله ﷺ فيما رواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : [إذا أوى أحدكم إلى فراشه فليأخذ داخلة إزاره فلينفض بها فراشه فإذا أراد أن يضطجع ، فليضطجع على شقّه الأيمن، وليقل: سبحانك اللهم ربّ بك وضعت جنبي وبك أرفعه. إن أمسكتَ نفسي فاغفر لها، وإن أرسلتَها فاحفظها بما حفظت به عبادك الصالحين] أخرجه البخاري ومسلم.

لعل هذا الحديث توضيح لمجمل الحديث السابق فقوله ﷺ [إذا أوى أحدكم إلى فراشه فليأخذ داخلة إزاره فلينفض بها فراشه] أي ليزيل ما يؤذيه إذا كان يوجد شيء كحية أو عقرب ونحو ذلك فيمنع نفسه منه وقوله ﷺ : [فإذا أراد أن يضطجع فليضطجعْ على شقه الأيمن] لأن الشق الأيمن أبرك ... ثم أهنأ في الاضطجاع عادةً ، وكأن هذا يريح جوفه فلا يضغط على القلب مثلاً فيسبب بعض الأضرار الجسمية ، كالضيق في الصدر والنفَس ، كما يريح المعدة من الضغط

عليها أيضاً ... وفوائد أخرى طبية ليس هنا محل ذكرها ..

وقوله ﷺ : [وليقل : سبحانك اللهم رب بك وضعت جنبي وبك أرفعه، أن أمسكتَ نفسي – أي روحي – فاغفر لها وإن أرسلتها فاحفظها بما حفظت به عبادك الصالحين] والمعنى : أنني أنزهك يا رب وأمجدك. فإنني بك وبمعونتك وتوفيقك ومـددك أضع جنبي على فراشي ، وأضطجع مسلّما روحي اليك أنت حفيظي وحفيظها ، فإن أمسكتها عندك وتوفيتني اللهم فاغفر لي . وأنني بك أي بمعونتك ومددك أرفـــع جنبي عن الفراش، لأنك أنت الذي أرسلت لي روحي وأرجعتها إليّ بعدما استودعتك إياها. فإن أرسلتَها.. فاحفظها بمثل ما حفظت به عبادك الصالحين الذين أعنتهم على أنفسهم ووفقتهم للقول والعمل الصالح.

هذا هو المعنى المجمل لهذا الحديث الكريم، وإن وجـه الاستشهاد به هو أن المضطّجع في فراشه يختتم عمـله اليومي بهذا الدعاء ... ولكنه قبـل أن يدعوَ يوصيه النبيُّ ﷺ أن يقدّم بين يدي دعائه، توسلاً اليه تعالى بتسبيح الله عز وجل وتنزيهه ، واعتقاده بأنه لا يضع جنبه على الفراش إلاّ بعون من الله تعالى ومددٍ منه جل وعلا وقوة ، وكذلك يرفعه .. فهو لا يستطيـع أن يفعل شيئاً إلا بإمداد وقوةٍ من الله تعالى ، ومعونة وتوفيق منه ، فلا شك أن مخاطبة الله تعالى بهذا ، والاعتقاد الصادق الجازم بذلك ، إنما هو قربة اليه وتوسل مقدم بين يدي الدعاء. فبعد أن أطاع نبيه بوصيته بأن ينفض فراشه بداخلة ثوبه، وأن يضطجع على شقه الأيمن، ودعا الله وسبحه ومجده وعظمه... فكل ما تقدم ولا شك ، عمل صالح منه . ولما كان المعصوم عليه الصلاة والسلام أوصاه بذلك...فهو حتماً حق وصدق وهو جزماً عمل صالح ولا شك. فقرّب هذا التوسل بالأعمال الصالحة قبل الدعاء، ليكون وسيلةً صالحة للاستجابة. ثم شرع يدعو: [إن أمسكتَ نفسي فاغفر لها وإن أرسلتها فاحفظها بما حفظت به عبادك الصالحين] ولا شك أن الله ما علّم نبيه هذا التوسل والدعاء... إلاّ ليستجيب دعاءه ويكون توسله واسطةً مقبولة لهذه الاستجابة .

هذه وصية رسول الله ﷺ لأمته ، فندبهـم أن يفعلوا ذلك توسـلاً ودعاءً

وليس أدلّ على صحة عملٍ ما من قول يأمر به رسول الله، أو عمل يقوم به قدوةً وأسوةً لأمته، لتتأسى وتعمل بموجبه تقرّباً إلى الله، أملاً ورجاء المغفرة ودخول الجنة، وعوذاً من النار ومن عمل يؤهل الدخول اليها. اللهم نسألك رضاك والجنة ونعوذ بك من سخطك والنار. وصلى الله على محمد وآله والحمد لله رب العالمين.

الدليل الرابع

دعاء رسول الله ﷺ اذا قام يتهجد

قوله ﷺ فيما رواه طاووس عن ابن عباس رضي الله عنهما . يقول : [كان رسول الله ﷺ إذا قام يتهجّد قال : « اللهم ربنا لك الحمد أنت قيّم السموات والأرض ومن فيهن ... ولك الحمد ، أنت الحق ووعدك الحق ، ولقاؤك حق وقولك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والنبيون حق ، ومحمد حق ، والساعة حق ، اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، واليك أنبت ، وبك خاصمت ، واليك حاكمت . فاغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت » - وفي رواية - « وما أنت أعلم به مني . أنت المقدم ، وأنت المؤخر لا إلَه إلا أنت ولا إلَه غيرك - وفي رواية - « لك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن » - وفي رواية لمسلم - « أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن »] أخرجه البخاريّ ومسلم .

في هذا الحديث الشريف المتفق عليه يخبرنا حبر الأمة ابن عباس رضي الله عنهما ، عن دعاء رسول الله ﷺ ، وكيف كان يتوسل بالعمل الصالح بين يدي دعائه عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم . إن التوسل هنا جاء مزيجاً من التوسل.. بصفات الله ، وبأسمائه الحسنى والعمل الصالح. فتمجيد الله بأسمائه وصفاته وإن كان في حد ذاته توسلاً بالأسماء والصفات فإنه لا يخرج أيضاً... في الوقت نفسه، عن أنه عمل صالح ولا شك . لأن فعل التوسل بالأسماء والصفات ... هو عمل صالح كما لا يخفى إذ لا يخرج عمل الانسان عن أن يكون عملاً صالحاً أو غير صالح ، فالعمل الذي يكون مطابقاً ، لأمر الله تعالى ، فهو ولا شك عمل صالح وما دام الله يحضنا على التوسل بأسمائه وصفاته طبق ما بلغ رسول الله ﷺ ، فإنّ تنفيذنا لذلك حرفياً.. لا شك في أن ذلك طاعة لله وطاعة لرسوله ﷺ ، كما لا شك

أن طاعتها عمل صالح ... إذن ... فرسول الله ﷺ الذي توسل بهذا الحديث المشتمل على التوسل بأسماء الله وصفاته والعمل الصالح ، أصاب الأجرين ، وكل من يتأسّى في ذلك من أمته فله الأجران أيضاً أي أجر التوسل بالأسماء والصفات وأجر التوسل بالأعمال الصالحة ... وكل حديث يماثل هذا الحديث باشتماله على التوسُّلَيْن الآنفين ... فله حكم هذا الحديث من حيث أن له الأجرين ... ولعل هذا التفصيل فيه فائدة نرجو الله تعالى ألاّ تفوت أحداً من المسلمين، ولهذا قدّمناه بين يدي الكلام على هذا الحديث .

يفتتح رسول الله ﷺ توسله بحمد الله تعالى ، وأنه قيّم السموات والأرض ، أي القائمات بأمره وله الحمد ، ثم يقر ويؤمن بأنه تعالى هو الحق ، ووعده للمؤمنين بالرضا والجنة ، وللكافرين بالسخط والنار ، لا شك أنه وعد حقٌ ولسوف يبرُّ به للفريقين ، ويؤمن بأن لقاء الله لعباده يوم البعث حق ، وقوله الذي أنزله على أنبيائه ورسله هو حق وصدق ، وبأن الجنة حق في وجودها والتنعم بها ، وأنها مثوى المؤمنين خالدين فيها أبداً ، وبأن النار حق في وجودها والعذاب فيها، وأنها مثوى المشركين والكافرين وأنهم خالدون فيها أبداً لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون ، كلما نضجت جلودهم بدلهم الله جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب . وبأن النبيين حق أرسلهم الله واسطة تبليغ للناس أوامر الله ونواهيه . وبأن خاتمهم وأفضلهم وأكرمهم على الله محمداً حقٌ . جاء بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . فمن اتبعه نجا ، ومن أعرض عنه هلك . وبأن الساعة حق وأنها آتية لا ريب فيها . إن هذا الإيمان بكل ما تقدم هو العقيدة الملزم بها كل مسلم ... لا شك بأنه عمل صالح .

ثم قال عليه الصلاة والسلام متوسلاً بإسلامه وتسليم أموره كلها لله تعالى ، وبإيمانه به ، وتوكله عليه وإنابته إليه . وأنه لا يخاصم أحداً إلا به ، ولا يحتكم لأحد إلاّ إليه تعالى .

كل هذا الإيمان بالله وحمده والثناء عليه ... وكل ما تقدم من التوسل المشروع بالأعمال الصالحة جعله واسطةً بينه وبين قبول دعائه ... فبعد أن قدّم كل ذلك شرع عليه الصلاة والسلام بالدعاء فقال عليه أفضل الصلاة وأتم التحية : « فاغفر

لي ما قدمت وما آخرت.وقوله: وما أخرّت . . – هذا خاصٌ به ﷺ – وما أسررت وما أعلنت – وفي رواية – وما أنت أعلم به مني أنت المقـدم وانت المؤخر لا إلّه إلا أنت ولا إلّه غيرك ...

فهذا رسول الله ﷺ يتوسل بكل ما تقدم،ليستجيب الله له دعاءه، مع أنه مستجاب الدعوة دون أن يتوسل ... ولكنه برغم ذلك .. لا نرى له دعاء إلا وسبقه توسل إلى الله تعالى.ولن يخالف رسول الله ﷺ فعل ما يأمر أمته، به أو فعل ما ينهاها عنه . هذا أولاً ... وثانياً فإنه يعلّم بفعله أمته ، لتتأسّى بـــه وتقتدي ما دام قد جعله الله أسوة هذه الأمة الحسنة ، وقدوتها الصالحة . إذاً فهذا فعله ﷺ ... وتعليمه ... فليكونا الباعث إلى اتباعه في ذلك ، والعمل بموجبه دون تبديل أو تحريف أو تأويل... أو تعطيل الحكم بتأويلات لا داعي لها ولا موجب ، طالما فعله ﷺ واضح المعالم ، لا يحتاج إلى تأويل أو تبديل . وهذه سيرته ﷺ ، واضحة جلية بيّنة ، وسنته سالكة هاديـــة غنيّة عن كل تأويل أو تبديل أو تعطيل . والحمد لله على ذلك في الأول والختام .

الدليل الخامس

سيد الاستغفـــار

قوله ﷺ فيما رواه عنه شداد بن أوس الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

[سيد الإستغفار أن يقول العبد : « اللهم أنت ربّي لا إلٰه إلاّ أنت، خلقتني وأنا عبدك . وأنا على عهدك ووعدك مـــا استطعت ، أعوذ بك من شرّ ما صنعتُ وأبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي . فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلاّ أنت » .

من قالها في أول النّهار موقناً بها فمات من يومه ، قبل أن يُمسي فهو من أهل الجنّة . ومن قالها من الليل موقناً بها فمات قبل أن يُصبح فهو من أهل الجنة] أخرجه الإمام أحمد بن حنبل ، والبخاريّ ، والترمذيّ والنسائيّ .

يرشدنا نبينا محمد عبد الله ورسوله في هذا الحديث إلى صيغة استغفار نستغفر بها الرب الجليل تبارك وتعالى وتقدس ، كيف لا وإن هذا الاستغفار وصفه

الذي ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى صلوات الله وسلامه عليه ، بأنه سيد الاستغفار أي أجوده وأحسنه ، وأقربه إلى الإجابة من الله جلّ وعلا. ذلك لما حوى من أسباب الاستجابة من توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الأسماء والصفات ، والعمل الصالح من معاهدة الله على البقاء على العهد والوعد بإخلاص العبادة لله والعوذ به من شر النفس وصنعها ، والاعتراف بنعمة الله ، والاعتراف بالذنب والاستغفار منه اليه سبحانه وتعالى. لأنه ليس من أحد في الأرض ولا في السماء ، يستطيع أن يغفر الذنب إلاّ هو سبحانه جلّ وعلا .

بدهيّ أن يرشدنا نبيُّنا عليه أفضل الصلاةِ والسلام ، إلى أفضل الأعمال وإلى سيد الاستغفار وإلى معالي الأمور فهو بنا الرؤوف الرحيم (**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم**) ١٢٨ — التوبة . وبشّرنا عليه الصلاة والسلام بأنّ من قالها في أول النهار ، موقناً بها فمات من يومه قبل أن يُمسي ، فهو من أهل الجنة . ومن قالها في الليل موقَناً بها فمات قبل أن يصبح ، فهو من أهل الجنة .

بأبي وأمي أنت يا رسول الله ما تركت لنا شيئاً يقربنا من الجنة من قول وعمل إلا وأمرتنا به ، وما تركت لنا شيئاً يقربنا من النار من قول وعمل إلا حذرتنا منه ، فجزاك الله عنا وعن الإسلام والمسلمين ما أنت له أهل صلى الله عليك وعلى آلك وأصحابك ومن تبعك بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً .

على أنّ لنا — ولا شك — شاهداً من هذا الحديث فيما نسوقه من أدلّة صحيحة على أحقيّة ما نعالجه من موضوع التوسل المشروع ... وخاصة في بحثنا هذا .. من التوسل بالعمل الصالح . فإن الناظر في هذا الحديث يتأكد تماماً مشروعية التوسل بالأعمال الصالحة لا سيما وأن الرسول صلوات الله **وسلامه** عليه ما يذكره لنا ولا يعلمنا إياه ... إلا ليَلفتَ أنظارنا إلى ما فيه من التعاليم والإرشاد إلى التوسل الذي جاء في هذا الحديث فسنوضحه لك يا أخي المسلم... حتى يتجلّى لك الدليل واضحاً والحجة ناصعة .. بأن رسول الله ﷺ لا يدعو

إلاّ ويقرّب بين يدي دعائه عملاً صالحاً يتقرّب به إلى الله تعالى ثم يدعو واليك البيان من هذا الحديث :

يقول عليه الصلاة والسلام : سيد الاستغفار أن يقول العبد، أي أحسن ما يمكن أن يقول العبد مستغفراً ربه تعالى : [اللهم أنت ربي لا إلَه إلاّ أنت] . أي أنت ربي الذي رباني وربّى جميع العالمين بنعمته لا رب لي سواك ولا إلَه لي غيرك أي لا معبود لي من دونك وكيف يمكن أن يكون لي معبود غيرك ، وأنت الذي خلقتني وأنعمت عليّ وتعهدت خلقي إلى أن صرت رجلاً . وما زلت أتقلب بنعمتك ولا أزال، فكيف أعبد سواك وهل يعبد غير الذي خلق وأنعم ..؟ [خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعتُ] أي أنت ربي الذي خلقتني من العدم وسويتني بشراً سوياً، وأنا عبدك الطائع عاهدتك أن لا أعبد سواك فأنا على العهد والوعد مقيم. ولا أدّخر وسعاً خلقته بي إلاّ وأبذله في طاعتك ومرضاتك ، فسأفرغ كلّ جهدي ووسعي في تنفيذ ما أمرتني به ... وأنت المُطلع على النيّات والمقاصد والخفايا [أعوذ بك من شرّ ما صنعتُ] أي أعوذ بك من شر نفسي وما يوسوس لها الشيطان من سوء العمل ويزيّنه لها اللهم إني أعوذ بك منه ، لا يدفعه عني الاّ أنت [أبوء بنعمتك عليّ] أي أعترف بنعمك الوافرة التي لا تعد ولا تُحصى ، فنعمتك السابغة علي التي ألمسها في نفسي في كل لحظة ونفَس ما زلت غارقاً بها [وأبوء بذنبي] أي أعود معترفاً بذنبي وما بدر مني من الخطايا بأنني أنا الذي فعلتها ، ولا أنسبها إلاّ إلى نفسي . لأنني أنا الذي فعلتها، واقترفت شرّها فالخير كله بيديك والشر ليس اليك وأنا فاعله ومقترفه.

كل هذا الذي مرّ في هذا الابتهال من توحيده تعالى بربوبيته وألوهيته ، وبما عمل العبد من عمل صالح من إيمانه بخالقية الله وعبودية المخلوق، وإفراده لله بالعبادة وحده، وإقامته على عهد ووعد العمل بأوامر الله والانتهاء عن نواهيه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، واعترافه بنعمة الله عليه واعترافه بذنوبه لديه. كل هذا...قرّبه توسلاً إلى الله بين يدي دعائه وابتهاله إليه ثم شرع يدعو الله تعالى قائلاً : [فاغفرْ لي إنه لا يغفر الذنوبَ إلاّ أنت] أي مؤمناً إيماناً جازماً بأنه لا أحد يغفر أو يعفو إلاّ هو ، فاتّجه إليه ، و طلب المغفرة منه ، وانه قد عرف الحق

لأهله . فكان هذا سبباً ، في قبول الدعاء ، وإعطاء السؤل ، وإجابة الطلب :
(غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو اليه المصير)
(٢) غافر .

هكذا يا أخي المسلم الكريم ، فقد رأيت كيف يحرص النبي على أمته توجيهاً وتعليما وإرشاداً ، فيوجهها خير وجهة ، ويعلمها أنفع علم ، ويرشدها إلى أقوم طريق وأهدَى سبيل ﷺ وجزاه عنا وعن الإسلام والمسلمين ما هو أهله ، وسلم تسليما كثيراً .

فاذا كان حرصه ﷺ هكذا .. أفلا نكون متّبعين بذلك لهديه ﷺ لا سيما والمردود ولا شك ... مردود خير على أنفسنا ... فما أحرانا نحن أن نوجهها بتوجيهه الكريم ، وننفذها بتعاليمه الهادية التي لا يأتيها الباطل ، ونرشدها إلى سبيله الأقوم ... فيقودنا إلى ما يحبُّ الله لنا ويرضى .

ولا يهمنا بعد رضاء الله سبحانه أحد ... أمّا سخَط الناس ، وحنقهم ، وغضبهم فهذا ما تعهد الله جل وعلا أن يكفينا مؤونته ... فهو الذي سيحقّ الحق ، ويعلي كلمته وينصر دينه ويجعل كلمته هي العليا ، ويلين لها القلوب والأفئدة . [اللهم يا مقلّب القلوب ثبّت قلوبنا على دينك] .

الدليل السادس

حَديث الغَـار

قوله ﷺ ، فيما رواه عنـه ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

[« انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم ، حتى أواهم المبيت إلى غار ، فدخلوا فانحدرت صخرةٌ من الجبل ، فسدَّت عليهم الغار . فقالوا : إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة ، إلاَّ أن تدعوا الله بصالح أعمالكم . فقال رجل منهم :

« اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران كنت لا أغبق قبلَهما أهلاً ولا مالاً . فنأى بي طلب شجر يوماً فلم أُرِحْ عليهما حتى ناما . فحلبت لهما غبوقهما ، فوجدتهما نائمين ، فكرهت أن أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً ... فلبثت والقدح على يديّ ، انتظر استيقاظهما ، حتى برقَ الفجر . - زاد بعضُ الرواة - « والصبية يتضاغَون عند قدميّ » فاستيقظا فشربا غبوقهما . اللهـمَّ إن كنت فعلت ذلك ابتغاءَ وجهك ، ففرّج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة .

فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج منها ، قال النبي ﷺ « قـال الآخر : اللهم كانت لي ابنة عم ، كانت أحبَّ الناس إليّ .. فأردتها عن نفسها فامتنعت مني ، حتى ألمَّت بها سنة من السنين ، فجاءتني وأعطيتها عشرين ومئة دينـار ، على أن تخلي بيني وبـين نفسها ... ففعلتْ . حتى إذا قدرتُ عليها ... قالت : لا يحلُّ لك أن تفضّ الخاتم إلاَّ بحقّه فتحرّجتُ من الوقوع عليها ... فانصرفت عنها . وهي أحبُّ الناس إليَّ ، وتركت الذهب الذي أعطيتها : اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهك ، فافرج عنا ما نحن فيه . فانفرجت الصخرة ، غـير أنهم لا يستطيعون الخروج منها .

قال النبي ﷺ « وقال الثالث : اللهم إني استأجرت أجراء وأعطيتهم أجرتهم غير رجل واحد ترك الذي له ، وذهب ... فثمّرت أجره ... حتى كثرت منه الأموال فجاءني بعد حين ... فقال لي : يا عبد الله أدِّ لي أجري . فقلت : كل

ما ترى من أجرك ، من الإبل والبقر والغنم والرقيق !!! فقال : يا عبد الله لا تستهزىء بي ؟!! فقلت اني لا أستهزىء بك . فأخذه كله...فساقه فلم يترك منه شيئاً ، اللهم إن كنت فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك ... فافرج عنا ما نحن فيه . فانفرجت الصخرة ... فخرجوا يمشون ،] . رواه البخاريّ ومسلم والنسائي .

هذا حديث نبويّ شريف متفقٌ على صحته ، يرويه ﷺ عن الأمم المؤمنة السابقة وإنك لتعلم يا أخي القارىء المسلم أنَّ من البدهي أن الإنسان لا يتكلم بكلام ... إلاّ ويكون له مناسبة . وإن هذه المناسبة . غالباً ما تلجىء المتكلم إلى إيراد شاهد يؤيد ما ذهب اليه من رأي ... أو يوردُ الشاهد أولاً ... ثم يقارن به واقعاً في مجتمعه يودُّ معالجته ، فيكون ايراد الشاهد عوناً له على إدخال ما يبغيه من مفاهيم في أفكار الناس ،حتى يؤيدوه ، ويتّبعوا ما جاءهم به من نصح .

إذاً...فإن إيرادَ الشاهد،إنما هو وسيلةإيضاحية يؤيّد به المتكلمُ فكرتَهُ التي يدعو الناس اليها ...وإن إيراد رسول الله ﷺ هذا الحديث، يمكننا أن نستنتج منه أحد الفرضين الآنفي الذكر ... أي إما انه كان يبحث مع صحابته قضية التوسل أو سألوه عنها . أو أنه رغب أن يعالج هذه القضية أي قضية التوسل.. ليسلك بالمؤمنين المسلمين السبيل الصحيح ، طالما أن للمسلمين قرب عهد بالشرك ، فقد يكونون لقرب عهدهم هذا ... ما زالوا يتوسلون توسلاً جاهلياً غير مشروع فيخطئون من حيث لا يريدون ... كالحلف باللات مثلاً ، فقد كان المسلمون الحديثو عهدٍ بشرك ... كانوا يحلفون باللات – سبق لسانٍ – دونما أي تقصد ويعلم رسول الله ﷺ ذلك منهم ... فكان يقول : [من حلف باللاتِ فليقل لا إله إلاّ الله]أي من حلف باللّات ناسياً غير متقصّد ، فكفارة ذلك أن يعقبها حالاً بقوله : لا إله إلا الله لأن الحلف عبادة . فمن حلف بالله فقد عبد الله تعالى، ومن حلف بغيره ، فقد عبد هذا الذي حلف به ... فلزم أن يُفرَد الله بالعبادة وحده فيقول : لا إله إلا الله . أي لا معبود إلاّ الله . بمعنى أنني وجهت بقولي: (واللاتِ) عبادة لغير الله فلا يكفّرُ ذلك..الا أن أتبرأ من جديد من عبادةغير

الله . أي من قولي: (واللات) وأجدد إيماني بأنني لا أعبد إلا الله وحده لا شريك له فأقول : لا إله إلا الله . أي لا معبود لي بحق في السماء والأرض إلا الله تعالى .

فهمنا مما تقدم أن النبي ﷺ ما أورد هذا الحديث ، إلا لموجب اقتضى إيراده لأنه ﷺ حريص على أمته أن تسلك الطريق المستقيمة إلى العمل الصحيح ، وكل تخبط في الطريق مانع من الوصول إلى الغاية المتوخاة من العمل. ولا شك في أن الأمم المؤمنة السابقة هم أسوة لنا في العمل المستقيم ، وليس أدل على استقامة عملهم من موافقة رسول الله ﷺ له ، بل وإيراده حجة له في معالجة ما يريد أن يعالجه ، وليكون أيضاً وسيلة إيضاح يستعين بها على إفهامهم مراده من الشاهد الذي يورده .

هناك قاعدة شرعية تقول : (شرع من قبلنا شرع لنا ما لم ينسخه شرعنا) فالتوسل إلى الله تعالى بالوسائل الشرعية هو هو ... من لدن آدم أول الأنبياء إلى محمد خاتمهم صلى الله عليه وعليهم أجمعين وسلم تسليما، لم يتبدل ولم يتغير لصلته الوثيقة بالتوحيد . والتوحيد كذلك هو هو لم يتبدل ولم يتغير ، إذ من غير المعقول أن يكون مطلوب الله التوحيد من أمم ... ثم يكون مطلوبه من أمم أخرى الشرك !!! فهذا مما لن يكون أبداً **(وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون (٥٢) الأنبياء**

وعلى هذا الأساس الركين ، فان التوسل بالعمل الصالح الذي يستشهد به رسول الله ﷺ رواية عن الأمم السابقة المؤمنة ... إنما كان شرعاً من قبل الله لكافة الأمم ، ولم ينسخه شيء .. لا سيما وإن شرعنا – القرآن والسنّة – يؤكد من جديد على تحديد التوسل المشروع بأقسامه وأنواعه الثلاثة الآنفة الذكر في الأبحاث الماضية ، ويحث عليه المؤمنين ويجعله سبباً شرعياً لاستجابة الدعاء .

تعمّدتُ يا أخي القارىء المسلم الكريم ، أن أمهّد لك في بحثي المتقدم ... تمهيداً مسهباً ولو بعض الشيء .. كيما أتعاون وإياك على فهم مراد الله ورسوله .. هذا من جهة ... ومن جهة أخرى أن أسد المنافذ على بعض الذين يودّون أن يعرقلوا مسيرة الحق ... ويغطّوا نوره ، للحؤول دون تسرّبه إلى القلوب

والأفئدة ... لعلّهم يرجعون إلى الحق ويحاربون معنا عدوّنا إبليس لعنه الله ، هذا العدو الذي جاهر بعدائه بني آدم وأخذ بذلك عهداً على نفسه أمام الله ساعة لعنه وطرده .

(قال رب بما اغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم اجمعين /٣٩/ الا عبادك منهم المخلصين /٤٠/ قال هذا صراط عليّ مستقيم /٤١/ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين /٤٢/وإنَ جهنم لموعدهم اجمعين/٤٣/ الحجر

وها أناذا أشرع بالكلام على هذا الحديث المشهور بحديث الغار وأحاول أن أتطلّعَ إلى مقصد رسول الله ﷺ من إيراده وذكره ، وروايته لأصحابه ... فأقول وبالله المستعان :

لعل سائلاً يسأل: كيف يروي رسول الله ﷺ خبراً عن الأمم السابقة المؤمنة ، وهو لم يعاصرهم ، ولا رواه له من عاصرهم ما دام بينه وبينهم زمنٌ سحيقٌ يقدر بآلاف السنين ...؟!!!

الجواب : سؤال ... من الذي أخبر محمداً ﷺ عن قوم عاد وثمود وإبراهيم ولوط وغيرهم وما حلّ بهم ..؟ سيقولون أخبره الله تعالى في قرآنه ... فنقول: وكذلك أخبره الله تعالى في السنة ... فالقرآن وحي والسنة وحي أيضاً ... إلا أن القرآن كلام الله ، والسنّةَ ليست كلامَه. إنما كلاهما وحيان: (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى) /٣/ النجم .

إذاً فهذا الحديث ... إخبار عن الله تعالى كغيره من الأحاديث التي ترد في مواضيع شتى ... والغرض منه إخبار أمته بأخبار الأمم فتحصل بذلك العظة والأسوة . ولفتُ أنظار أمته ﷺ ، أن يفعلوا كما فعل الثلاثة ... بعد أن أَووا إلى الغار وأطبقت الصخرة ، فسدّته عليهم ... فقالوا إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلاّ أن تدعوا الله بصالح أعمالكم .

وقد يسأل سائل آخر : من أين علموا أنــه لا ينجيهم إلا الدعاء بصالح أعمالهم ؟.

الجواب : إن مثل هذا القول الذي قالوه ... لا بد أن سمعوه من نبيّهم في ذلك الحين ... أو من آبائهم الصالحين عن نبيّهم .. لأن علمهم هذا لا يُعرف إلا من مشكاة النبوّة ، كما يفهم أن قائليه مؤمنون ... ولولا ذلك ما استشهد به رسول الله ﷺ ، وندب أمته أن يعملوا عملهم أي يتوسلوا إلى الله تعالى بأعمالهم الصالحة إمّا حزبهم أمر ، أو حلّت بهم شدة ، أو نزل بهم كرب .

أما الأول : فقد توسل إلى الله ببرّه لوالديه ، وتفضيلهما على أهله وأولاده ونفسه . أما الثاني : فقد توسل إلى الله بعفته عن الحرام ، وعن الوقوع في الفحشاء مخافة الله . أما الثالث : فقد توسل إلى الله تعالى بأمانته واستقامته ، وبمعاملة أجيره ، كما يعامل نفسه بل وزيادة . وكلٌّ فعَلَ ذلك ابتغاءَ مرضاة الله تعالى لا خوفاً من العباد ولا طمعاً بإطراءٍ منهم أو مديحٍ ... أو جزاء .

ولا شك أن أعمالهم من أرفع الأعمال الصالحة ... فهي أعمال صالحة مرضية مقبولة . رفعت إلى الله وسيلة لاستجابته الدعاء بنجاتهم من كربهم العظيم ..

وكان كل توسلٍ ، يصدر من أحدهم ، يكرمه الله تعالى فوراً باستجابة الدعاء . إلى أن أجاب الجميع وأنقذهم من الصخرة ... وأزاحها عنهم ... بسبب توسّلهم بالعمل الصالح المخلص ... وخرجوا جميعاً يمشون .. !!!

فعندما يذكر النبي الكريم ﷺ مثل هذا الخبر عن الأمم السابقة .. يعلم الكل ما هو مقصده من ذكره ، فينشط الجميع إلى التأسي بمن ذكرهم رسول الله ﷺ ، فيتوسلون عند الاقتضاء ، كما توسل أولئك الثلاثة رضي الله عنهم .

إذاً فذكر هذا الحديث وإيراده ... إنما هو حضٌّ وتحريض منه ﷺ على العظة والأسوة والاقتداء . وهكذا قد فعل أصحابه ﷺ من بعده وكذلك القرون الخيّرة .. ثم ظهر قرن البدعة ، من وراء قرن الشيطان ، فنُسي الهدي المحمدي ، والمنهجُ المصطفويّ ، والصراط النبويّ ... فماتت السنّةُ ، وقامت البدعةُ ، فاستبدلوا التوسل المشروع بالتوسل الممنوع ، وجعلوا المخاليق وذواتهم هدف الغرض فتوسلوا بهم اليه تعالى وزَيّن لهم الشيطان سوءَ أعمالهم فرأوها حسنة ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً .

الدليل السابع

دليل من عمل الصحابة

لا شك في أن ذكر الرسول ﷺ لبعض أخبار الأمم السابقة المؤمنة إنما يهدف من ذلك للعظة والتأسي .

وان الصحابة الكرام هم أول المتلقين عنه ﷺ هذه العظات ، وهم أول الذين يتأثرون بها ، ويستفيدون من العظة ، ويحرصون على التأسي بمن قبلهم من الأمم المؤمنة ، لا سيما إذا كان النبي ﷺ هو الدالُّ والحاضُّ على هذا التأسي .. فتعود تلك العظات ليست مجرد أخبار للاطلاع فحسب ... انما أصبحت شرعاً يقتدى به استحباباً أو وجوباً ... بحسب مكانة العظة ... أو درجة تركيز الرسول عليها وحضّه على تنفيذها .

ولا شك في أن صحابة رسول الله ﷺ ، هم أوعية إرث النبوة الخاتمة ، والقلوب الواعية لهذا العلم الموروث ... وما حبسوا عن الأمة بعد نبيهم أيةَ سُنّةٍ علموها منه ، وكانوا في حياتهم العامة والخاصة ، أمثلة حيّة صادقة لحياة الرسول عليه أفضل الصلوات ، وأزكى التحية .

فكانوا في حالهم وقالهم ... الهداة الصادقين ، الحريصين على تبليغ ما وعَوْه عن الرسول الكريم في كل شأن من الشؤون الدينية والدنيوية . فكانوا القدوة الكاملة للأمة لأنهم حملة أنفاس الرسول المطرة بالهدى والخير .

وفي صدد ما نحن جادّون في معالجته من بحث التوسل بالأعمال الصالحة ، نأتي على سبيل المثال بما كان الصحابة يفعلونه من التوسل ...

وهذا خبر عن ابن مسعود رضي الله عنه، نورده كنموذج من توسلاتهم التي طبقوها في حياتهم . كان ابن مسعود رضي الله عنه يقول بعد صلاة الليل : (اللهم أمرتني فأطعتك ، ودعوتني فأجبتك ، وهذا سحر فاغفر لي) .

فالقيام في السحر والناس نيام من أجلّ الأعمال الصالحة ، قدّمها ابن مسعود بين يدي دعائه ، ولم يدعُ قبل أن يتوسل بها إلى الله تعالى فقال :

(اللهم أمرتني فاطعتك ، ودعوتني فأجبتك ، وهذا سحر فاغفر لي).

وفي هذا ... إشارة إلى الحديث : [ينزل ربكم إلى السماء الدنيا في الثلث الاخير من الليل فيقول : هل من تائب فأتوب عليه ، هل من مستغفر فأغفر له] أو كما قال عليه الصلاة والسلام .

وهذا عراك بن مالك رضي الله عنه :

(كان إذا صلى الجمعة ، انصرف ... فوقف على باب المسجد فقال : اللهم إني أجبت دعوتك ، وصليت فريضتك ، وانتشرتُ كما أمرتني[1] فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين) . رواه ابن أبي حاتم .

وان كلام عراك رضي الله عنه كما هو واضح هو توسل الى الله تعالى باجابة دعوة الله إلى الصلاة ، وهي الاذان ، وبصلاته فريضة الجمعة ، وبانتشاره من بعد الصلاة كما أمره الله تعالى وسائرَ المسلمين في قوله تعالى : (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض ...) /١٠/ الجمعة . كل هذه الاعمال الصالحة قدمها توسلا اليه تعالى بين يدي دعائه ... ثم شرع يدعو فقال : فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين .

واذا كان هذا عمل توسل به ابن مسعود ، وعراك بن مالك رضي الله عنهما ، فليس سائر الصحابة دونهما توسلا ... وعملا وتطبيقاً لسنة الرسول ﷺ ، فقد كانوا جميعاً على هذا النمط من العمل والتطبيق ، والحرص على اتباع الرسول

(١) وهذا دليل على أن الصحابة ، كانوا ينتشرون بعد صلاة الجمعة ، فلا يصلون ظهراً بعدها !!! كما هي حال بعض المسلمين اليوم من صلاة الظهر بعد الجمعة كأن في هذا اليوم فرضاً سادساً !!!؟ راجع رسالتنا : « حكم الشرعة في صلاة الظهر بعد الجمعة » .

الاعظم ﷺ ، وهل تلقينا السنّة المطهرة إلا عن طريقهم ؟ ولكن خلف بعد القرون الخيرة خَلْف تسللت البدعة إلى صفوفهم ثم توارثت الأجيال الجاهلة ، ما سوّل الشيطان لهم من بدعـه ... حتى صار لهم أعوان وأنصار ... فشرعوا من الدين ما لم يأذن به الله ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعـاً . حتى أصبح التوسل الممنوع شعاراً عاماً بين المسلمين - إلا من رحم ربـك - فترى الكثرة الكثيرة عامةً وخاصة عند ما يتوسلون يكاد ... أن لا يخطر على بالهم التوسل إلى الله بذات الله وأسمائه وصفاته ، أو بالأعمال الصالحة ... وأصبحت السنة بدعة ، والبدعة سنة !!! فلا حول ولا قوة إلا بالله .

وإذا حاولتَ يا أخي تذكيرهم بالحق ... وبالسنّة المنسيّة ، غضب أكثرهم وسمع لأنفاسهم شهيق وزفير ، ولأضراسهم تغيّظٌ وصرير ، وتكاد أعينهـم ترميك بالشرر ... كل هذا ... لأنك ذكّرتهم بالسنة وإحيائها ، ودعوتهم إلى شميم عرفها العبق ، وأريجها الفواح بالحق والخير والهدى .

لا تيأس يا أخي ... إن الحياة جهاد وكفاح ... وإن إصرارك في الحق ، ورسوخك في إشاعة الخير ، وثباتك على إذاعة الهدى ونشره ... لا بـد وأن يكون مؤثراً في النفوس ، فتتفتح له القلوب والأفئدة عاجلاً أو آجلاً ، ويعود الحق خفاق البنود ، في ظل ظليل مـن الرعاية الإلهية والعناية الربانية ، فإلى ذلك المستقبل المنتظر ... أسرعِ الخطى ، وكل آتٍ قريب إن شاء الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله عليه نتوكل وبه نستعين .

وليس التوسل المشروع الذي أضاعه المسلمون هو المقصود من الجهاد فحسب لا ، إنما السنة النبوية في كل شيء ، دقيقها وجليلها ، صغيرها وكبيرهـا ... من قول : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، إلى الحكم بما أنزل الله ... إلى ... إماطة الأذى عن الطريق . كل هذا يدخل في حساب الجهاد في سبيل الله حتى تعـود العقيدة الصحيحة والحكم الصالح والحياة الإسلامية في كل معانيها ... في البيت وفي الشارع وفي المسجد، وفي المجتمعات العامة في السوق والحانوت والمتجر وكل شأن من شؤون الحياة لأن الإسلام الشامل شمل كل الحاجات أعلاها وأدناهـا

وقعّد لها قواعد ، وسن لها شرائع من يوم أن نزل جبريل بـ (إقرأ باسم ربك الذي خلق) /١/ العلق إلى (اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليلكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) /٣/ المائدة .

أجل ... إن المسلم من يتمثل فيـــه الإسلام بكامله ، يأتمر بكل الأوامر ، وينتهي عن كل النواهي، ويشعر من أعماقه أنه لو تخلى الناس عن الإسلام ماتخلى عنه ، ولو هجر كل الناس الدعوة اليه ، ما هجرها ... فيدعو اليه في نفسه ، وأهله وأقربائه ، ومجتمعه وأصدقائه ، ويستعين بكل وسيلة في سبيل اذاعتـه ونشره ولا يهولنّـه طول الطريق ، وما حوله أو على جنباته من العوائق ... وليعتمد على الله فإنه ناصره لا محالة،ولوطال السبيل، فلا بد واصل الى النهاية، وما النهاية إلاالوصول إلى الهدف الأسمى... وهو عودة المسلمين إلى دينهم الحق، والعودة إلى الإسلام إنما هي النجاح في كلّ ناحيةمن نواحي الحياة، لأن الإسلام لم يترك شاردةولا واردةفي جميع شؤون الحياة...الاوطرقها وأحصاها واستقصاها.. عندها نستطيع أن نقول عن أنفسنا إننا مسلمون حقاً فتفتح لنا القلوب ، وتهفو الينا النفوس ، وتدعونا البلدان والثغور لنُحِلَّ فيها الحق والعدل والهدى والخير ويهتف أهلها : أهلاً بالمنقذين .

أخي المسلم ... هذا والله سيكون ، اذا كنت داعية مخلصاً في دعوتـــك الإسلام تدعو اليه لا لفتح أو تسلط أو جبروت... انما لتذيق القلوب والأفئدة طعم الحق والعدل ، وتنقذ الحيارَى والتائهين وتدلهّم على الصراط المستقيم .

هذه مهمة المسلم في الحياة ليكون هادياً ومعلماً وداعياً إلى الحق ، طبق ما وصفه الله سبحانه في كتابه العزيز :

(كنتم خير أمة أخرجت للنـاس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ...) (١١٠) آل عمران .

٣

توسل المؤمن إلى الله تعالى

بدعاء أخيه المؤمن له

وأدلّة ذلك

مِنَ القرآنِ الكريم

توسل المؤمن إلى الله تعالى بدعاء أخيه المؤمن له

وأدلته من القرآن الكريم

أخي المسلم الحبيب :

لقد أنهيت لك فيما تقدم من صفحات ... بحث نوعين من الأنواع الثلاثة من التوسل المشروع وهما : التوسل إلى الله تعالى بذاته وأسمائه وصفاته . والتوسل اليه تعالى بالأعمال الصالحة. وقد دلـَّلْنا على مشروعية كل نوع... بأدلة بالغة الحجة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ . وأرجو ان تكون قد اقتنعت، واستقرت الفكرة في نفسك. إذ ليس بعد كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ شيء أوضحُ دليلا وأبلغُ حجة ، واسطعُ برهاناً ... وما بعد الحق الا الضلال ، فالحمد لله الذي وفـّق وأعان .

وها أناذا ... اشرع في بيان مشروعية النوع الثالث من التوسل ، وهو : توسل المؤمن لأخيه المؤمن . وهو على نوعين :

١ً — طلب المؤمن من أخيه المؤمن متوسلا بدعائه إلى الله أن يقضي حاجته كأن يقول مثلا : أدعُ الله لي ان يعافيني او يقضي حاجتي وما أشبه ....

٢ً — دعاء المؤمن لأخيه المؤمن دونما طلب من المدعو له كأن يراه مثلا في ضيق ... فيدعو الله له ان يفرج عنه ، ان كان ذلك في حضور المدعو له او كان ذلك في ظهر الغيب كالدعاء في الغيبة ، أو كصلاة الجنازة والدعاء عند زيارة قبور المؤمنين .

ولا فرق في أن يدعو الأعلى للأدنى او الأدنى للأعلى ، فكل ذلك جائز .. ومقبول ، إذا يشاء ربنا ويرضى .

فالمسلمون كانوا يتوسلون الى الله تعالى بدعـاء نبيهم عليه الصلاة والسلام في حياته ... في الاستسقاء وغيره ... فكان يدعو لهم فتستجاب دعوته عاجلا أو آجلا ، كما كان هو ايضاً ... يطلب من أمته جميعاً او افراداً ... ان يدعوا له . كالصلاة عليه مِن كل مَن يسمع الأذان من أمته ، فيقول مثلما يقول المؤذن ثم يصلي ويدعو الله أن يعطيه الوسيلة والفضيلة ، والمقام المحمود الذى وعده ، كما انه صلى الله عليه وسلم طلب من عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم عمرته أن يدعو له .

والقرآن والسنة ... فيهما أمثلة عديدة دالة على التوسل بدعاء المؤمن لأخيه المؤمن ... وسأجني لك يا أخي منها ، باقة عطرة ، فواحة زكية ... لتكون على بيّنة من الأمر .. وعلى علم ويقين من الحق الذي أحاول إقامة الحجة على صحته في هذه الصحائف ... لتطمئن نفسك به ، ويتثبت به فؤادك بإذن الله تبارك وتعالى وتقدّس وهاك يا أخي الأدلة .. مبتدئاً بأدلة القرآن الكريم .

الدليل الأول

قوله تعالى :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ ﴾

النساء

هذه الآية الكريمة ، توضح بصراحة : أن الله سبحانه وتعالى ... هو التواب الرحيم، ومهما اقترف عباده من الذنوب والخطايا... ثم رجعوا اليه ، وأنابوا... فإنه يتوب عليهم ويغفر لهم ذنوبهم، على أن يعزموا على عدم العودة الى الذنب. ومن رحمته بعباده أنــه يدّلهم على الطريق الذي اذا سلكوه ... يوصلهم الى عفوه ومغفرته،لأن لكل شيء سبباً.ففي هذه الآية يدلهم على هذه الأسباب... فإنه تعالى يخبر في محكم آياتــه أنه لم يرسل الى الناس من رسولٍ إلا ليطاع ، ويستجيبوا لرسالته التي أرسلها اليهم ، فمن أطاع ، له عند الله تعالى الدرجات العلى . ومن ظلم نفسه بالإعراض ... أو المعصية ... فقد فتح له باب العودة اليه تعالى ، إنما هذا الطريق له سبل تؤدّي اليه ، فدلهم عليها بقوله جلّ وعلا: (... ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهـــم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيما) .

وذلك بأن يحضروا الى الرسول الاعظـــم ﷺ ويستغفروا الله في مجلسه ثم يسألوه ﷺ ، أن يستغفر لهم أيضاً وهكذا... فان استغفارهم ربهم، ثم استغفار الرسول لهم ... يكوّنان سبباً في توبته تعالى عليهم ورحمته بهم .

فثبت أن الله تعالى أرشدهم إلى توسُلَيْن يستمطرون بهما توبة الله ورحمته .

الاول : استغفارهم الله لانفسهم في مجلس رسول الله ﷺ .

الثاني : سؤالهم الرسول ﷺ أن يستغفر الله لهم فالاول كان توسلاً بالاعمال

الصالحة ... وهو استغفارهم الله الذي هو عمل صالح ، والثاني كان توسلاً بدعاء المؤمن لأخيه .. وكلا التوسلين كانا بإرشاد من الله تعالى . فهـل من دليل على مشروعية هذَيْن التوسُّلَين أدلُّ من دلالة الله عليهما في هذه الآية ...؟ ولما كان توسل المؤمن بدعاء أخيه المؤمن ، أحدُ نوعَيْ هذين التوسلين، هو الذي نحاول إثباتَ مشروعيتِه في هذا الفصل ، فقد أثبتنا ذلك من بيان أن الله تعالى هو الذي أرشدَ عبادَه إليه في جملة ما أرشدَهم في هذه الآيـة الكريمة . وحسبُك من دليل ... إرشادُ الله تعالى اليه وحضّ عباده عليه .

ومما يجب التنبيه إليه ، والتنويه عنه هو أن الذهاب إلى الرسول واستغفار الله تعالى في مجلسه ثم سؤآلهم رسول الله الاستغفار لهم ، واستغفاره ﷺ لهم فعلا ... كلُّ هذا... إنّما كان ولا شك في حياته ﷺ ، فلا يجوز لأحـد بعد وفاتِه أن يأتيَ قبرَه ﷺ ويسألَه أن يستغفرَ الله له، لأن استغفارَه ﷺ قد انقطع بوفاته وانتقاله إلى الرفيق الأعلى ـ بأبي هو وأمّي ـ ولم يعدْ يستطيع الدعـاء والاستغفار لانقطاع عمله بالوفاة .

وبناءً على ذلك فإن كلَّ سؤال منه بالاستغفار بعد وفاته محرّمٌ ، وليس لأحدٍ أن يحتجَّ بالآية على فعل ذلك . فالآية خاصة بحياته ﷺ لأن الله تعالى يحكي عن المنافقين الذين يصدّون عن الحق ، وعن اتّباعه **(ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيماً)** .

إذاً هذه حكاية عن واقع حالٍ ، أيام الرسول ﷺ يذكرها الله في القرآن ويرويها لنا لنتّعظ بما فيها ونعملَ بما نفهم منها ... ويبيّن لنا صحّة ما إذا أردنا أن نتوسل بدعاء أحد لنا، أو استغفاره الله من ذنب بدر منّا ، أو إن نحن دعونا أو استغفرنا لغيرنا ... فيكون ذلك جائزاً منا أو منهم ... لا أن نذهب إلى قبر رسول الله أو أي قبر من قبور الصالحين، ونسألهم أن يستغفروا لنا الله من ذنوب اقترفناها فهذا لا يجوز : لأن وفاتهم حالت دون الاستغفار، ودون أي عمل آخر كانوا يعملونه حال حياتهم .

الدليل الثاني

قوله تعالى :

قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ يوسف

وهذه آية كريمة ، توضح أنّ توسلَ المؤمنِ بدعاء أخيه المؤمن له ، معروف عند الأمم المؤمنة قبلنا ، وهؤلاء أبناء يعقوب عليه السلام ، الذين عصَوا الله تعالى في معاملة أخيهم يوسف عليه السلام ... ثم كَذبهم على أبيهم بادّعائهم أن الذئب أكل أخاهم ... وليس الأمر كذلك ... وبعد أنكشاف الأمر ، شعروا بعبء التبعات فهرعوا إلى أبيهم يسألونه أن يستغفر الله لهم ، وهو النبيّ الكريم المستجاب الدَّعوة ، وقدَّموا دعاءهُ لهم بالمغفرة وسيلةً مقبولة عند الله .

ثم لننظرْ ما كان موقفُ أبيهم من طلبهم . ؟ أكان يوافق طلبهم ، أم يرى أن فيه محذوراً فلا يفعل ... ؟ لأن مِنْ تأكُّدِنا هذا .. نستدلّ على جواز ذلك أو عدمِه ... إننا نرى أنه وافق ، ووعدهم بذلك وقال : (سوف أستغفر لكم ربيّ ...) ولا شك أنه وَفى بوعده واستغفرَ لهم الله تعالى مما فعلوا بأخيهم ...

وإننا نستنتج من استغفاره لهم ، صحّةَ ومشروعيةَ طلب الدعاء من الغير أي مشروعية توسّل المؤمن بدعاء أخيه المؤمن له . وإنّ ذِكْرَ هذه القصة في القرآن فيه إلفاتُ نظرٍ للمؤمنين أن يتأسَّوْا بهم في طلب الدعاء من الغير ، وإنّ في ذلك لدليلاً على مشروعيته ، لأن العقيدة التي جاءت بها الأديان السماوية واحدة ، لا تتبدل ولا تتغير من لدن آدم إلى محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

ولا شك أن يعقوب عليه الصلاة والسلام برّ بوعده لأبنائه فاستغفر الله لهم ، وأن الله تعالى استجاب دعوته ... فغفر لبنيه خطيآتِهم إنه هو الغفور الرحيم .

وهكذا.. فإنك ترى يا أخي القارىءَ المسلم، أن من أسباب استجابة الدعاء.. وقبولِ التوبة، والمغفرة، توسلُ المؤمن إلى الله تعالى بدعاء أخيه المؤمن له. وإنّ هذا النوع من التوسل، هو ولا شك توسلٌ مشروع. وأن التوسل بـه في جملة التوسلات المشروعة المارة الذكر... مجلَبةٌ لرحمـة الله ومغفرته ورضوانه.

فهيّا يا أمـة خير نبيّ ورسول، إلى هذه التوسلات المشروعة وإحيائها بالتوسل بها دائماً... والاكتفاء بها عما سواها من التوسلات غير المشروعـة... وذلك إحياءً لسُنة الرسول الأعظم ﷺ، التي هي المحجّةُ البيضاء، ليلها كنهارها... لا يزيغ عنها إلاّ هالك. وهيّا إلى هجر كل بدعةٍ مستحدثة في الدين مـا أنزل الله بها من سلطان فإن كلّ بدعة في الدين ضلالة، وكل ضلالة في النار أي صاحب الضلالة في النار، لأنه ابتدعَ. وشرّع من الدين ما لم يأذن به الله والعياذ بالله تعالى من الخذلان وسوء المنقلب.

الدليل الثالث

قوله تعالى :

﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾﴾ الفتح

يقول تعالى مخبراً رسوله ﷺ بما يعتذر به المخلّفون من الأعراب الذين اختاروا المقـــام في أهليهم وشغلهم ... وتركوا السير مع رسول الله ﷺ ، فاعتذروا بشغلهم بذلك ... وسألوا الرسول ﷺ أن يستغفر الله لهم . وذلك قول منهم، لا على سبيل الاعتقاد ... بل على وجه التقيّة والمصانعة .

إنهم وإن كانوا مصانعين في تعلـّلهم بانشغالهم بأموالهم وأهليهم ... وطلبهم من رسول الله ﷺ أن يستغفرَ اللهُ لهم ... إلاّ أن هـــذه المصانعة ، بطلب الاستغفار لهم ، تدلّ على أن هذا الطلب معلومٌ شرعيتُه عند رسول الله ﷺ . وهذا .. ما دفعهم إلى طلبه منه ، ولولا علمُهم بشرعية ذلك ... لما اتّقَوْا بــه غضبَ رسول الله ﷺ .

وثمّةَ دليل آخر مستنبط من هذه الحادثة ... أن رسول الله ﷺ، لم يعترض على طلبهم الاستغفارَ لهم ... فدلّ على شرعية هذا الطلب ... ولو كانت غير شرعي لنهاهم عنه ، فقبوله طلبهم ، وعدم نهيهم عنه ، دليل على شرعيته ولا شك .

وبذلك تثبت مشروعية التوسُّل إلى الله بدعاء المؤمن لأخيــه المؤمن ، وصحّة الاستدلال بهذه الآية عليه ، وهذا هو المطلوب ، والله الموفق للصواب .

وقد ثبت في القرآن توسلاتٌ أُخرى من هـــذا التوسل المشروع ... وهي توسلات قوم موسى بدعاء موسى عليه الصلاة والسلام لأن يرفع الله عنهم الرجز

الذي نزل بهم من الطوفان والجراد والضفادع والقمل والدم وما أشبه .. فقد قال الله تعالى :

(ولما وقع عليهم الرجزُ قالوا يا موسى ادعُ لنا ربَّك بما عهِدِ عندك لئن كشفتَ عنا الرجزَ لنؤمنَنَّ لك ولنُرسِلنَّ معك بني إسرائيل /١٣٤/) الأعراف.

نكتفي بالإشارة اليها للمناسبة ... فهي في حد ذاتها توسل بدعاء موسى... ولكننا التزمنا البحث في معالجة شرعية توسل المؤمن بدعاء أخيه المؤمن . وفيما تقدم من الاستشهادات بالآيات القرآنية كفاية ... والله الموفق .

تقدّم معنا قبيل صفحات ... أن توسل المؤمن لأخيه المؤمن على نوعين :

١ً – طلب المؤمن من أخيه المؤمن ، متوسلاً بدعائه إلى الله تعالى أن يقضي حاجته وهذا ما دلّلنا على صحته بما تقدم من الآيات القرآنية فيما بحثناه آنفاً... ونرجو الله تعالى أن يقدّر فيه النفعَ للمسلمين عامة .

٢ً – دعاء المؤمن لأخيه المؤمن ، دونما طلب من المدعو له ... كأن يراه مثلاً في ضيق ... فيدعو الله له أن يفرّج عنه ، إن كان ذلك في حضور المدعو له ، أو كان ذلك في ظهر الغيب .

وهذا ما سنحاول الدلالة عليه أيضاً من القرآن الكريم ، فاذا دلّ القرآن على جواز ذلك ، بل وحضّ عليه ثبتت مشروعيته . فعلى المسلمين أن يزاولوا هـذا النوع من التوسل المشروع في جملة أنواع التوسُّل المشروع المتقدّم الذكر ، رغبة استجابة توسّلاتهم ونيلهم ما يتمنون من التمنّيات المشروعة .

الدليل الرابع

قوله تعالى :

﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٧ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٨﴾ المؤمن

لا شك أن التوبة من الذنب تدخل التائب، حضيرة القدس وينعم من الله بالإجابة والرحمة والمغفرة، ويأمر الله ملائكته حملة العرش ومن حول العرش منهم أن يجأروا إليه تعالى متوسلين بدعائهم له أن يغفر لهذا التائب من ذنبه، والراجع إلى الله نادماً على ما فرطت يداه من الخطيئه . يدعون له بالمغفرة وبتثبيته على الصراط المستقيم أي على المضي في طريق الهداية ليمحو ما اقترفه من الذنوب ، فيبدل الله سيئآته حسنات ويتّقي بذلك عذابَ الجحيم، لأنه لو بقي على مضيّه في طرق الخطايا، لكانت نهايته إلى الهلاك ودخول النار والعياذ بالله تعالى، ولكنّه لما تاب وأناب ورجع إلى صراط الله العزيز الحميد ، توسل له الملائكة ، أن يقيه عذاب الجحيم. ثم سألوا الله له أيضاً أن يدخله جنات الخلود التي وعد الله التائبين، والعاملين الصالحات، أن يدخلهم فيها. وتأمّل يا أخي كيف أن صلاح الأبناء كيف نفع الآباءَ والأزواج والذريّة ... أجل إن صلاح الأبناء بتوبتهم وعملهم العمل الصالح، كان حافزاً للملائكة، لا أن تدعوا لهم فقط، بل فقد تعدّى الدعاء بأسبابهم إلى الآباء والأزواج والأولاد أن يدخلهم الجنّة . وهذا من زيادة النعيم ومضاعفة

البهجة أن يجمع الله لهم في الجنة آباءهم وأزواجهم وذرياتهم لتقرّ أعينهم بأحبابهم وهذا ولا شك زيادة في النعيم .

وهكذا ... فقد اتضح لك يا أخي كيف أن الملائكة تتوسل إلى الله بدعائها أن يثبّتَ التائبين ويغفرَ لهم ويرحمهم ويدخلهم ،جنات عدن مع آبائهم وأزواجهم وذرياتهم . فقد ثبت بما تقدم دعاء الملائكة المؤمنين إلى الله بالمغفرة لأخوانهم التائبين المؤمنين من البشر أو المكلفين عامةً ... وان توسل الملائكة بدعائهم للمؤمنين دليل على مشروعية ذلك لأن الملائكة لا يعملون ولا يفعلون شيئاً إلا وهو عمل صحيح بل إنه أمرٌ من الله تعالى أن يفعلوا ذلك .. وإذا كان الله تعالى هو الذي أمرهم أن يدعوا لإخوانهم المؤمنين بظهر الغيب ... فهل هناك من دليل أدل على مشروعية ذلك من أمر الله لهم به ...؟ وهكذا فقد اتضحت مشروعية دعاء المؤمن لأخية وتوسله إلى الله بهذا الدعاء بظهر الغيب أن يغفر له ويرحمَه .

إنني أعتقد أنه لم يبقَ في نفسك يا أخي أدنى شك بمشروعية ذلك فبادر يا أخي بفعل ذلك، وأذعه بين إخوانك المؤمنين حتى يفعلوا ذلك أيضاً لأن الداعي لأخيه بالخير، فإنَّ ملكاً موكلا بالدعاء له جزاء ما دعا لأخيه بالخير ويقول : [ولك بمثل] أي يدعو **الملك** بأن يكون لك أيضاً مثل ما دعوت لإخوانك المؤمنين من الخير والبركة والمغفرة والرحمة . والجزاء من نوع العمل .

الدليل الخامس

قوله تعالى :

وَالَّذِينَ جَاءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾

الحشر

ذكر الله تعالى في كتابه العزيز من يستحقّ الفيء، وهو : كلُّ مالٍ أُخذ من الكفار من غير قتال ولا إيجاف خيلٍ ولا ركاب. أي لم يقاتلوا الأعداء بالمبارزة والمصاولة ، بل نزل أولئك من الرعب ... ما ألقى الله في قلوبهم من هيبة رسول الله ﷺ ، كما حصل لبني النضير فأفاء الله أموالهم التي تركوها ... على رسول الله خاصة . ولهذا تصرف في فيْءِ بني النضير كما يشاء ...

قد لا يكون الكلام المتقدّم علاقة في البحث الذي نعالجه « بحث التوسل » ولكن من أجل الوصول الى ما نبغي ... لا بد لنا أن نستعرض باختصارٍ الآيات التي سبقت هذه الآية الكريمة التي نحن بصدد التركيز عليها لاعتبارها دليلاً على ما ذهبنا اليه من جواز التوسل بدعاء المؤمن لأخيه المؤمن . ففي تلك الآيات التي تقدمت هذه الآية حدد الله فيها مستحقي الفيء فقسّم المؤمنين الى أقسام ثلاثة : ١ - المهاجرون الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ابتغاء فضل الله تعالى ونصرة لله ورسوله الذين صدقوا في كل عمل وقول صدر عنهم . ٢ - الأنصار وهم الأوس والخزرج الذين آمنوا بالله ورسوله وآوَوْا رسول الله الذي هاجر إليهم مع إخوانهم المهاجرين فقاسموهم الأموال ويؤثرونهم على أنفسهم

ولو كان بهم خصاصة فقد وُقَوا شحّ أنفسهم وأفلحوا ونجحوا ٣ – والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالايمان ... وهؤلاء المذكورون في هـــذه الآية هم المؤمنون المسلمون عامة ... والتابعون لهم أي المهاجرين والأنصار ، والمتبعون لآثارهم الحسنة ، وأوصافهم الجميلة ، والداعون لإخوانهم الذين سبقوهم بالإيمان في السر والعلانية .

وهنا نقف قليلا ... عند قوله تعالى : (يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالايمان). ولا شك أن الله تعالى عندما يذكر هؤلاء ، وهم المؤمنون والمسلمون الذين اتبعوا المهاجرين والأنصار ، في كل ما تلقَّوْه عن الرسول ﷺ قولاً وعملا ، وعملوا بمثل ما عملوا ... ثم يدعون لهم أن يغفر لهم ، أي لإخوانهم الذين سبقوهم بالإيمان ، لأنهم كانوا لهم هداةً ومصابيح دلالةٍ على الحق ، وبأسباب هذه الهداية كانوا مؤمنين ومسلمين فجزاء ما كانوا سبباً لذلك ، كان دعاؤهم لهم بالمغفرة والرحمة .

اذاً فهؤلاء الذين جاءوا بعدهم ، يتوسّلون الى الله تعالى بالدعاء لهم بالمغفرة جزاء ما أخذوا عنهم الصلاح والهدى والخير والحق ، وهذا دعـاء بظهر الغيب من مؤمنين لمؤمنين قبلهم ، أخذوا عنهم الدين والإيمان . وقد يكون هؤلاء بعيدين عنهم مئات السنين ولكن الدعاء يقطع عـــبر القرون السحيقة حاملا لأولئك الرحمة والمغفرة من الله تعالى جزاء ما أسلفوا وخلفوا لمن بعدهم من الدين الصحيح والإيمان الحق .

وإن القرآن الكريم ، ليذكر صنيعهم الطيّب ، بالرضا والتأييد ، ويسجل دعاءهم بالمغفرة لإخوانهم الذين سبقوهم بالإيمـان ... ويهيب بكل من تلقـّى من سلفه هدياً مماثلا أن يدعوَ لهم دعاءً مماثلاً بالمغفرة . وهذا مما يدل دلالة قاطعة أن الله سبحانه وتعالى راضٍ عن عملهم ودعائهم ، حاضّاً سواهم على متابعة خطاهم أيضاً واتباعهم في هديهم مع سلفهم إلى أن تقوم الساعة ، فعمل يكون الله مؤيداً له وحاضّاً عليه ... لا شك أنـــه يدل على مشروعيته القطعية التي لا غموض فيها .

ولعلّ هذا الوصف لموقف الذين جاءوا من بعد قرون الخير والهدى، المتبعين هَدْي من كان قبلهم من المهاجرين الذين أُخرجوا من ديارهم، ومن الذين تبوّأوا الدار والإيمان من قبلهم، يهيب بمؤمني هذا الزمن أن يكون موقفُهم موقفَ الذين وصفهم الله في كتابه ورضي عنهم بقولون كما قالوا : (ربنا اغفرْ لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعلْ في قلوبنا غِلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم) .

توسل المؤمن إلى الله تعالى

بدعاء أخيه المؤمن له

وأدلته من السنة الصحيحة

توسل المؤمن إلى الله تعالى

بدعاء أخيه المؤمن له

وأدلته من السنة الصحيحة

أخي القارىء المسلم الكريم

ذكرت لك آنفاً ... شرعية توسل المؤمن إلى ربه تعالى بدعاء أخيه له، وذلك بأدلة من كلام الله تعالى ... وها أناذا .. أثبت لك ذلك أيضاً، من السنة المطهرة، على صاحبها أفضل الصلوات وأتم التسليم. فكما أن في القرآن أمثلةً وأدلة على كل أمر مشروع ... كذلك فإن في السنة السَّنِيَّة، أمثلةً وأدلةً على ذلك، وليس خافياً عليك أن السنَّة شارحة للقرآن ... فما أُجمِل فيه، فُصِّل فيها.

وهناك أحاديث عديدة في هذا الباب ... إنما نقتطف لك قطوفاً دانية منها فواحة بعبق النبوة الكريمة، وتشرق منها دفقات من سنا الحق والهدى، تلك هي سنة رسول الله ﷺ وكلامه الشريف ومن ذلك :

الدليل الأول

قوله ﷺ فيما رواه عنه عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أنه سمع رسولَ الله ﷺ يقول :

[إذا سمعتم المؤذنَ فقولوا مثل ما يقول ثم صلّوا عليَّ، فإنه من صلّى عليَّ صلاةً صلى اللهُ عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة

لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكونَ أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلّت له الشفاعة] . رواه مسلم وأبو داود والترمذيُّ والنسائيُّ .

هذا الحديث الكريم يبيّن لك ما هو فضل من يجيب المؤذن مثلما يقول، ثم يصلي عليه ثم يسأل له من الله الوسيلة وهي المنزلة الرفيعة في الجنة التي لا تنبغي إلا لرجل أو عبد من عباد الله ويأمل رسول الله أن يكون هو ذلك العبد . إن فضل ومكافأة من يجيب المؤذن ثم يصلّي عليه، عليه الصلاة والسلام ... أن يصلي الله عليه بها عشراً أي عشر مرات في الملإ الأعلى. وإن مكافأة من يسأل له الله الوسيلة، هي أن تحل له شفاعته ﷺ يوم القيامة .

هذا ملخّصٌ لمعنى هذا الحديث الشريف إنما الشاهد من إيراده هو قوله ﷺ [... ثم سلوا الله لي الوسيلة ...] أي : إن رسول الله ﷺ يطلب من جميع أفراد أمته أن يسألوا له اللهَ الوسيلة التي هي المنزلةُ الرفيعة في الجنّة وهذا دليل على صحّة ما قلناه قبل صفحات : انه يجوز توسل الأعلى بدعاء الأدنى، وهذا منه. فإن رسول الله ﷺ، وهو أشرف مخلوق وأكرمهم على الله وهو أعلى أنواع المخلوقات رتبةً ومنزلة عند ربّه، يطلب ممَّن دونه منزلة ...! أن يدعوا الله له يعطيه تلك المنزلة الرفيعة السامية، ومن فَعَلَ ذلك وعدَه رسول الله ﷺ أن يشفع له يوم القيامة .

فهذا رسول الله وأفضل خلقه وأشرفهم وأعلاهم منزلة يتوسّل إلى الله تعالى بدعاء أمته له أن يعطيه الوسيلة والمقام المحمود في الجنة وكافأ من يعينه على ذلك بالدعاء ... أن تحلَّ له شفاعته فيفوز بالجنة معه عليه أفضل الصلاة والسلام .

فهل من دليل دلَّ على مشروعية التوسل إلى الله بدعاء المؤمن لأخيه المؤمن من قول الله ورسوله ؟ ومن سؤاله بذاته عليه الصلاة والسلام من أفراد أمته أن يسألوا الله له أن يعطيه تلك المنزلة السامية والمقام العظيم .

إنك معي يا أخي القارىء الكريم اذا قلتُ : إن قليلاً ما هم الذين يتوسّلون إلى الله بتلك التوسلات المشروعة ! وإنك لترى غالبية الامة بما فيها الخاصة ...

إلاّ من رحم ربك ... يتوسّلون إلى الله بالتوسلات الممنوعة التي ما أمرَنا بها الله تعالى ، ولا رسوله ﷺ . فلماذا يفضّلون بل يلتزمون التوسلات الممنوعة ، ويعزفون عن تلك التوسلات المشروعة...؟!! نعم لماذا لا يتوسّلون بها ... وهم يعلمون أنها واسطة إستجابة الدعاء ، ونوال المبتغى من الرضوان والرحمة والمغفرة...؟ أقول لماذا.. وألف ألف لماذا لا تفعلون... ولا تأمرون...؟!! وأنتم الورثة والقدوة ... ورثة نور النبوّة وورثة علم المرسلين الذين لم يخلّفوا درهماً ولا ديناراً بل أورثوكم العلم، وحمّلوكم الأمانة... أمانة تبليغه إلى الأمة... ولكنكم لم تحملوها ... ولم تؤدّوها ..!! لماذا ..؟! لماذا إذاً أنتم الوارثون.؟ ولهذا الإرث محتكرون ..؟ وما أنتم للعلم مبلّغون ... ولا للأمانة مؤدّون .

وعلى كل سوف نفرد لهذه المعالجة والمناقشة – بل المحاكمة – فصلاً خاصاً إن شاء الله .. ونكتفي الآن بهذا القدر .. لنترك المجال للراوي الكريم .. يروي لنا نص الدعاء الذي يدعونا نبينا عليه الصلاة والسلام أن نسأل به الله له ، أن يعطيه المنزلة الرفيعة والمقام المحمود. وتعالوا .. يا قرّاءنا المسلمين الأعزّاء،نصغَ جميعاً إلى الائمة الاجلاّء ، وهم يروُون لنا عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول ﷺ قال :

[من قال حين يسمع النداء : أللهمّ ربّ هذه الدعوة التامّة[1] والصلاة القائمة آتِ محمداً الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته ، حلّت له شفاعتي.]رواه : البخاريُّ ، وأبو داود ، الترمذيُّ والنّسائيُّ ، وابنُ ماجه .

---

(١) يفهم من هذة الجملة : (اللهم رب هذه الدعوة التامة ...) أي الدعوة الى الصلاة وهي الأذان.أنه دعوة تامة غير ناقصة ، بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاذا كان الأذان دعوةً تامة فما معنى هذه الزيادات التي يستحسنها (البعض ....؟) على الأذان...؟ رغم التمام الذي شهد له رسول الله . فلو أنهم يعتقدون في صيغة الأذان أنها دعوة تامة ، لما استحسنوا الزيادة عليها . وهذا ... ما يدعونا إلى تذكيرهم بأن الذي سمى الأذان دعوةً تامة هو المعصوم الذي ما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحي صلى الله عليه وسلم . فهل يستغفرون الله ... ام يظلون معاندين ، ويستحسنون ؟!!!

وهذا ترغيب بشفاعة رسول الله ﷺ . فمن أحب أن يكون رسول الله ﷺ شفيعاً له يوم القيامة، فليواظب على الدعاء لرسول الله ﷺ بهذا الدعاء بعد كل أذان .

كل هذا الترغيب ، حتى ينال منك رسول الله ﷺ هذا التوسل له إلى الله ، أن ينيله الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود ، ويعطيه هذا الفضل العظيم . وإنه سينيله حتماً ويعطيه بلا شك ولا ريب ذلك المقام الرفيع العظيم المحمود ولكن لا بد من السبب المشروع لنوال ذلك وهو توسل أفراد أمته جميعاً عقب كل أذان ... ولا شك أن رسول ﷺ قد اختار الوقت الذي فيه الدعوة لا ترد ، وهو وقت إستجابة الدعاء .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

[الدعاء بين الأذان والإقامة لا يردُّ] رواه أبو داود والترمذي واللفظ له ، والنسائي وابن خزيمة وابن حبـــان في صحيحيهما . وزاد : [فادعوا] وزاد الترمذي في رواية : [قالوا : فماذا نقول يا رسول الله ؟ قال: « سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة »] .

فتأمّل يا أخي القارىء المسلم... كم لتوسل المؤمن إلى الله بدعاء أخيه المؤمن له من الفضل والاستجابة وخاصة بعد الأذان ، وعند حضور الجهاد في سبيل الله تعالى.

إذاً ... فهذا النوع من التوسل المشروع توسل عظيم مستجاب . كيف لا .. والرسول الاعظم يطلبه من أمته..وذلك دليل على أنه من الخير العميم الذي دل أمته عليه ولم يترك خيراً يعود على أمته إلاّ وأمرها به ولم يترك شراً يعود على أمته إلاّ وحذرها منه جزى الله عنا نبيّنا محمداً صلى الله عليه وسلم ما هو أهله .

الدليل الثاني

وهذا هو صلّى الله عليه وسلم يطلب من عمر رضي الله عنه أن يدعوَ له، وهذا دليل آخر على شرعية التوسل بدعاء المؤمن لاخيه المؤمن وكل ذلك ولا شك تعليم لنا حتى نقتدي به صلى الله عليه وسلم . واليك لفظ الحديث ...

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال :

[إستأذنت النبيَّ ﷺ في العُمرة . فأذِن وقال : « لا تنسنا يا أُخيَّ من دعائك » فقال كلمةً ما يسرني أن لي بها الدنيا] وفي روايةٍ : [قال : أشركنا يا أُخيَّ في دعائك »] رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

إن كل ما يتلفّظ به رسول الله ﷺ من أمور هذا الدين الكريم ، إنما هو تشريع ، ومكلف بـه هو وأمته عليه الصلاة والسلام . فقوله عليه السلام : [لا تنسنا يا أخيَّ من دعائك] حرصٌ منه صلى الله عليه وسلم على ما سيلقاه من إجابة دعاء عمر من الخير من الله تعالى، واستكثار من هـذا الخير لأن أمته ستتأسّى به في ذلك ، فيكون له أيضاً مثل أجورهم ، ولا يخفى في نص طلب الرسول ... بدعاء عمر له ، ما فيه من التأكيد عليه بذلك ، بقوله صلى الله عليه وسلم : [لا تنسنا ...] فهذا ولا شك تأكيد منه بالدعاء وتوصية بعدم النسيان ففي حرصه صلى الله عليه وسلم على الخير من وراء هذا الدعاء ، وفي ما سيؤجر به من تأسّي أمته به ، وفي هذا التأكيد منه على عمر بأن لا ينساه من الدعاء ، دليل قاطع على مشروعية طلب المؤمن من أخيه أن يدعو له ، ويتوسل بدعائه هذا إلى الله تعالى . وهذا مصداق ما ذهبنا اليه قبل صفحات ، من جواز توسل الأعلى بدعـاء الأدنى له ... ولا شك في أن توسل الأدنى بدعاء الأعلى جائز من باب أولى .

ثم تأمل يا أخي القـارىء المسلم ... مبلغَ فرحِ عمر رضي الله عنه ، بهذا التكليف الكريم ، يصدر من رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه ، بأن يدعوَ له .. ! أجل تأمل يا أخي فرح عمر وسروره العظيمين بهذا التكليف من قوله رضي الله عنه : « كلمة ما يسرني أن لي بها الدنيا » أي أن هذه الرعاية والعناية والتلطف من رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخصيصه بهذا التكليف الكريم ، وتحميله هذه الأمانة ... ما يستدل لو أنه بُدّل بها الدنيا وما فيها أي لو أعطي ما في الدنيا جميعاً بدلَ هذا التكليف ، لما قبل عمر بذلك ... بل فضل أن يحمل أمانة رسول الله ﷺ بالدعاء له ... هذه الأمانة التي شرفه بها .. وخصّه بفضلها دون سائر المعتمرين ذلك العام ...

فداك أبي وأمي يا رسول الله ، نعم النبيُّ أنت ، ونعم الرسول أنت ، ونعم المربّي والموّجه والمعلم أنت ، ونعم الهـادي إلى سواء السبيل أنت ، ونعم الأب الحاني والأخ الرفيق أنت،لا أحصي لك وصفاً يكافيء ما وهبك الله من الخلق الكريم ، أنت كما أثنى الله عليك : (وإنّك لعلى خلق عظيم) وكما أنزلك الله من عباده : (وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين) صلى الله عليك وعلى آلك الأطهار، وصحبك الأبرار وعلى من تبعك على سنتك ، واهتدى بنور محجتك إلى ما شاء الله ، وسلّم تسليما كثيراً .

الدليل الثالث

الصحابة الكرام يطلبون منه ويتوسّلون بدعائه ﷺ

حديث عكاشة

كما أن رسول الله ﷺ كان يطلب من أصحابه وأمته أن يدعوا له ، أي كان يتوسل إلى الله تعالى بدعائهم له ، كذلك كان الصحابة رضي الله عنهم يطلبون منه أن يدعو لهم ، أي يتوسلون إلى الله تعالى بدعائه لهم . وهناك أمثلة عديدة على ذلك.. ولكننا نقتطف منها ونختار ما ييسرنا الله تعالى اليه، مبتدئين بحديث عكاشة رضي الله عنه .

★

عن حصين بن عبد الرحمن[1] قال : [كنت عند سعيد بن جبير[2] فقال : أيكم رأى الكوكب الذي انقضّ البارحة ؟ فقلتُ : أنا . ثم قلتُ : أما إني لم أكن في صلاة ، ولكني لدغت . قال : فما صنعتَ ؟ قلت استرقيتُ . قال : فما حملك على ذلك ؟ قلت : حديث حدثناه الشعبي . قال : وما حدثكم ؟ قلت : حدثنا عن بريدة بن الخصيب أنه قال : « لا رقية إلا من عينٍ أو حُمَة » . قال :

---

(١) هو السلمي أبو هذيل الكوفي ثقة مات سنة ١٣٦ وله ثلاث وتسعون سنة .

(٢) هو من اجلة أصحاب ابن عباس وهو كوفي مولى لبني أسد ، قتل بين يدي الحجاج سنة ٩٥ ولم يكمل الخمسين .

قد أحسن من أنتهى إلى ما سمع . ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال : « عُرِضَتْ عليّ الأمم فرأيت النبيّ ومعه الرهط ، والنبيَّ ومعه الرجل والرجلان ، والنبيّ وليس معه أحد . إذ رفع لي سواد عظيم ، فظَنَنْتُ أنهم أمتي ، فقيل لي : هذا موسى وقومه . فنظرت فاذا سواد عظيم ، فقيل لي: هذه أمتك ، ومعهم سبعون الفاً يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب » . ثم نهض فدخل منزله . فخاض الناس في أولئك ... فقال بعضهم : فلعلّهُم الذين صَحِبوا رسول الله ﷺ . وقال بعضهم : فلعلّهم الذين وُلدوا في الإسلام ، فلم يشركوا بالله شيئاً . وذكروا أشياء ... فخرج عليهم رسول الله ﷺ ، فأخبروه فقال : « هم الذين لا يسترقون ، ولا يكتوون ، ولا يتطيّرون ، وعلى ربهم يتوكلون » . فقام عكاشة بن محصن فقال : أدعُ الله أن يجعلني منهم . قال : « أنت منهم » ثم قام رجل آخر فقال : أدعُ الله أن يجعلني منهم . فقال : « سبقكَ بها عكاشة »] .

وقد رواه البخاريّ مختصراً ومطوّلاً ، ومسلمُ واللفظ له ، والترمذيُّ والنّسائيُّ .

إن هذا الحديث مؤلف من حديثين اثنين ... الأول : عن حصين بن عبد الرحمن قال : كنت عند سعيد بن جبير فقال : [أيكم رأى الكوكبَ البارحة – إلى قوله – : قد أحسن من انتهى إلى ما سمع] . والحديث الثاني : قوله أي سعيد بن جبير : ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي ﷺ انه قال : [عرضت على الأمم ... إلى قوله صلى الله عليه وسلم ... « سبقك بها عكاشة »] .

وفي كلا الحديثين من المسائل والفوائد في الدين من عقيدة التوحيد ما ينفع المسلمين نفعاً عظيما . وقد لا يكون هذا الكتاب موضع تفصيلها ، على عظم ما تضمنت من الفوائد الجليلة ، فلتراجع كتب التوحيد السلفية التي شرحت هذا شرحاً مفيداً مفصلا[1] إنما شاهدنا مما جاء في الحديث الثاني ... هو قول عكاشة :

(١) راجع كتاب التوحيد لشيخ الاسلام المجدد محمد بن عبد الوهاب طيب الله ثراه . وراجع شرحيه « قرة عيون الموحدين » و« فتح المجيد » لحفيده الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله .

[أدعُ الله أن يجعلني منهم . قال : « أنت منهم » ثم قام رجل آخر فقال : أدع الله أن يجعلني منهم . قال : « سبقك بها عكاشة »] .

نعم ... إن شاهدنا قول عكاشة : أدعُ الله أن يجعلني منهم، قال : « أنت منهم » وللبخاريّ في رواية: فقال : « اللهم اجعله منهم » ففيه طلب الدعاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أي توسل عكاشة بدعاء رسول الله ، أن يجعله الله من السبعين الفاً الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب . فدعا له الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : « اللهم أجعله منهم » وكذلك قيام الرجل الآخر الذي قال : أدع الله أن يجعلني منهم فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم «سبقك بها عكاشة» سداً للباب حتّى لا يتلاحق الناس بسؤال ذلك منه ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى كما قال القرطبي : لم يكن عند الثاني من الأحوال ما كان عند عكاشة ، فلذلك لم يجبه وقال: « سبقك بها عكاشة » وكأن الدعوة لواحد فلمّا سبق اليها عكاشة كانت له ، وهذا حسن جواب ، وحسن خلق منه صلى الله عليه وسلم فان عكاشة هذا كان من السابقين إلى الاسلام هاجر وشهد بدراً ، وقاتل فيها ، واستشهد في قتال أهل الردة ، بقيادة خالد ابن الوليد بيد طليحة الأسدي سنة اثنتي عشرة . ثم أسلم طليحة الأسدي بعد ذلك ، وجاهد الفُرْسَ يوم القادسية مع سعد بن أبي وقاص ، واستشهد في وقعة الجسر المشهورة .

فقوله صلى الله عليه وسلم «أنت منهم» أو «اللهم اجعله منهم» فضيلة لعكاشة . هذه الفضيلة التي كانت سبباً في أن يكون منهم أو بدعاء رسول الله له كان منهم فعلى كلا الحالين فُهِمَ من طلب عكاشة الدعاء ... جوازُ التوسل بدعاء المؤمن إلى أخيه المؤمن وشرعية ذلك . وهذا شيء معروف شرعيته عند الصحابة . فكثيراً ما توسل الصحابة بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عليه الصلاة والسلام يدعو لهم ملبياً توسلهم بدعائه ، وكان القصد من توسل الصحابة بدعائه توقّع الاستجابة لدعائه صلى الله عليه وسلم . فهو ولا شك مستجاب الدعوة ... فقد سأله الأعمى أن يدعوَ له ليردَّ الله عليه بصره ففعل وردَّ بصرُه ، وسألته المرأةُ التي كانت تُصرَعُ أن يدعوَ لها بأن لا تتكشَّفَ حين تُصرع ، فدعا لها

أيضاً وسأله بعض الصحابة السقيا فاستسقى لهم أي دعا لهم أن يُسقَوْا فسُقوا . والأمثلة كثيرة على هذا النوع من التوسل المشروع نكتفي منها بما سنورده إن شاء الله وبه المستعان .

الدليل الرابع

حديث توسل الأعمى بدعائه ﷺ

عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه :

[أن رجلاً ضريراً أتى النبيَّ ﷺ فقال : أدع الله أن يعافيني فقال : « إن شئتَ دعوتُ ، وإن شئتَ صبرتَ وهو خيرٌ » . قال : فادُعه . فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء :

« اللهم إني أسألك وأتوجه اليك بنبيّك محمّدٍ نبيِّ الرحمة ،يا محمّد إنّي أتوجّه بك إلى ربّي في حاجتي لتقضَى . اللهم شفّعْه فيّ » .

فعاد وقد أبصر] . وفي رواية قال ابن حنيف : [فوالله ما تفرّقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا كأن لم يكن به ضرٌ] رواه النسائيُّ والبيهقيُّ والطبرانيُّ وقد روى الترمذيُّ ، والحاكم في مستدركه زيادة جملةٍ في آخر الحديث وهي [وشفّعْني فيهِ] .

لا شك أنّ هذا الحديث صحيح ومشهور ... وقد ثبت فيه بلا شك ولا ريب ارتداد بصر الأعمى بدعاء رسول الله ﷺ له .

إن هذا الأعمى جاء النبي ﷺ ، وطلب منه أن يدعوَ الله ليعافيه من ضُرّه . فخيّره رسول صلى الله عليه وسلم بين الدعاء له بالشفاء ، وبين أن يصبر على ضرّه ، وذلك خير له عند الله تعالى. ولكن الأعمى أصرّ على التوسل إلى الله تعالى بدعاء رسول الله له فقال : فادُعه . فلما رأى النبيُّ إصرارَ الأعمى على طلب الدعاء منه ، عندها أمرَه عليه صلوات الله وسلامه... أن يتوضأ فيحسن وضوءَه ، ثم يدعو : « اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمدٍ نبيّ الرحمة ». ولنقف قليلاً عند قوله : ... وأتوجه إليك بنبيّك لنرى من خلاله قوله ..

ماذا يريد ويبغى منه، أيقصد ذات النبي صلى الله عليه وسلم، أم يريد منه الدعاء إلى الله تعالى أن يعافيه.؟

لا شك أن الأعمى قَدِمَ إلى النبي ﷺ من داره، من أجل شيء يحرص عليه كل حرص، وهو اعادة بصره إليه، وإنه أي الأعمى ليعلم علم اليقين، ان الرسول صلى الله عليه وسلم، اذا دعا له الله تعالى أن يعافيه من الضر... تقبَّل الله دعاءه، وأذن سبحانه بمعافاته في بصره. هذا هو الدافع الوحيد الذي دفع بالأعمى للقدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم. كما أن دليلاً آخر يؤيّد ذلك، هو أنه لما وصل اليه صلى الله عليه وسلم، بادره حالاً قائلا، أدع الله أن يعافيني. اذاً فقد تعيّن من كلام الأعمى مراده من قدومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنه ليريد دعاءَ رسول الله له... ليعافيه الله من الضر.

ثم فلننظرْ إلى أثرِ هذا الطلب – أي طلب الأعمى – في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث حِلّه أو حُرمتِه، أو إمكانه أو عدمه... فمن أجل التثبت من ذلك، فلنستمِدْ ما أجابه به رسول الله صلى الله عليه وسلم.. أجابه بقوله: «إن شئتَ دعوتُ، وإن شئت صبرتَ وهو خيرٌ» أي خيّره بين أمرين اثنين... وتركه في ذلك الى مشيئته فإن شاء دعا له، وان شاء صبر على الضرّ وهذا خير له.

إذاً فهم من جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم له أن توسله بطلب الدعاء إلى الله أن يعافيه طلبٌ صحيح، ولا غبار عليه، وانه أيضاً في مكنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تحقيقه له، أي بدعائه الله له أن يُعافيَهَ... انما نبّهه إلى شيء خير من ذلك... وهو صبره على ما قدّر الله عليه... لأن الله أعدّ للصابرين على قدَره في الآخرة أجراً يفوق عودة بصره في الدنيا، لكن الأعمى فضّل المعافاة وعودة بصره في الدنيا – ما دام ذلك لا يطعن في دينه بشيء – على ما سيكون له في الآخرة إن صبر.. وقال: «فادعه..» أي أدعُ الله أن يعافيني.

تُرى... ما كان موقفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، من طلب الأعمى..؟ وبخاصةٍ بعد أن خيّره بين الدعاء له، أو الصبر على العمى...؟ لا سيما وبعد أن

اختار الأعمى الدعاء على الصبر .. لا شك أن المجزوم به قطعاً ... أن رسول الله ﷺ إذا وعد وفى ... وقد وعد الأعمى بالدعاء ... إنما أراد أن يكون للأعمى عمل أيضاً ... وإن أنفع عمل له في هذا الموطن ، هو دعاؤه الله تعالى بمعافاته من ضرّه ... بالإضافة إلى دعاء رسول الله ﷺ له . على أن الرسول عليه الصلاة والسلام ، لم يترك الأعمى يدعو بما يشاء دون أن يعلمه دعاءً معيّناً يدعو به ... فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ... وهذا عمل صالح ثم يدعو بهذا الدعاء :

« اللهم إني أسألك وأتوجه اليك ، بنبيّك محمّدٍ نبيّ الرحمة ، يا محمّد إني أتوجّه بك إلى ربي في حاجتي لِتُقضَى . اللهم شفّعْهُ فيّ » — وفي رواية الترمذيّ — « وشفعني فيه » .

هذا هو الدعاء الذي علّمه رسول الله ﷺ للأعمى . فذهب وتوضأ وأحسن وضوءه ، ثم دعا بهذا الدعاء ... كما علمه إياه رسول الله صلوات الله وسلامه عليه .

وبينما كان الأعمى يتوضأ ، ويحسن وضوءه ... دعا له رسول الله ﷺ وشفع له عند الله تعالى : أن يعيدَ له بصره . كما وعده .

ولعلّ سائلاً يسأل : من أين علمتَ أن رسول الله قد دعا له ...؟ بينما الحديث خلوٌ من هذا العلم ... ولم يقل دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم .. الجواب .

نعم أن الحديث لم يخبرنا نصاً بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعا له ... ولكن هذا مفهوم ولا شك ، من الحديث نفسه .

١ً — إن الرسول صلى الله عليه وسلم قد وعده بالدعاء ووعدهُ حقٌ وصدق .

٢ً — قول الأعمى في آخر الدعاء : اللهم شفّعه فيّ . أي يدعو الله تعالى أن يقبل شفاعة رسول الله فيه فلولا أن يكون قد شفع فيه لما دعا الأعمى أن يتقبل شفاعته صلى الله عليه وسلم فلا بد إذن من أن رسول الله دعا له وشفع له عند الله تعالى أن يردّ عليه بصره ، وإلاّ فأي شفاعة يدعو الأعمى أن يتقبلها الله .. وممّن يتقبلها ...؟

٣ً — وفي رواية الترمذي : « وشفّعني فيه » أي وأقبل شفاعتي بقبولك

شفاعة رسول الله فيّ » أي كمن يقول آمين عندما ينتهي الإمام من قراءة فاتحة الكتاب في الصلاة . أي استجب دعاء الإمام فينا بقوله : (إهدنا الصراط المستقيم) .

وكذلك الأعمى يقول : شفعني في قبول شفاعة رسول الله فيّ ... فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يدعُ له ، فكيف يقول : شفعني في قبول شفاعة رسول الله فيّ لأن الهاء من قوله « وشفعني فيه » ضمير متصل تقديره هو عائد على الرسول صلى الله عليه وسلم .

كل هذا ... يدل دلالة قاطعة جازمة، على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعا للأعمى وشفع فيه عند الله ، أن يردّ اليه بصره . ولا شك أن دعاء رسول الله مستجاب ، وقد استجاب الله له في الأعمى ... فردّ اليه بصره وهو على كل شيء قدير .

وهذا عثمان بن حنيف رضي الله عنه يحدثنا : « فوالله ما تفرّقنا وطال بنا الحديث ، حتى دخل علينا ، كأن لم يكن به ضر » .

هذه قصة توسل الأعمى بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى الله ، ليعافيَه ... ويردّ اليه بصرَهُ ..وإنها – كما رأيتَ – قصةٌ صحيحةٌ ،وفيها الدليل الواضح، على مشروعية التوسل إلى الله تعالى بدعاء المؤمن لأخيه المؤمن..إن كان الأعلى للأدنى ، أو الأدنى للأعلى. وهكذا فقد ثبت بهذا الحديث ... ما أردنا إثباته من مشروعية توسل المؤمن إلى الله تعالى ، بدعاء أخيه المؤمن له ، وفهم أن معنى نبيّك ، أي بدعاء نبيّك .

أما الردُّ على من يتخذ هذا الحديث ، حجةً في إثبات مشروعية التوسل الممنوع ..!! أي التوسل إلى الله بذوات المخلوقين(١) فسيكون ردُّنا على ذلك بعد قليل – إن شاء الله – رداً يستند إلى قواعد علم الحديث ، والمناقشة العلمية، بالحجة الشرعية ،والبرهان المؤيد بشاهدين عدلين وأعظم بهما من شاهدين عدلين: كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . هذا ما نرجو أن يوفقنا الله اليه

---

(١) راجع الصفحة ٢٣٦–٢٤٠ من هذا الكتاب تر الرد الموعود به ان شاء الله .

من نصرة الحق على الباطل والعلم على الجهل (ولينصرنَّ اللهُ من ينصرُه إن الله لقويٌ عزيز).

الدليل الخامس

استسقاء الصحابة بدعاء النبي ﷺ

في حال حياته

فمن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

١ - [خرج النبيُّ صلى الله عليه وسلم متواضعاً متبذلاً متخشعاً مترسلاً متضرعاً . فصلى ركعتين كما يصلي في العيد ، لم يخطب خطبتكم هذه] . رواه الخمسة وأبو عوانة وابن حبان وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت :

٢ - [شكا الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قحوط المطر ، فأمر بمنبر فوضع له بالمصلّى ووعد الناس يوماً يخرجون فيه . فخرج حين بدا حاجب الشمس فقعد على المنبر ، فكبَّر وحمد الله ، ثم قال : « إنكم شكوتم جدب دياركم ، وقد أمركم الله أن تدعوه ووعدكم أن يستجيب لكم . ثم قال : الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، لا إلّه إلا الله يفعل ما يريد .

اللهم لا إلّه إلاّ أنت ، أنت الغنيّ ونحن الفقراء ، أنزل علينا الغيث ، واجعل ما أنزلت علينا قوةً وبلاغاً إلى حين » . ثم رفع يديه فلم يزل يدعو حتى رُئيَ بياض إبطيه ، ثم حوّل إلى الناس ظهره ، وقلب رداءه ، وهو رافع يديه ، ثم أقبل على الناس ، ونزل فصلّى ركعتين . فأنشأ الله تعالى سحابةً فرعدتْ وبرقتْ ثم أمطرتْ بإذن الله تعالى فلم يأتِ مسجدَه ، حتى سالت السيول . فلما رأى سرعتهم إلى الكنّ ، ضحك حتى بدت نواجذه فقال : أشهد أن الله على كل شيء قدير وأني عبد الله ورسوله . »] رواه الحاكم وصححه ، وأبو داود وقال: هذا حديث غريب وإسناده جيد .

وعن عبد الله بن زيد قال :

٣ - رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين استسقى لنا ، أطال الدعاء

وأكثر المسألة ، قال : ثم تحوّل إلى القبلة ، وحوّل رداءه ، فقلبه ظهراً لبطن وتحول الناس معه] أخرجه أحمد بسند قويّ .

وعن أنس رضي الله عنه :

٤ - [أن رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب فقال : يا رسول الله : هلكتِ الأموال وانقطعتِ السبل[١] فادعُ الله يغيثنا . فرفع رسول الله يديه ، ثم قال : « اللهم أغثنا . اللهم أغثنا . اللهم أغثنا » . قال أنس : ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة[٢] وما بيننا وبين « سلع »[٣] من بيت ولا دار فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس ، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت فلا والله ما رأينا الشمس سبتاً[٤] ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ، ورسول الله ﷺ قائم يخطب ، فاستقبله قائماً فقال: يا رسول الله هلكتِ الأموال ، وانقطعتِ السبُل ، فادعُ الله يُمسِكها عنا . فرفع رسول الله ﷺ يديه ، ثم قال : « اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام والظراب[٥] وبطون الأودية ومنابت الشجر » فأقلعت[٦] وخرجنا نمشي في الشمس »] رواه البخاريّ ومسلم .

سجلتُ لك يا أخي أحاديث أربعةً صحيحة تثبت لك أن الصحابة طلبوا من الرسول ﷺ أن يستسقي لهم ، فماذا فعل ...؟ لقد علمتَ من نصّ هذه الأحاديث أنه رفع يديه وسأل الله تعالى الغيث ، فاستجاب الله سُؤْله في كل طلب من مطالب الناس منه بالاستسقاء لهم ... فَسُقوا بإذن الله تعالى . هذه عملية الاستسقاء كما وردت في الأحاديث المتقدمة .. ومعنى ذلك أنهم توسلوا إلى الله تعالى ، بدعائه ﷺ ... فدعا لهم ، فسقاهم الله ... فهل فعل الرسول ﷺ أكثر من ذلك ... وهل طلب اليهم أن يتوسلوا بذاته إلى الله ، أو بذوات الأنبياء والمرسلين قبله؟! لا .. ما يكون له أن يقول لهم ذلك . على أن التوسل

(١) أي من عدم وجود ما يحملونه الى السوق . (٢) السحاب المتفرق . (٣) اسم جبل في المدينة . (٤) أي أسبوعاً . (٥) الآكام : مرتفعات الارض والظراب ، الجبال الصغيرة (٦) امسكت .

في ذلك الزمن ... كان له معناه الحقيقي . فكان بدهياً عند الجميع ، أن معناه طلب الدعاء ... فإذا قالوا : توسلنا بفلان مثلاً ، أي طلبنا منه الدعاء . ولم يكن التوسل بالذوات من مفاهيم المسلمين إذ ذاك ، بل هو من البدع المحدثة . على هذا الأساس من الفهم الصحيح ، كان معنى التوسل عندهم ، والاستسقاء الذي حصل كان توسلاً بدعـــاء رسول الله وكان مبنياً على أساس هذا الفهم . والأحاديث المتقدمة تشهد لهذا الفهم أيضاً . . بأنه هو المتبادر إلى الأذهان بل هو المقصود ، وليس من معنى آخر محتمل . يخالف هذا المفهوم المقرّر .

إذا فُهم هذا ... عُـلم أنّ توسّل المؤمن بدعاء أخيه المؤمن له ، هو توسل مشروع متقبّل ، وهو المطلوب أن يتخذه المؤمنون في جملة الوسائل المشروعـة لقبول الدعاء . أما المفاهيم المخالفة التي تأبى أن تقرّ بهذه النتيجة ، وتُصرّ على أن التوسل ليس له هذا المفهوم فحسب ... إنمـــا يعني أيضاً ، التوسلَ بذات المتوّسل به ، لقربه من الله لأنه عند الله مقدّم ، وعظيمُ المكانة ... فمن أجـل هذا ، يستجيب الله الدعاء !!! لا دعاء المتوّسل به ، بل دعاء المتوّسل بجاه أو بذات هذا المقرّب إلى الله ، لمجرد قربه ومكانته ، كما هي حال الوزير عند الملك مثلاً !!! تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . وشأن الله أجـل من ذلك . وهـذه المفاهيم مفاهيم جاهلية ...

هذه المفاهيم الجاهلية ... ليست جديدة ، إنما هي مفاهيم أبي جهل وأبي لهب وأمية بن خلف بل هي أيضاً مفاهيم المشركين منذ أن كان الشرك على الأرض ، إنما سوّلها الشيطان وزيّنها لحزبه في كل زمان ... ليحول دون هداية رسالات السماء ...

الدليل السادس

حديث الاستسقاء بدعاء العباس رضي الله عنه

بعد وفاة رسول الله ﷺ

ثبت لك يا أخي أن الصحابة كانوا يتوسلون إلى الله بالاستسقاء بدعاء رسول الله ﷺ لهم وذلك من الأحاديث الواردة في البحث الماضي ... نعم ... كانوا يفعلون ذلك في حال حياته ﷺ، ولما قبض الله نبيه اليه ، وألحق بالرفيق الأعلى فإذا أجدب الصحابة وقحطوا استسقوا وتوسلوا بغيره من الأحياء الذين تكون فيهم مظنة التقى والورع والصلاح وبخاصة إذا كانت له وشائج قربى تربطه بالنبي صلى الله عليه وسلم .

ولعلك تسأل يا أخي المسلم ولم يعدلون عن النبي ﷺ إلى غيره من الناس..؟ إذ مهما كان فيه ورع وتقى وصلاح لم يكن هذا شيئاً مذكوراً بجانب رسول الله ﷺ ... واليك الجواب :

إن الصحابة كانوا يتوسلون بدعاء رسول الله حال حياته ، ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يعد يستطيع الدعاء بسبب وفاته ... وإذا مات ابن آدم انقطع عمله والدعاء عمل ولا شك ، فانقطع بالموت .

ولهذا استسقى عمر بن الخطاب رضي الله عنه إبّان خلافته ، بالعباس رضي الله عنه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فعن أنس رضي الله عنه قال :

[إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا ، استسقى بالعباس بن عبد المطلب وقال : « اللهم كنا نتوسل اليك بنبينا صلى الله عليه وسلم ، فتسقينا وإنا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا» . قال فيسقون] رواه البخاري في صحيحه.

إذاً ثبت لديك ثبوتاً قطعياً أن عمر بن الخطاب ، وهـو أمير المؤمنين رضي الله عنه ، استسقى بالعباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ من الحديث الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه ، ولم يعترض أحد من الصحابة على عمل عمر بن الخطاب ، إذ ليس من المعقول أن يعترض أحد ، لعـلم الناس جميعاً أن عملية

الاستسقاء عملية توسل بدعاء المستسقي فلما توفي رسول الله ﷺ الذي استسقوا بدعائه حالة حياته ، ولم يعد بالإمكان أن يدعو ... كان بدهياً وجوب التفتيش عن غيره ليستسقي لهم... فاختار أمير المؤمنين عمرُ بن الخطاب العباسَ بن عبد المطلب ... ثم علل اختياره له بقوله : « اللهم كنـا نتوسل اليك بنبينا ﷺ ، فتسقينا . وإنا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا » .

أجل ... إنه علّـلَ اختياره : أولاً : لأن الرسول ﷺ قد قضى ، ولم يعد يدعو . ثانياً : لأن العباس عم النبي ﷺ ، أما الفضل والسابقة والورع فيوجد في المسلمين من هو أفضل من العباس ، إنمـا قرابته من رسول الله كانت السبب باختياره للدعاء ولم يُعلم أحدٌ من الصحابة خالف عمر أو اعترض عليـه فكان ذلك إجماعاً . والإجماع أحد أصول الشريعة الأربعة، الذي تقوم به الحجة. إذاً فاختيار عمر للعباس للاستسقاء بدعائه كان عملاً صحيحاً ومشروعاً ، وهـو من نوع توسل المؤمن بدعاء أخيه المؤمن .

فبعد أن كلف عمرُ العباسَ بالاستسقاء قال : « أدعُ يا عباس ... » وهنـا نترك المجال ... ونتخلّى عن موقف الكلام في الاسترسال بهذا البحث ، للحافظ ابن حجر العسقلاني «أمير المؤمنين» في الحديث ليروي لنا في كتابه: «فتح الباري شرح صحيح البخاري » صيغة الدعاء الذي دعا به العباس رضي الله عنه .

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه « فتح الباري » : « وقـد بـيّن الزبير بن بكار في [الأنساب] صفة ما دعا به العباس لما استسقى به عمر. قال :

[اللهم إنه لم ينزل بلاءٌ إلاّ بذنب ، ولم يكشف إلاّ بتوبة ، وقـد توجه القوم بي اليك لمكاني من نبيك ... وهذه أيدينا اليك بالذنوب ، ونواصينا اليك بالتوبة فاسقنا الغيث] فأرخت كالجبال » .

هذا هو دعـــاء العباس ... وإنك يا أخي لترى أن العباس توسل إلى الله بالاعتراف باقتراف الذنوب ، ثم بالتوبة منها . وهذا من أجلّ الأعمال الصالحة . وكان العباس رضي الله عنه يدعو ... والمسلمون يؤمنون ... فلم يضعوا أيديهم حتى أرخت السماء مطراً كالجبال بإذن الله .

هذا هو هدي السلف الصالح في الاستسقاء ... وهكذا كان المسلمون كلما قحطوا أو أجدبوا يظهرون إلى خارج مدينتهم ، ويستسقون بدعاء صالحيهم فقد استسقى المسلمون في عهد معاوية رضي الله عنه بيزيد بن الأسود . وهكذا إلى زمننا هذا يستسقون بصالحيهم أي بدعائهم كما فعل رسول الله ﷺ ، وكما فعل العباس بن عبد المطلب ويزيد بن الأسود وسواهم إلى يومنا هذا ...

على أن (البعض . !!؟) قد بدّل هدي السلف الصالح في الاستسقاء المنوه عنه إلى قراءة كتاب صحيح البخاري بتمامه ... فتوزع أجزاؤه على الحاضرين فيقرأ كل شخص جزء وهكذا ... زاعمين أن بقراءة حديث صحيح البخاري يكون الاستسقاء ، ويمطرون متجاهلين سنة الرسول الاعظم ، والسلف الصالح في ذلك وهي كما تقدم خروج المسلمين إلى المصلّى خارج البلد حين تعلو الشمس متواضعين متبذلين متخشمين مترسلين متضرعين فيصلون ركعتين بإمامهم ثم يدعو أحد صالحيهم على النحو المتقدم الذكر ... وعندما يعودون يقلبون أرديتهم ظهراً لبطن ، إشارة للتبذل والخضوع لله تعالى .

على أن هذا الحديث نفسه يحتج به (البعض ..؟.) أي حديث استسقاء العباس على جواز التوسل بذوات المخلوقين كأنهم فهموا أن المسلمين توسلوا إلى الله بشخص العباس لا بدعائه ، وسنفرد الرد على ذلك صفحات قادمة إن شاء الله [1] ... فتظهر الحقيقة واضحة ، ويتضح ان الدعاوى المجردة لا تنفع .

أما الحقائق العلمية القاطعة ، التي يتألق منها الحق بهيّاً سنيا ، أبلج ساطعاً ، وتتفتّح على نوره العيون التي أغمضها الباطل ردحاً من الزمن ، وتستنير به القلوب التي كانت ترتقب دفق دم الحياة ، لتخفق به أبداً . وتتخذ من الأيدي الأمينة ، التي قصّر بها ضعف الأنصار وقلة المحبين ، وندرة السالكين ، أنصاراً وأحباباً . نعم ... هذه الحقائق العلمية ، سينفذ نورها إلى كل قلب إن شاء الله فيولّي الباطل مهزوماً مرذولاً ... ويحل الحق في هذه القلوب يملأها هدى

---

(١) راجع الصفحة ٢٦١-٢٦٦ ترى الرد الموعود .

وخيراً ونعمى .

نحن نرجو من إخواننا المسلمين عامة أن ينظروا إلى ما نقدّمه من حجج شرعية بعين التأمّل على الأقل ... ثم يدعوا الله تعالى أن يوفقهم إلى رؤية الحق، أنه هو الحق بعينه ويحبّبهم فيه، وإلى أن يروا الباطل، أنه هو الباطل بذاته، ويكرّههم فيه ... وما أحد التجأ إلى الله بالدعـاء المخلص إلاّ أجاب سؤله ، لا إله غيره ولا ربّ سواه.

عندها نلتقي جميعاً على الحق الذي ما بعده إلا الضلال ... ونعقد الأيدي على نصرته ... والحق ليس في قضية معينة فحسب ... بل في جميع القضايا ، وسائر الأمور التي جاء بها هذا الدين الكريم .

فإذا توافقت القلوب ، وتحابّت الأفئدة ، وتجاوبت النفوس ، عـــلى نصرة الحق أينما كان ، وتضافرت الجهود عـــلى الاستماتة في هذه النصرة ، فإن الظفر كائن لا محالة .. والمجد عائد ولا بد ... والسيادة الإسلام يهتف بها في كل بلد، وإنقاذ أمم الأرض يتحقق على أيدي هؤلاء الأبناء والأحفاد ، كما تحققت في الزمن الأول على أيدي الآباء والأجداد ... ويملأ دين الإسلام الدنيا عدلاً بعد أن ملئت جوراً وترف راية لا إله إلى الله محمد رسول الله على كل جبل وسهل ، وكل بر وبحر وجو إلى أن يقضي الله أمره . ويهتف الجميع بانشودة الحق : لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعزّ جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، لا شيء قبله ولا شيء بعده .

الدليل السابع

عن أبي الزبير عن صفوان بن عبد الله بن صفوان ، قال :

[قدمت الشام ، فأتيت أبا الدرداء في منزله ، فلم أجـــده . ووجدت أم الدرداء فقالت : أتريد الحج العامَ ... فقلت : نعم . فقالت: أدعُ لنا بخير... فإن رسول الله ﷺ ، كان يقول : « دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة . عند رأسه ملك موكل ، كلما دعـا لأخيه بخير ... قال الملك الموكل : آمين ، ولك بمثل » قال : فخرجت إلى السوق ... فلقيت أبا الدرداء . فقال لي مثل ذلك . يرويه عن النبي ﷺ] . أخرجه مسلم .

هذا الحديث يحثنا على أن نتوسل إلى الله تعالى لإخواننا بالدعاء ، ويرغّبنـا في الثواب الذي أعدّه الله لمن يدعو لأخيه بظهر الغيب . فهذه أم الدرداء رضي الله عنها تقول لصفوان : أدعُ لنا بخير ... وتعني أن يدعوَ لهم بخير في الحج عند المشاعر ... وهذا ولا شك دعاء بظهر الغيب . فالداعي في مكة والمشاعر . . والمدعو لهم في الشام ... ثم ترغّبـه بأن لا ينسَى ... ولا يفوّتَ الثوابَ عليهم ولا على نفسه بقولهـا : فإن رسول الله ﷺ كان يقول : « دعوة المسلم لأخيه المسلم بظهر الغيب مستجابة . عند رأسه ملك موكل ، كلّما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل : آمين ، ولك بمثل » .

فهذه أم الدرداء توسلت إلى الله تعالى بدعاء صفوان في الحج... كيا تستجاب الدعوة ، فتُصيب خيراً عظيماً واستجابة ً متحققة . وصفوان توسل إلى الله تعالى بدعائه لأم الدرداء بالخير حتى يدعو له الملك: « آمين ، ولك بمثل ». فأم الدرداء توسلت بدعاء صفوان لها...وصفوان توسل إلى الله بدعاء الملك له وكلا التوسلين

توسل بدعاء المؤمن لأخيه .

أليس في هذا الحديث حضٌّ من رسول الله ﷺ على توسل المؤمن بدعاء أخيه المؤمن . .؟ ألا يدل حضّ رسول الله وحثـه على هذا التوسل ... على مشروعيته ..؟ لا شك ولا ريب أنه يدل على ذلك .،. فهيا يا أخي ... فإن دعاءك لأخيك بظهر الغيب توسل منك إلى الله سبحانه وتعالى ، كي يستجيب دعاءك فيه . فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحضّنا على هذا الخير ... من خلال حياته مع أصحابـه ، فما ذاك إلاّ من أجل أنه عمل مشروع ... ومن أجل التأسّي بهم . والعمل بمثل ما كانوا يعملون . وهذه أم سليم رضي الله عنها تتوسل إلى الله تعالى بدعاء رسول الله صلى الله عليـه وسلم لأنس ، وتقول : (يا رسول الله خادمـك أنس أدعُ الله له) . وهـذه المرأة التي كانت تصرع وتتكشّف حين صرعها .. تقول : يا رسول الله : أدعُ الله لي فأمَرَها بالصبر.. وآخر الأمر سألته الدعاء لها بأن لا تتكشّف عندما تصرع ... أي انها تتوسل إلى الله تعالى بدعاء رسول الله لهـا ألا تتكشف حينما يقدر الله صرعها ، فدعـا لها ... فلم تتكشّف بعد ذلك .

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يرشد أصحابه رضي الله عنهم أن يطلبوا الدعاء من « أويس القرني » إذا مـا أدركوه ... أي أن يتوسلوا إلى الله تعالى بدعاء أويس لهم لأنه رجل – كما أخبرهم رسول الله – مستجاب الدعوة .

إن الأدلة والأمثلة على ذلك ... كثيرة ، لا تحصى ولا تستقصى ، إنما قدمت لك يا أخي القارىء المسلم – كما ذكرتُ لك آنفاً – قدّمت لك باقة فواحـة ، جنيتها من حديقة عبقـــة بالشذى النبويّ العطر ، مكتظةٍ بأفانين لا تعد من الزهر الزكي ، الذي يضوع أريجُه على الدنيا ، فيضمّخها بعرفٍ زكي شذيّ ... تنتعش به النفوس المؤمنة ، والأفئدة المطمئنة ، وترتاح له العقول السليمة ، والأفهام الصحيحة ، فتمتلىء جميعاً هدىً يقودها إلى الطريق القويم ، ويسلك بها الصراط المستقيم ، إلى جنّة عرضها السموات والأرض أُعدّت للمتقين . اللهم اجعلنا منهم ، وجنّبنا مواطن الزلل ، و سددنا وأهدِ بنا إنّك على كلّ شيء قدير ، وبالإجابـــة

جدير ، وصلى الله على محمد وعلى آله الأطهار وصحبه الأبرار والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً .

أخي القارىء المسلم الكريم :

وهكذا ... فانني آتي على نهاية بحث التوسل المشروع بأقسامه الثلاثة :

١ ـ توسل المؤمن إلى الله بذاته العلية وأسمائه الحسنى وصفاته العلى .

٢ ـ توسل المؤمن إلى الله تعالى بعمله الصالح .

٣ ـ توسل المؤمن إلى الله تعالى بدعاء أخيه المؤمن له .

وقد جهدت ـ كما رأيت ـ وبقدر المستطاع ... أن أقرّبَ هذا البحث لإخواني المسلمين المؤمنين بالدلائل المشرقة ، والأمثلة المتلألئة بنور الوحيين الأزهرين كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بأسلوب كتابيٍّ بسيط وتعابير هينةٍ لينة ... يفهمها العالم والمتعلم والمبتدىء بطلب العلم ، حتى ويفهمها العامة إن قرأوها ..، أو قرئت عليهم ... مبتغياً في ذلك وجه الله ذي الجلال والاكرام ، ثم .. لتكون واسطة لإذاعة الحق الذي بان لي هداه .

وقد لا أكون أول من بحث هذا البحث ، فلا شك أني مسبوق اليه من أئمة الأمة الأعلام المجتهدين . إنما قد يكون في تعابيرهم الراقية الفائقة ، وأسلوبهم الكتابيّ العميق ، وإنشائهم الرائع الرفيع .. ما لا يستطيع كلُّ قارىءٍ أن يغوص في هذا البحر الزخّار باللآليء والجواهر ، فيحصل على ما يتمنّى منها من الكنوز فقد عمدتُ إلى تقريبها وتبسيطها بأسلوب متواضع ، وإنشاء ليّنٍ ، وعرض مبسط آملاً أن أكون قد قمت بهذه الخدمة على النحو المطلوب ، والنمَط المرغوب سائلاً ربي سبحانه أن يتقبله لوجهه الكريم ، متوسلاً اليه بذاته العلية وبأسمائه الحسنى وصفاته العلى ، وبكل عمل مني صالح يرضى عنه ، وبحبي لسيد رسله ، وبإيماني بجاه سيد خلقه ، وبحبي لأوليائه وأصفيائه الصالحين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم أن يجعله عملاً نافعاً ، ووسيلةً مقبولةً ، لولوج رحاب رحمته ومغفرته ورضاه . وصلى الله على محمد وآله وصحبه ومن تبعهم على هداه إلى ما شاء الله وآخر دعوانا أنْ الحمد رب العالمين.

التوسّل الممنوع

تعريفه ... أنواعه

شبهه ...

الرّد على الشبه

خاتمة

التوسّل الممنوع

لعلّ التوسّل الممنوعَ وتعريفَه وبيانَه ... هو المقصودُ من تأليف هـذا الكتاب ، بل هو المراد الأكيد من ذلك . إنما وددت أن أسبقه ببحث التوسل المشروع بأنواعه ... وآتي بالأدلّة الساطعة ، والحجج الدامغة على صحته ، وأذكر ترغيب الشارع الحكيم به ، وحضّ المؤمنين عليه وأنه سبحانه لا يقبل توسلاً ولا زلفى إلاّ بما شرع ... ولا شك أن التوسل المشروع لم يسمّ مشروعاً إلاّ لأنه تشريع من الله سبحانه .

ذلك لألفت أنظار إخواني المسلمين المؤمنين جميعاً ... إلى العمل به ، لا لذاته فحسب ... بل لأنـــه مشروع مأمور به في مواضعَ لا تحصَى ، وأمكنةٍ لا تستقصَى من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

وعندما أبيّن التوسل المشروع ، في تلألُءِ حججه ، وسطوع براهينـه ، وتلقّيه عن الله تعالى من يوم أن تلقّى آدم من ربّه كلماتٍ فتاب عليه إلى عهد محمد صلوات الله عليه وعلى الانبياء وسلامُه ... وإلى يوم القيامة ، أعتقد بأن لهذا البيان أثراً كبيراً في أعماق النفوس من إخواني المسلمين جميعاً . فأما الذين يُحِلّون التوسلَ الممنوعَ ، عندمـا يرون الحجج والبراهين ساطعة متألّقة في جانب التوسل المشروع .. يعيدون النظر في حِلّهم للتوسل الممنوع... لا سيما عندما يرَوْن «حججَ القوم.. » تنهارُ كوخاً فكوخاً، وأعشاشاً بعد أعشاش .

أمامَ قوة الحجج السنّية المصطفوية ، والادلّة الهادية المحمّديّة ، فلا تلبث أن تنهار صورُ تلك الاكواخ والأعشاش ، ويمحّى رسمها من مخيلاتهم .. وإذا هم أمام الحق الأزهر ، والهدي الأنور ، والنور الأبهر ، فيسلكون طريق الحق على سنا هذه المعالم النبويّة ... تدفع بهم إلى رضوان الله تعالى وإلى رحابه الفسيحة الباهرة ، في ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

وأما الذين يُحرّمون التوسل الممنوع ... فيزدادون إيماناً على إيمانهم ، وينشَطون للدعوة إلى الحق في تثبُّتٍ وتمكُّن... مما يطّلعون عليه من البراهين والحجج القرآنية والبيانات والادلّة السُّنيّة ... بالإضافة إلى ما هم عليه من الفطر السليمة في الأساس . فيزدادون تثبّتاً وتثبيتاً ، وتمكّناً وتمكيناً ... وقوةً ورسوخاً ... ثم يُهرَعون إلى إخوانهم الجدُد ... الذين تنوّرت قلوبهم بالحق الذي بان لهم ، واطمأنت أفئدتهم اليه ... ويسرع بعضهم إلى بعض ، كل يلتزم أخاه ، يعانقُه ويقبّلُه ، ويحمدون الله جميعاً على ما هداهم ، وفتح قلوبهم اليه ، وشرح صدورهم له .

(إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) /٩٢/ الانبياء .

هذا ... ما أؤمل أن يكون بإذن الله ... ومن أجل هذا ... كتبت هذا الكتاب ، ليعود الصف واحداً ، ويرتئب صدع جانبَين من هذه الامة الواحدة ، اللّذَيْن كانا متجافييْنِ ، وكاد أن ينهار بهما الصرحُ الذي سلّمه بانيه شامخاً باذخاً تتألّق في أعاليه ، أضواء سنته الكشافة الباهرة ﷺ .

وفي إغفاءةٍ غفاها أهلوها بعدَه... امتدت اليها الأيدي السوداء.. !؟الجانية المجرمة ، والأصابع الملوثة الخائنة ...؟ فأطفأت الأنوار ... لتحجب الأعين عما تفعل تلك الأيدي والأصابع المدوّة ، في أساس ذلك الصرح المشيد إلى أن نالت منه بعض ما تتمنّاه ... فانشقّ الصرح من فوقه تبعاً له ، وصار شقّين ... مُنذرين بأن يميدا بأهلها ... ولكن الله الذي قال في محكم كتابه : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) حفظ الله هذه الامة بحفظ قرآنها وبتيسير معرفة الصحيح من سنة نبيّها ، حفظها من مزالق الزلل ، ومواطن

الانهيـار فلا ينحرف أحد من المؤمنين إلاّ ويهتف القرآن والسُّنّة في أعماقه : إليّ إليّ . . . فمن شاء الله له الهداية بسماع صوت الحق ، عاد إلى الحضيرة ، ومن شاء له الضلال فلن تجد له ولياً مرشداً (فاما من أعطى واتقى /٥/ وصدق بالحسنى /٦/ فسنيسره لليسري /٧/ وأمـا من بخل واستغنى /٨/ وكذب بالحسنى /٩/ فسنيسره للعسرى) /١٠/ الليل .

تعريف التوسُّل الممنوع

هو تقرّب العبد إلى الله تعالى بعمل مخالف لكتابه ، مخالفٍ لسنة نبيه ﷺ.

مثالــه :

كالتوسل إلى الله بذوات مخلوقات في السموات والأرض مـن الملائكة والنبيين والصالحين من غير متابعة لهم في أعمالهم الصالحة ، ومن الأمكنة الفاضلة كالكعبة والمشعر الحرام والأزمنة الفاضلة كشهر رمضان وليلة القدر وأشهر الحج والأشهر الحرُم من غير إعطائها ما شرع الله فيها من العمل ، وما قضى فيها من الحرمة .

حكم التوسل الممنوع

حكم التوسل الممنوع حرام . وتتراوح حرمته بحسب نوعيته وأوجهه .

والحرام : اعلاه الكفر . وأدناه أي عمل فيه مخالفة شرعية ، ويمنع فاعله . ويتراوح المنع من الاستتابة أو القتل ، الى قصاص رادع ، للحد الذي يراه امام المسلمين أنه مانـع من مقارفة الذنب . مـع تماهده بالنصح والإرشاد والإقناع بالحجّة والبرهان . ويكون الترهيب والترغيب فرَسَي رهانٍ من المنع .

فمقارفة الذنب عمداً أو خطأً ، سهواً أو نسياناً ، علماً أو جهلاً ، لا تغير من صفة الوقوع فيه ، ولا من حرمته ، وان أختلفت درجة عقوبته . فيأخذ الذنب حقيقة صفته ، والمذنب نصيبه من الحكم ... انما كلٌّ بحسبه .

نسأله تعالى أن يسلّكنا الصراط المستقيم الموصل إلى رحمته وجنتـه وثوابه ويجنّبنا السبلَ التي تفرّق بنـا عن سبيله ... وأن يجعلنا جميعاً ممّن يستمعون القول فيتّبعون أحسنه وأن يجعلنا من المهتدين أولي الألباب .

أوجه التوسل الممنوع

إن للتوسل الممنوع عند من يستحلّونه أوجهاً ثلاثة :

الوجه الأول : التوسل إلى الله تعالى بذات وشخص المتوسَّل به.

كأن يقول المتوسل : اللهم إني أتوسل اليــك بفلان ...
– ولا يعني إلاّ ذاته وشخصه – أن تقضي حاجتي...

الوجه الثاني : التوسل إلى الله تعالى بجاه فلان أو حقّه أو حرمته أو بركته

كأن يقول المتوسل : اللهم إني اتوسل اليك بجاه فلان عندك أو بحقه عليك.. أو بحرمته... أو بركته أن تقضي حاجتي.

الوجه الثالث : الإقسام على الله بالمتوسَّل به ... كأن يقول :

اللهم أقسم عليك بفلان أن تقضي لي حاجتي ...

وقد أجاز المستحلّون للتوسل الممنوع كل هذه الأوجه الثلاثة ...والحقيقة أنها جميعاً باطلة ، وفاسدة ، ومخالفة لأصول الدين ونصوصه .

واليك البيان

أخي القارىء الكريم : لا يستطيع المستحلون للتوسل بهذه الأوجه الثلاثة أن ينكروا بأنهم يستحلونها، ويدعون الناس إلى التوسل بها بل ويقولون: إنها من القربات التي يتقبّل الله بها الدعاء ، ويستجيبه .

بينما نقول نحن : بأنها باطلة ومنعها الشرع ولم يأذن بها ... إذن فانه توسل ممنوع. فلا يجوز لأحد أن يعمل به !!!؟ لا شك اننا قد تنازعنا في هذا الأمر واختلفنا فيه . ولسنا أول من اختلف، فقد اختلف مَنْ قبلنا . فليس بدعاً أن نختلف ... وليس غريباً أن نتنازع ... فما دامت المفاهيم مختلفة لا بد أن يقع الاختلاف، فهذا قدر قدّره الله بين عباده... فكما أنه جل جلاله قدّر وقوع الخلاف ... فكذلك قد قدّر سبحانه الوفــاق وأوصانا عز وجل إن اختلفنا أن نحتكم إلى الله ورسوله أي إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ فقد قال عز من قائل :

(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا /٥٩/) النساء .

فأكرم وأنعم وأعظم بهذا الحكَم العدل، والطرفان المتنازعان راضيان بحكمه وإطاعته وتنفيذه (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما /٦٥/) النساء .

فما دام الخصمان راضيين بالحكَم، ونازلين على ما سيقرره ويحكمُ به، ويطيعان الحُكْم وينفذانه، فليتقدم إذن الطرفان المتنازعان أمام الحكَم العدل وليُدلِ كل منهما بحجته وبرهانه .

أما نحن فقد سبق أن بيّنا في شرح التوسل المشروع، ما ذكرناه ودلّلنا بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة، وأعمال السلف الصالح من الصحابة والقرون الخيّرة على مشروعية ذلك التوسل، وحضّ الشارع الحكيم عليه وعلى العمل به والتقرُّب إلى الله تعالى على أساسه... لم نجد بين طيات الوحيين الأزهرين كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ذِكْراً للتوسّل الممنوع، الذي يدّعي الخصمُ حِلّه، وعدّه مشروعاً أيضاً ... فلو كان مشروعاً حقيقةً لذكره الشارع في زمرة مـــا ذكره وحضّ كذلك الناس عليه، وليس معقولاً أن يهمله الله تعالى، ولا يبلّغه رسوله ﷺ، ولا يعمل به الصحابة والقرون الخيرة، أيضلّ عنه صحابة رسول الله، ويهتدون هم إليه ...؟ إذن فعدم وجوده لا في كتاب ولا سنة، دليل على عدم مشروعيته. وإذا لم تثبت مشروعيتـه، فهو إذن ليس مشروعـاً ... وبدَهيٌ إذا لم يكن مشروعاً ... أن يكون ممنوعاً وحراماً .

هذا ... دليل عام يشمل الأوجه الثلاثة للتوسل الممنوع على عدم مشروعيتها ولكننا نحب أن نضيف إلى ذلك ... أدلةً على عدم مشروعية كل وجـــه من وجوه التوسل الممنوع ... والذي أدّعوا حِلّه ...!!! فنقول وبالله المستعان :

- الوجه الأول : التوسل اليه تعالى بذات وشخص المتوسّل به .

إن التوسل بذات وشخص المتوسَّل به إلى الله تعالى، عمل غير شرعي لأنه

لم يأمر بـه الله ، ولا بلـّغه رسوله ﷺ . على أن التوسل بذات الشخص بدون متابعةٍ للعمل الذي كان يعمله،فبلغ به المنزلة الطيبة عند الله ، إنّما هو عمل قد ذمّه الله تعالى لمّا وصف توسلَ المشركين فقال حاكياً عنهم : **(ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقرّبونا الى الله زلفى إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار)** /٣/ الزمر .

فالتوسل بالعبد الصالح من غير متابعة له في الأعمال الصالحة لا يجوز أن يكون وسيلة . فهذا التزلف بذوات الأشخاص ردّه الله سبحانه ولم يقبله . وإنه تعالى قد عاب عليهم في هذه الآية أمرين اثنين : عاب عليهم عبادة الأوليـاء من دونه ، وعاب عليهم ، محاولتهم القربى والزلفى اليه تعالى بالأشخاص والعباد المخلوقين . فكلا الأمرين في الآية، عيب وذنب . وكلاهما باطل وكذب وضلال وقال تعالى : **(وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبُكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون)** /٣٧/ سبأ .

أي إن الذين يقرّبون عند الله درجاتٍ ، ومنازلَ عظيمة والذين تُضاعَف لهم حسناتهم إنما تُضاعَف بأعمالهم لا بالجاهات ولا الوساطات .

قول ابن تيمية : (رحمه الله)

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن رجلين تناظرا فقال أحدهما : لا بد لنا من واسطة بيننا وبين الله فإنّا لا نقدر أن نصل بغير ذلك : فأجاب رحمه الله :

الحمد لله رب العالمين: إن أراد بذلك أنه لا بد منواسطةٍ يبلّغنا أمر الله فهذا حق . فإن الخلق لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه ، وما أمر به ومـا نهى عنه ، وما أعدّه لأوليائه من كرامته ، وما وعَدَ به أعداءه من عذابه ، ولا يعرفون ما يستحقه الله من أسمائه الحسنى ، وصفاته العليا ، التي تعجز العقول عنمعرفتها وأمثال ذلك إلا بالرسُل الذين أرسلهم الله تعـالى إلى عباده . فالمؤمنون بالرسل المتبعون لهم هم المهتدون الذين يقرّبهم لديه زلفى ، ويرفع درجاتهم ، ويكرمهم في الدنيا والآخرة . وأما المخالفون للرسُل ، فإنهم ملعونون ، وهم عـن ربهم ضالون محجوبون .

ثم قال : وإن أراد بالواسطة أنه لا بـد من واسطة في جلب المنافع ، ودفع المضار ، مثل أن يكون واسطة في رزق العباد ، ونصرهم وهداهم ، ويسألونـه ذلك ، ويرجعون اليه فيـه فهو من أعظم الشرك الذي كفَّـر الله به المشركين ، حيث اتخذوا من دون الله أوليـاء شفعاء ، يجتلبون بهم المنافع ، ويدفعون بهم المضار . ا هـ

قول أبي حنيفة رحمه الله :

قال في الدر المختار : وفي التتار خانية معزياً المنتقى عن أبي يوسف عن أبي حنيفة : لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلاّ به . والدعاء المأذون فيه المأمور به : ما استفيد من قوله تعالى : (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها /١٨٠/)الأعراف.

قول ابن عربي :

وقال الشيخ ابن عربي شيخ الصوفية في الفتوحات المكيـة ج ٤ ص ٢٢٦ بولاق : (إن الله تعالى لم يترك لعبده حجةً عليه بل لله الحجة البالغـة فلا يتوسَّل اليه بغيره فإن التوسل إنما هو طلب القرب وقد أخبرناأنه قريب وخبره صدق).

الوجه الثاني: التوسل الى الله تعالى: بجاه فلان أو حقه أو حرمته وما أشبه

أما التوسل إلى الله تعالى : بجاه أو بحرمة المتوّسل به .. فهذا عمل لم يشرعه الله ولم يبلغه رسوله ﷺ ، ولا أمر به ، ولا حضّ عليه ، ولم يصلْ إلينا عن أحد من أصحابه رضي الله عنهم .

وإننا نوجه سؤالاً للذين يستحلّون هذا النوع من التوسل فنقول :

إن هذا الذي تسألون الله بجاهه أو بحرمته عنده ، كيف تَكوّنَ له هـذا الجاهُ والحرمةُ ، وتلك المنزلة الطيبة عنده سبحانه ؟ أليس هذا كله ، من طاعته لربه وتنفيذه لأوامره ، وتركه لنواهيه ، وفعله الخيرات ، وجهاده في سبيل الله ونشره الدعوة بين الناس ، وصبره على الأذى في سبيلها...؟ أليس كذلك...؟ ولولا أن يفعل هذا ... ما كان له ذلك الجاه ولا الحرمة ولا تلك المنزلة العالية. فإذا كان الأمر كذلك ... فهل لكم من أعماله تلك أي سهم أو نصيب ...؟ ستقولون : لا...إن عمله له وليس لأحد أي نصيب منه، فأقول : هذا هو القول

الحق بارك الله فيكم فما دمتم تعلمون أن كل هذه المكانة والحرمة متأتّية له من سعيه ، ومتأكدون أن سعيه له ، وليس لكم فيه من حق ... فكيف إذاً تتوسلون إلى الله بجاهٍ لا تملكونه ، وحرمةٍ ليس لكم فيها أية علاقة ، ومكانةٍ اختصه الله بها وليس لكم منها مثقال ذرة ...؟ والله سبحانه وتعالى قرّر في كتابه العزيز :(وان ليس للإنسان إلا ما سعَى وأن سعيَه سوف يُرى ثم يجزاهُ الجزاءَ الأوفى /٤١/) النجمْ .

إذاً فالذي ليس من سعيكم ليس لكم فيه من نصيبَ ... فتوسلكم بجاهه أو بحرمته أو منزلته مخالف لما قال سبحانه في الآية المتقدمة ، وليس لكم أن تفعلوا ذلك .

وبناء على ما تقدّم ، فإن كل توسل إلى الله بما لم يشرع ... غير مقبول ومردود . لأنه ليس مطابقاً لما أمر وشرع . هذا عدا عن أن مخالفة أمر الله يترتب عليها عقاب ، لأن مخالفة أمر الله ذنب ، ولكل ذنب عقاب .

فما رأيكم بعمل تعملونه ... وتظنون أنه قربى إلى الله وفي الواقع ليس هو قربى ... بل ذنب يستحق أن تتوبوا منه أو تعاقبوا عليه ... فلا أنتم منه تتوبون أو تستغفرون ، ولا أنتم عنه راجعون ، فتكررون الذنب ولا تستغفرون ويتراكم ولا تشعرون وتحسبون أنكم بعملكم هذا تحسنون صنعاً ... !!!

وهكذا ... فإن الشيطان زيّن لكم عملكم وحسّنه في نظركم فظننتموه سناً فأطعتم الشيطان ... ! وعصيتم الرحمن !!! ولكن بعد أن وضح الحق ... هل أنتم منتهون ؟

وإذا كان هناك رجال صالحون ، قبضهم الله اليه ، ومضوا إلى ما عملو من خير وصلاح ... فهم – إن شاء الله – في بحبوحة من رحمة الله ومغفرته ، ورحاب فسيحة من رضاه وعفوه وكرمه ، فليس لأحد أن يتوسل إلى الله بصلاحهم ... لأن صلاحهم من سعيهم ، لا من سعي المتوسلين بهم .

قال شيخ الاسلام أحمد بن تيمية رحمه الله :

(ليس لأحد أن يُدلّ على الله بصلاح سلفه ، فانه ليس صلاحهم من عمله

الذي يستحق به الجزاء ، كأهل الغار الثلاثة ، فأنهم لم يتوسلوا إلى الله بصلاح سلفهم ، وإنما توسلوا إلى الله بأعمالهم[1] اهـ

ولماذا لا تعملون صالحاً كما عملوا .. وتتوسلون بأعمالكم الصالحة كما توسلوا .. فتُكتب لكم في صحائفكم ، وتتقربون بها إلى الله وتتوسلون ، كما فعل السلف الصالح ممن سبقكم ... أما سمعتم الشاعر يقول :

لسنا وإن أحسابنا كرمت يوماً على الآباء نتكل
نبني كما كانت أوائلنا تبني ، ونفعل مثلما فعلوا

وقال شارح العقيدة الطحاوية : رحمه الله

(ولا مناسبة بين ذلك – أي صلاح المتوسِّل بـه – وبين استجابة الدعاء ، فكأن المتوسِّل يقول : لكون فلان من عبـادك الصالحين أجب دعاي ! وأي مناسبة في هذا ... وأي ملازمة ؟ وإنما هذا من الاعتداء في الدعاء وقد قال تعالى : (**ادعوا ربّكم تضرُّعاً و خفية إنه لا يحبُّ المعتدين**) /٥٥/ الأعراف .

وهذا ... ونحوه من الأدعية المبتدعة . ولم يُنقَلْ عن النبيّ ﷺ ، ولا عن الصحابة ، ولا عن التابعين ، ولا عن الأئمة رضي الله عنهم أجمعين ، وإنما يوجد مثل هذا .. في الحروز والهياكل – أي التمائم – التي يكتب بها الجهال والطرقية والدعاء من أفضل العبادات ، والعبادات مبناها على السنة والاتباع ، لا على الهوى والابتداع) .

الوجه الثالث – الإقسام على الله جل وعلا بالمتوسَّل به .

الأصل في القسم أو الحلف ، أن يكون بالله تعالى ، لانه عبادة ، ومعلوم أن العبادةلا يجوز أن تصرف إلا لله عز وجل ، ولذا فانه لا يجوز القسم أو الحلف بغيره سبحانه . وقد ثبت في الصحيحين : أن النبيَّ ﷺ قال : [من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت] وفي لفظٍ : [من حلف بغير الله فقد أشرك] رواه أحمد والترمذي والحاكم وصححوه. فإذا فهم هذا ... فيتميّنأنه لايجوز الحلف بمخلوق على مخلوق ، فكيف يجوز الحلف بالمخلوق على الخالق ..!؟ كأن يقول

(١) راجع حديث أهل الغار في الصفحة ١٢٩من هذا الكتاب.

مثلاً : اللهم أني أقسمت عليك بفلان أو أسألك بحق فلان أن تقضي حاجتي ...

قد يتأثر المخلوق إذا أقسمت عليه بعظيم أو مكرّم لديه ... فيتحوّل عن عزمه الذي كان عازماً على فعله ... إلى مرادك الذي أقسمت عليه بأن يلتزم به ... أمّا الله سبحانه،فلا أحد يستطيع أن يحوّل مراده أو يؤثّر عليه ، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً (وهو يجيرُ ولا يجارُ عليه) /٨٨/ المؤمنون . أي هو السيد العظيم الذي لا أعظم منه أحد الذي له الخلق والأمر ، ولا معقّب لحكمه ، الذي لا ممانع ولا يخالف ، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن . فمن كان هذا شأنه، كيف تقسم عليه بمخلوق ؟ ألا إنَّ شأن الله أعظم من ذلك ، وإن الله تعالى جَدُّه وتقدَّستْ أسماؤه ، وجلّتْ صفاتُه ، هو الذي يُقسَمُ بـه على مخلوقاته ، لا أن يُقْسَمَ عليه بمخلوقاته .

ألا ترى معي يا أخي المسلم ، أن الإقسام على الله بمخلوقاتـه ليس شركاً فحسب .. بل هو تقرّب إلى الله بالشرك به ...!!! والمفروض بالتقرب ... أن يكون بشيء يُرضي المتقرّب منه ... ولا يفكّر عاقل بأن يتقرّب إلى أحد بما يكره. وإن هؤلاء الذين يقسمون على الله بمخلوقاته يتقرّبون إلى ربّهم بذلك.. والله سبحانه لا يرضيه أن يُشرِكَ به عبادُه ... فضلاً عن أن يتقرّبوا إليه بهذا الشرك وما أدري إذا كان هؤلاء يدرون ما يفعلون أو لا يدرون ...!!!؟

(فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة * وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم)

ثم نسأل : إذا كان الحلف عبادة ... هل المحلوف به أعظم ، أم المحلوف عليه أعظم ...؟ سيقولون بل المحلوف به أعظم ... فإذا كان المحلوف به أعظم فعندما نحلف على الله بأحد خلقه ... من يكون هنـا المحلوف عليه ...؟!!! سيقولون : المحلوف به هو المخلوق والمحلوف عليه هو الله الخالق . فنقول: أرأيتم كيف جعلتم المخلوق أعظم عندكم من الخالق ...؟!!! نعوذ بالله مـن الشرك والكفر وسوء المنقلب في الدنيا والآخرة .

أرأيت يا أخي المسلم كيف يستولي الشيطان عـلى هؤلاء فيريهم الحق باطلاً والباطل حقاً...؟ أرأيت يا أخي إلى أية هاويةٍ يريد الشيطان أن يرديهم فيها.؟

تُرى هل شعروا بهمز الشيطان ونفخه ونفثه يسري في كيانهم كما يسري السم في الجسد ...؟ وهل سيظلون هكذا طائعين منقادين كالأنعام إلى جهنم وبئس المصير ... أسيظلون هكذا ... أم يفلتون من حبال عدوّهم ويهربون إلى ربهم تائبين منيبين إليه ، يذرفون دموع الندم ويرجون من الله رحمة ومغفرة ... والله إن فعلوا ... لوجدوا الله تواباً رحيماً . فبادروا يا رعاكم الله إلى كنف التواب الرحيم ، تلقَوْا عفوَه وكرمَه ورضوانَه رغم ما أسلفتم من الذنوب والآثام (**قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم**) /٥٣/ الزمر . وإن الكريم سبحانه لا يغفر ذنوبكم فحسب بل يبدّلها حسناتٍ، وهذا جزاء التائبين المستغفرين المؤمنين العاملين . اسمعوا قوله تعالى : (**إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدّل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً**) /٧٠/ الفرقان . وقد ألحى العلماء باللائمة على من يقسم بالمخلوق ، وأقاموا النكير عليه وحذروا منه أشد التحذير ، لما فيه من المساس بالألوهية والعياذ بالله تعالى .

قال شارح العقيدة الطحاويّة :

(وإن الإقسام على الله بحق فلان ، فذلك محذور ، لأن الإقسام بالمخلوق لا يجوز فكيف على الخالق ؟! وقد قال ﷺ : [من حلف بغير الله فقد أشرك] ولهذا قال أبو حنيفة وصاحباه رضي الله عنهم : يكره أن يقول الداعي: أسألك بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك ، وبحق البيت الحرام ، والمشعر الحرام ، ونحو ذلك . حتى كره أبو حنيفة ومحمد رضي الله عنهما ، أن يقول الرجل : اللهم إني أسألك بمعقد العز من عرشك ولم يكرهه أبو يوسف رحمه الله لما بلغه الأثر فيه[١] كما أن القول : بجاه فلان عندك أو نتوسل اليك بأنبيائك ورسلك وأوليائك . ومراده أن فلاناً عندك ذو وجاهة وشرف ومنزلة فأجب دعاءنا . وهذا أيضاً محذور فإنه لو كان هذا ، هو التوسل الذي كان الصحابة يفعلونه في حياة النبي ﷺ لفعلوه بعد موته . وإنما كانوا يتوسّلون في حياته بدعائه، يطلبون

(١) قال الزيلعي في نصب الراية ٢٧٣/٤ : هو حديث مرفوع موضوع .

منه أن يدعو لهم ، وهم يؤمّنون على دعائه ، كما في الاستسقاء وغيره . فلما مات رسول الله ﷺ قال عمر رضي الله عنه – لما خرجوا يستسقون – : اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل اليك بعم نبينا . معناه : بدعائه الله لنا ، وشفاعته عنده ، وليس المراد أنا نقسم عليك /به/ أو نسألك بجاهه عندك إذ لو كان ذلك مراداً ، لكان جاه النبي ﷺ أعظم وأعظم من جاه العباس) . اهـ

ويروى ... أن داود عليه السلام قال : [اللهم إني أسألك بحق آبائي عليك فأوحى اليه : وما حق آبائك عليّ ؟] (٢) .

وقال أبو الحسن القدوري في شرح كتاب الكرخي :

(قال بشر بن الوليد : سمعت أبا يوسف يقول : قال أبو حنيفة : « لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلاّ به ، وأكره أن يقول : أسألك بمعاقد العز من عرشك . وأن يقول : بحق فلان ، وبحق أنبيائك ورسلك ، وبحق البيت الحرام » قال أبو الحسن : أما المسألة بغير الله ، فمنكرة لأنه لا حقّ لغير الله عليه ، وإنما الحق له على خلقه) . وفي قول له : (المسألة بخلقه لا تجوز : لانه لا حقّ للمخلوق على الخالق ، فلا يجوز ، يعني : وفاقاً) .

وقال ابن بلدجي في شرح المختار : (ويكره أن يدعو الله إلا به . ولا يقول : أسألك بملائكتك أو أنبيائك ، أو نحو ذلك ، لأنه لا حق للمخلوق على خالقه) .

وقال نعمان خير الدين الحنفي في « جلا العينين » وذكر العلائي في شرح التنوير عن التتارخانية : أن أبا حنيفة قال : « لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به ». وجميع متون الحنفية أن قول الداعي المتوسل بحق الأنبياء والأولياء وبحق البيت الحرام ، مكروه كراهة تحريم ، وهي كالحرام في العقوبة بالنار أهـ .

وننتهي هنا من إيراد أدلتنا في اثبات عدم شرعية التوسل إلى الله بذوات المخلوقين الذي أطلقنا عليه : « التوسل الممنوع » فقد فنّدنا كل وجه من أوجهه

(١) قيل انه ضعيف وقد رويناه بصيغة التمريض للدلالة على ضعفه ، وذكرناه استئناساً للمناسبة مع بيان ضعفه .

الثلاثة المتقدمة . . وأثبتنا بطلانها جميعاً وفسادها جملة وتفصيلاً لعدم مطابقتها لأحكام الكتاب والسنة ومخالفتها لهما ، ومجانبتها الحق وانحرافها عن الصواب .

فلله وحده الحمد والشكر ، والثناء الحسن كما يحبُّ ربُّنا ويرضى على ما ألهمنا فيه من الحجج والأدلة القرآنية والسنية الصحيحة .

وإننا إذ نضع ما كتبناه بين أيدي المخالفين الذين تحجبهم (بعض الشبه !!!) عن تقريرهم النهائي ، فيما يرون من الأدلة الشرعية التي سقناها ... نهيب بهم أن يدلوا بأدلتهم المعاكسة التي تثبت عكس ما قلناه ...

فان كانت حججهم وأدلتهم مطابقة للقرآن والسنة الصحيحة ، نصاً وفهماً وتخريجاً فاننا نعدهم وعداً قاطعاً أننا نعود للحق الذي بان لنا من أدلّتهم . كما نرجو منهم إمّا وجدوا ذلك عندنا ... واستبان لهم الحق مما وضح من أدلتنا أن يعدونا أيضاً وعداً قاطعاً . بأن يعودوا إلى ذلك الحق ويتوبوا الى الله تعالى ويستغفروه ، فلا يكون إلا الحق منصوراً ، ولا بد أن يكون الباطل إلا مخذولاً ومقهوراً .

والحكمان العدلان الأزهران النيّران ... كتاب الله وسنة رسوله ، بانتظار الحكمْ بالحق لصاحب الحقّ من بيننا . ويعترف كلّ منا بهذا الحق ... ونعود جميعاً جبهة واحدة ، وصفاً متراصّاً ، ونكون – إن شاءالله – حَمَلَةَ التركة المحمدية ... التي أورثناها رسول الله ﷺ : [تركت فيكم ما إن تمسّكتم بها لن تضلوا بعدي أبداً : كتاب الله وسنتي] فنعيد ذلك العهد الأزهر ، والزمن الأنور . خير القرون إلى قيام الساعة . ولئن فاتنا نحن أبناء هذا الجيل ... صحبة نفس رسول الله ﷺ ، فلا نحرم من صحبة أنفاسه الطاهرة التي ما تزال تفوحُ من بين أسطرها ... عَبَقاً زكياً ، وعرْفاً شذياً وتزهر منها أضواء الحق ، وأنوار الخير ودفقات سنا الهدى .

(اهلُ الحديث هُمو أهلُ النبيِّ وإنْ
لم يصحَبوا نفْسه ، أنفاسَه صحِبوا)

وهنا نتخلى عن مقام الكلام والكتابة ، تاركين المجال لإخواننا الذين نؤمل

بهم الرجوع إلى الحق . فليدلوا بأدلـّتهم ، فقد ادعوا : أن لهم أدلةً قرآنيـة وسنيةً يستندون اليها ... باتخاذهم هــذا النوع من التوسل الذي دعوناه (ممنوعاً ...) واعتباره مشروعاً ... بالنسبة لما يحفظون من الأدلة ... فلا بأس ... فلعلهم يكونون على حق فليدلوا بها (وإنّا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) /٢٤/ سبأ .

الصحابة لم يقسموا على الله بالنبي ... ولم يسألوه به ..!!

قال ابن تيمية رحمه الله :

« التوسل بمعنى الإقسام على الله بذاته ﷺ أو السؤال به ... فهذا هو الذي لم تكن الصحابة يفعلونه في الاستسقاء ونحوه ، لا في حياته ، ولا بعد مماتـه لا عند قبره ولا غير قبره ولا نعرف هذا في شيء من الأدعية المشهورة بينهم وإنما ينقل شيء من ذلك ، في أحاديث ضعيفة مرفوعة وموقوفة أو عمّن ليس قوله حجّة » .

التوسّل الممنوع

أدلة أنصاره وحججهم

أهي

أدلة أم شبه

عَرْض وَتحقِيق وَتدقِيق

وَتقرير

قالوا :

أخطأتم جداً ... لمـــا أطلقتم على التوسل بذوات المخلوقين ، أو بجاههم وحرمتهم ، أو بالقسم بحقهم أو بهم اسم (التوسل الممنوع) فبأي دليل منعتموه..؟

نحن لا نخالفكم بالتوسل المشروع ، فكل ما أوردتموه من حجج وأدلّة نوافقكم عليه وهو صحيح . انمـــا لا نوافقكم على منعكم وتحريمكم التوسل بذوات المخلوقين ... فكما أن لديكم حججاً وأدلّة على التوسل المشروع ، فكذلك نحن لدينا حجج من القرآن والسنة على صحة ما نذهب اليه من حل ذلك التوسل وإننا مستعدون أن نورد الآيات والأحاديث التي تدعم ادعاءنا هذا ... واليكم البيان :

قال الله تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون) /٣٥/ المائدة .

وقال تعالى :

١ – (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضرّ عنكم ولا تحويلا/٥٦/ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربّهم الوسيلة أيّهم أقرب ويرجون رحمتَه ويخافون عذابَه إن عذابَ ربّك كان محذوراً) /٥٧/ الاسراء .

٣ – وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع باذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) /٦٤/ النساء .

وكذلك أيضاً . . . لدينا من الأحاديث العديدة ما يفيد صحة توسلنا بذوات المخلوقين ... واليكم البيان .

١ً – عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : [ما خرج رجل من بيته إلى الصلاة فقال : « اللهم إني أسألك بحق السائلين ، وبحق ممشاي هذا فاني لم أخرج أشراً ولا بطراً ، ولا رياء ولا سمعة ، خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك ، أسالك أن تنقذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . إلا وكل الله به سبعين الف ملك يستغفرون له ، وأقبل الله عز وجل عليه بوجهه حتى يفرغ من صلاته »] . رواه ابن ماجه .

٢ً – روى البيهقي في كتابه المسمى دلائل النبوة عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله ﷺ : [لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد إلا ما غفرت لي فقال الله تعالى : يا آدم كيف عرفت محمّداً ولم أخلقه قال : يا ربّ إنك لما خلقتني رفعتُ رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً : لا إله إلا الله محمّد رسول الله فعلمتَ أنك لم تُضِفْ إلى اسمك إلاّ أحبَّ الخلق إليك فقال الله تعالى:صدقتَ يا آدم أنه لأحبُّ الخلق اليّ وإذا سألتني بحقّه فقد غفرت لك ولولا محمَّد ما خلقتك] رواه الحاكم وصحَّحه .

٣ً – قصة مالك مع أبي جعفر المنصور وفيها أنه سأل مالكاً فقال : يا أبا عبد الله أأستقبل القبلة وأدعو ، أم استقبل رسول الله ﷺ فقال : ولمَ تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ، ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله يوم القيامة ، بل استقبله واستشفع به .

٤ – حديث فاطمة بنت أسد : [الله الذي يحيي ويميت ، وهو حي لا يموت اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي فإنك أرحم الراحمين] .

٥ً – حديث الأعمى: عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه [أن رجلاً ضريراً أتى النبي ﷺ فقال: أدعُ الله أن يعافيني فقال: إن شئتَ دعوتُ وإن شئتَ صبرتَ وهو خير. قال: فادعه. فأمره ان يتوضأ فيحسن وضوءه، ويدعو بهذا الدعاء:

« اللهم إني أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمّد نبيّ الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي لتقضَى، اللهم شفّعه في ». فعاد وقد أبصر – وفي رواية – قال ابن حنيف: فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا كأن لم يكن به ضر].

٦ً – حديث الرجل الذي كانت له حاجة عند عثمان بن عفان.

روى الطبراني والبيهقي: [كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه رجل في زمن خلافته في حاجة ... فكان لا يلتفت ولا ينظر إليه في حاجته. فشكا ذلك لعثمان بن حنيف، فقال له: إئت الميضأة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل، ثم قلْ: اللهم إني أسألك، وأتوجّه اليك بنبيك محمّد نبيّ الرحمة يا محمد إني أتوجّه بك إلى ربي في حاجتي لتقضَى. وتذكر حاجتَك. فانطلق الرجل فصنع ذلك ثم أتى باب عثمان بن عفان رضي الله عنه. فجاء البواب فأخذ بيده فأدخله على عثمان رضي الله عنه فأجلسه معه وقال له اذكر حاجتك فذكر حاجته فقضاها ثم قال: ما كان لك من حاجة فاذكرها ثم خرج من عنده. فلقي ابن حنيف فقال له جزاك الله خيراً ما كان ينظر لحاجتي حتى كلمتَه لي فقال ابن حنيف: والله ما كلمتُه ولكن شهدت رسول الله ﷺ وأتاه ضرير فشكا اليه ذهاب بصره] إلى آخر الحديث المتقدم أي (حديث الأعمى).

٧ً – حديث [إذا سألتم الله فسلوه بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم]

٨ً – خبر [إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور]

٩ً – حديث استسقاء بلال بن الحرث بعد وفاة الرسول ﷺ.

روى البيهقي، وابن أبي شيبة: ان الناس أصابهم قحط في خلافة عمر رضي الله عنه فجاء بلال بن الحرث رضي الله عنه، وكان من أصحاب النبي ﷺ إلى قبر النبي ﷺ، وقال يا رسول الله: استسق لأمتك، فإنهم هلكوا، فأتاه رسول

الله ﷺ في المنام ، وأخبره أنهم سيسقون .

حديث الاستسقاء بالعباس :

١٠ – روى البخاري في صحيحه من رواية أنس بن مالك رضي الله عنه : [أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه وقال : اللهم كنـــا نتوسل اليك بنبينا ﷺ فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا . قال : فيسقون] .

١١ – حديث عام الفتق :

روى الدارمي في مسنده عن أبي الجوزاء قال : قحط أهل المدينة قحطاً شديداً فشكوا الى عائشة رضي الله عنها فقالت : انظروا الى قبر رسول الله ﷺ فاجعلوا منه كوًّةً الى السماء حتى لا يكون بينـــه وبين السماء سقف ، ففعلوا فمطروا حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم فسمي عام الفتق.

١٢ – حديث توسل الأعرابي بالرسول صلى الله عليه وسلم بعد وفاته بثلاثة أيام وحديث العتبي. روى أبو الحسن علي بن ابراهيم بن عبدالله بن عبد الرحمن الكرخي عن علي بن محمد بن علي حدثنا أحمد بن محمد بن الهيثم الطائي حدثنا أبي عن أبيه عن سلمة بن كهيل عن أبي صادق عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : [قدم علينا أعرابي بعدما دفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام فرمى نفسه على قبر النبي صلى الله عليه وسلم وحثى على رأسه من ترابه وقال: يا رسول الله قلت فسمعنا قولك ووعيت من الله عز وجل ما وعينا عنك وكان فيما أنزل الله تبارك وتعالى عليك (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما /٦٤/)النساء . وقد ظلمت نفسي وجئتك لتستغفر لي فنودي من القبر أنه غفر لك] .

١٣ – حديث العتق : روي في الجوهر المنظم أن أعرابياً وقف على القبر الشريف وقال :

اللهم إن هذا حبيبك وأنا عبدك والشيطان عدوك فإن غفرت لي سر حبيبك وفاز عبدك وغضب عدوك وإن لم تغفر لي غضب حبيبك ورضي عدوك وهلك

عبدك ، وأنت يا رب أكرم من أن تغضب حبيبك وترضي عدوك وتهلك عبدك. اللهم إن العرب إذا مات فيهم سيد اعتقوا على قبره ، وإن هـذا سيد العالمين فاعتقني على قبره يا أرحم الراحمين . فقال له بعض الحاضرين : يا أخا العرب إن الله قد غفر لك بحسن هذا السؤال .

١٤ً - أبيات الأعرابي : روى البيهقي عن أنس رضي الله عنـه أن أعرابياً جاء إلى النبي ﷺ يستسقي به وأنشد أبياتاً ، أولها :

أتيناك والعذراء يدمي لبانها وقد شغلت أم الصبيّ عن الطفل

إلى أن قال :

وليس لنا إلاّ إليك فرارنا وأنّى فرار الخلق إلاّ إلى الرسل

فلم ينكر عليه ﷺ هذا البيت بل قال أنس : لما أنشد الأعرابي قام ﷺ يجر رداءه حتى رقى المنبر فخطب ودعا لهم فلم يزل يدعو حتى أمطرت السماء .

١٥ً - وفي صحيح البخاري : أنه لما جاء الأعرابي وشكا للنبي ﷺ القحط فدعا الله فانجابت السماء بالمطر قال ﷺ : لو كان أبو طالب حياً لقرت عيناه . من ينشدنا قوله ؟ فقال علي رضي الله عنه : يا رسول الله : كأنك أردت قوله:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى ، عصمة للأرامل

فتهلل وجه الرسول ﷺ ، ولم ينكر إنشاد البيت ، ولا قوله يستسقى الغمام بوجهه ، ولو كان ذلك حراماً أو شركاً لأنكره ولم يطلب إنشاده .

١٦ً - حديث سواد بن قارب :

روى الطبراني في الكبير أن سواد بن قارب رضي الله عنه أنشد الرسول ﷺ قصيدته التي فيهـا التوسل ، (يقول الدحلان) : ولم ينكر الرسول عليه ، ومنها قوله :

وأشهد أن الله لا رب غيره وانك مأمون على كل غائب
وانك أدنى المرسلين وسيلةً إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايب
فمرنا بما يأتيك يا خير مرسلٍ وان كان فيما فيه شيب الذوائب
وكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعة بمغنٍ فتيلاً عن سواد بن قارب

١٧ً – روى النووي في الأذكار [أن النبي ﷺ أمر أن يقول العبد بعد ركعتي الفجر ثلاثاً : اللهم رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل ومحمد ﷺ أجرني من النار] .

١٨ً – لولا عباد ركع ، وبهائم رتّع ، لصبّ عليكم العذاب صباً .

١٩ً – حديث السؤال بمحمد والأنبياء .

يروى عن عبد الملك بن هارون بن عنترة عن أبيه عن جده [أن أبا بكر الصديق أتى النبي ﷺ فقال: إني أتعلّم القرآن ويتفلّت مني فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل اللهم إني أسألك بمحمد نبيّك وإبراهيم خليلك وبموسى نبيك وعيسى روحك وكلمتك وبتوراة موسى وإنجيـــل عيسى وزبور داود وفرقان محمد وبكل وحي أوحيته ، وقضاء قضيته .

٢٠ – حديث دعاء حفظ القرآن .

ذكره موسى بن عبد الرحمن الصنعاني صاحب التفسير بأسناده عن ابن عباس مرفوعاً أنه قال : من سره أن يوعيـه الله حفظ القرآن ، وحفظ أصناف العلم فليكتب هذا الدعاء في إناء نظيف في صحف قوارير بعسل وزعفران وماء مطر وليشربْه على الريق وليصم ثلاثة أيام وليكن إفطاره عليه ، ويدعو به في أداء صلواته : اللهم إني أسألك بأنك مسؤول لم يسأل مثلك ولا يسأل ، وأسألك بحق محمـــد نبيّك وابراهيم خليلك ، وموسى نجيك وعيسى روحك وكلمتك ووجيهك ... وذكر تمام الدعاء .

٢١ – حديث استفتاح اليهود على المشركين بمحمد ﷺ .

يروى عن عبد الملك بن هـــارون بن عنترة عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كانت يهود خيبر تقاتل غطفان فكلما التقوا هزمت يهود فعاذت بهذا الدعاء : اللهم إنا نسألك بحق محمد النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم فكانوا اذا دعوا بهذا الدعاء هزموا غطفان فلمـا بعث النبي ﷺ كفروا به فأنزل الله تعالى :

(وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ...)

٢٢ – روى الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال [سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة فقال : « أنا فاعل »] .

٢٣ – مرثية صفيّة بنت عبد المطلب :

يقول الشيخ دحلان : وكذا من أدلة التوسل مرثية صفية رضي الله عنها عمة رسول الله ﷺ ، فإنها رثته بعد وفاته صلى الله عليه وسلم بأبيات فيها قولها :

ألا يا رسول الله أنت رجاؤنا ... وكنت بنا براً ولم تك جافياً

ففيها النداء بعد وفاته مع قولها (وأنت رجاؤنا) وسمع تلك المرثية الصحابة رضي الله عنهم فلم ينكر عليها أحدٌ قولها: يا رسول الله أنت رجاؤنا .

٢٤ – رؤيا الترمذي :

ذكر طاهر بن هاشم با علوي في كتابه المسمى « مجمع الأحباب » في ترجمة الإمام أبي عيسى الترمذي صاحب السنن أنه رأى في المنام رب العزة فسأله عما يحفظ عليه الإيمان حتى يتوفاه عليه قال : فقال لي :

قل: إلهي بحرمة الحسن وأخيه وجده وبنيه وأمه وأبيه نجّني من الغم الذي أنا فيه يا حيّ يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام أسألك أن تحيي قلبي بنور معرفتك يا الله يا الله يا أرحم الراحمين .

٢٥ – توسل الشافعي بآل البيت :

ذكر ابن حجَر المكي في كتابه المسمى : بالصواعق المحرقة لإخوان الضلال والزندقة أن الإمام الشافعي رضي الله عنه توسل بأهل البيت النبوي حيث قال:

آلُ النبيّ ذريعتي ... وهمُ اليه وسيلتي
أرجو بهم أعطى غداً ... بيدي اليمين صحيفتي

٢٦ – توسل الشافعي بأبي حنيفة عند ضريحه :

قال ابن حجر المكي في كتابه المسمى (بالخيرات الحسان) في مناقب أبي حنيفة النعمان في الفصل الخامس والعشرين أن الإمام الشافعي أيام هو ببغداد كان يتوسل بالإمام أبي حنيفة رضي الله عنه يجيء إلى ضريحه يزور فيسلم عليه ثم يتوسل إلى الله به في قضاء حاجاته .

٢٧ - أرأيتم ... لو كان لأحدكم حاجة عند كبير من المخلوقين ، أما كنتم توسطون له فيها أحداً من خواصه الذين لهم دالة عليه ، فيدخل عليه ، ويكلمه بشأنها فتقضى هذه الحاجة لديه ؟ ستقولون نعم... فنقول : وهكذا نحن نوسط إلى الله تعالى أنبياءه وأولياءه ، وأصفياءه لتقضى حوائجنا عنده ... فما بالكم أقمتم الدنيا علينا وأقعدتموها ..؟

وبعد : فها نحن قد سردنا لكم ما نعتمده من الآيات القرآنيـة والأحاديث النبوية الصحيحة ، والحجج المنطقية في جواز التوسل بذوات المخلوقين عسى أن تقتنعوا بها ... وينتهي هذا الخلاف بيننا . والحمد لله رب العالمين .

ثم قالوا :

ولعلكم إذا أنعمتم النظر في أدلتنا العديدة ، التي أوردناها عليكم... ترجعون عما يجول في خواطركم من تسفيه التوسل بالصالحين ، وتسفيه القائلين به ... بل وتكفيرهم أحياناً !! متجاهلين التدهور في الدين والأخلاق ، والإقبـال على المنكرات التي تقترف علناً في الشوارع والطرقات ... كأن الأمر لا يهمكم ، ولا يوجد منكر في نظركم إلا بحث التوسل الممنوع فأقمتم النكير عليه وعلى أهله !!؟ بينما أعداء الأمـة ، يفرحون بهذا النزاع المستمر ، ويستغلونه إلى أبعد حدود الاستغلال ... أيجوز أن نفتح في صفوفنا ثغرات تمكن عدونا أن يخلص الينا منها ...؟

يجب أن تنتبهوا إلى هذه الأخطار ، وتكفّوا عن طرح هذه المواضيع.. وهذا على افتراض أنكم محقّون فيما تذهبون اليـه ، فكيف بكم وأنتم لستم كذلك ...!!؟ وخاصة بعد ما اطلعتم على حججنا وبراهيننا الناطقة بثبوت صحة التوسل الذي منعتموه ... وفي هذا القدر من الكلام حول هذا الموضوع كفاية ، ونأمل أن تسلموا للحق الذي أطلعتم عليه وتوقنوا به . علنا نعود - إن شاء الله صفاً واحداً ونعود كما وصفنا الله في كتابه العزيز :

(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) آل عمران .

هذا ... ما قاله « القوم !!!؟ » ولكن لن نردّ عليهم بأكثر من أن نرفع الأعصبة عن أعينهم ونريهم أن الذي ظنوه حججاً وأدلة ... وأدلوا بها ليثبتوا صحة مدّعاهم من جواز التوسل الممنوع ليست حججاً ولا براهين ولا أدلة إنما هي الشبه ُلبِّستْ عليهم ، وسوّلت لهم وُحسِّنت في أنظارهم ... فظنوها مستندات شرعيةً ... وسيزدادون أمام الناس هبوطاً ، لأنهم – مع الأسف – لم ينتقوا من الأدلة إلاّ التي هي عليهم وظنوها بجهلهم أنها لهم وإن سائر أدلتهم.. موضوعة ومكذوبة وأعلاها مرتبة ما هو شديد الضعف ، الذي لا يعذر أحد بالجهل به . ولكن هكذا يفعل التقليد بأصحابه ، فيرديهم الهلاك ، وهم لا يشعرون . وما داموا قد شاءوا لأنفسهم هذه النتيجة ... فلن نكون أرحم بهم من أنفسهم.هذا من جهة بيان أخطائهم ، ولكنّ موقفنا منهم ، أي من حيث تعرية أدلتهم وإظهار حقيقتها ، إنما هو رحمة بهم حتى يعلموا أن هذه الأدلة التي زعموها أدلّة !!! ليست إلا أصابع تشير إلى جهلهم ، لينظرَ الناس إليهم على حالهم المكشوفة ... فيعدّلوا من أوضاعهم. وليس عيباً على المرء أن يخطىء.. إنّما العيب كل العيب أن تعرف نفسك أنك مخطىء وتستمرّ في خطئك. ولا شك أن كل ابن آدم خطاء ولكن خير الخطائين التوابون .

ولنا الثقة بالله تعالى أن يهديهم إلى الحق ... فيتخذوه مسْلكاً قويماً ومنهجاً سليماً ، وصراطاً مستقيماً .

هذا ولنبدأ بازاحة الأستار عن تلك الشبه ، والكشف عنها وإننا لسوف نريهم في أعينهم كيف تتهافت حججهم ، وتتلاشى أدلتهم ...!! بل وتضمحل شبههم وتذوب نهائياً كما يذوب الملح في الماء .

(بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق) /٨١/ الأنبياء .

وسيبقى الحق دائماً حجة قائمة لله على عباده إلى أن يقوم الناس لربّ العالمين والحمدلله أولاً وآخراً كما يحبُّ ربنا ويرضى .

كشف الشّبُهات

وتحقيق في صحة أدلة الخصوم

لقد أورد « القوم ... » ثلاثَ آيات قرآنية ، وسبعة وعشرين حديثاً وقولاً، كأدلة على صحة وشرعية التوسل بذوات المخلوقين – زعموا –

ليس المهم إيرادَ الآيات والأحاديث لإثبات شرعية أمرٍ ما ... إنما المهم أن تكون هذه الآيات والأحاديث واردة في محالها وفي مناسباتها ، وخاصة منهـا الأحاديث ... فمن المعلوم عند أهل العلم انـــه ليس كل ما يرد من الأحاديث صحيحاً ... ففيهـا الصحيح والضعيف وشديد الضعف والموضوع والمكذوب والباطل الذي لا أصل له ... وليس كل من يورد حديثاً مـا ... يعلم صحته أو درجته ، فقد يورد أحاديث وتكون صحيحة مثلا ولكن لا تؤيـــد الوجهة المستشهد بها ، وقـــد تؤيد وجهة نظره ولكنها ضعيفة أو موضوعة ... أي لا تقوم بها حجة ، ولا ينهض بها دليل .

إذاً... فمجرد إيراد الأحاديث لا يقدّم في الموضوع ولا يؤخر فيه شيئاً ... إلاّ إذا كانت صحيحة في ذاتها ... وفي الاستشهاد بها، عندها تصلح دليلاً وتثبت بها الحجة.. وعلى هذا الأساس سيكون النظر في الأدلة الواردة من « القوم . . » هذا النظرَ المبني على القواعد العلمية المعترف بها ، وعلى الأسس التي اتفق عليهـا أهلُ العلم فإن كانت مطابقةً لهذه القواعد والأسس ، حمدنا للقوم ... صنيعهم ، وأضفنا معلوماتهم إلى معلوماتنا أو صححنا معلوماتنا على أساس ما صح عندهم من الأحاديث وندعو لهم بالخير لأنهم دلونا على علم جديد وخير جديد . أمـا إذا كانت غير ذلك ... فنحن في حلٍ منها ... ومن الاستشهاد بها .

ولنبدأ أولاً بالآيات الكريمة التي أوردوها . فإنه لا شك في الآيات فهي كلام الله تعالى .. ولكن هل كان استشهادهم بهـــا صحيحاً ... وتصلح أن تكون حجة لهم في الموضوع المختلفين فيـه ...؟ وها نحن أولاء نورد الآية الأولى التي استشهدوا بها على صحة التوسل بذوات المخلوقين .

الدليل الأول

قوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾﴾ المائدة

يقول الله تعالى آمراً عباده المؤمنين بتقواه ، وهي إن قرنت بطاعته كان المراد بها الإنكفاف عن المحارم وترك المنهيات (وابتغوا اليه الوسيلة) قال ابن عباس : الوسيلة هي القربة وكذا قال مجاهد وأبو وائل والحسن وقتادة والسدي ، وابن زيد وغيرهم وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة ، لا خلاف بين المفسرين فيه على أن الله سبحانه وتعالى يعلمنا ويوجهنا في تعيين نوعية الوسيلة والقربة اليه وهي : الإيمان به وتقواه وطاعته والجهاد في سبيله وهذا هو طريق الفلاح الموصل اليه تعالى والتمتع بالنظر إلى وجهه الكريم في فراديس جنته التي أعدها الله للمتقين . فأين هنا حجة القوم في التوسل بذوات المخلوقين ... !!؟

لو أن الخلاف بيننا قائم على إثبات التوسل أو انكاره إطلاقاً بمعنى أنهم مثلا يثبتون مبدأ التوسل ونحن ننكره لا سمح الله... لقلنا هذه الآية حجة في إثبات أصل التوسل. ولكن لسنا مختلفين على هذا ... إنما اختلافنا على شرعية التوسل بذوات المخلوقين أو عدم شرعيته ، فهم يقولون بشرعيته ونحن نقول بعدم ذلك... فهل هذه الآية الكريمة ، أثبتت شرعية التوسل بذوات المخلوقين أم انها أثبتت شرعية التوسل بالأعمال الصالحة ، من الإيمان ، والتقوى ، والجهاد في سبيل الله !؟

الجواب واضح ويقوله كل من قرأ هذه الآية الكريمة ويثبت أن الله تعالى أمر

بالتوسل اليه ، والتقرب منه ... بالإيمان والتقوى والجهاد في سبيله . وليس فيها للتوسل بذوات المخلوقين أيُّ تلميح فضلاً عن التصريح ..

وفي الحقيقة ... ان هذه الآية حجةٌ لنا ... لا لهم . وقد سبق أن استشهدنا بها على شرعية التوسل بالأعمال الصالحة ، في أول الكتاب .

ومع ذلك ... نكون لهم من الشاكرين ، إذا تفضلوا ووضعوا أصبعهم ، مشيرين إلى موضع الشاهد منها الذي يؤيد مدّعاهم ... ولكننا نجزم بأنهم لا يستطيعون ، لأنها خالية ممّا يدّعون . ولكن لماذا احتجوا بها ..؟ هذا ما لا أستطيع الإجابة عليه ... لأنني لست مسؤولاً عنه .

ولما كانت هذه الآية لا تؤيد شرعيّة التوسل بذوات المخلوقين ، ولا تمتُّ بأية صلة إلى الموضوع ... لذا فقد سقط الاحتجاج بها ، لمّا سقط بها الاستشهاد يضاف إلى ذلك ... إن الآية تصلح حجةً لخصومهم عليهم . لا حجة لهم .

الدليل الثاني

قوله تعالى :

﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۝٥٦ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ۝٥٧ ﴾

إن هاتين الآيتين نزلتا في نفر من العرب ، كانوا يعبدون نفراً من الجن . . . ! فأسلم الجنيّون ، أما الإنس الذين كانوا يعبدونهم ، لم يعلموا بإسلامهم . فأنزل الله على عبده ورسوله محمد ﷺ مخبراً بذلك فقال عز من قائل **(قل ادعوا الذين زعمتم من دونه)** أي اعبدوهم ما شئتم **(فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً)** أي أن الشيء الذي تبغونــه منهم من كشف الضر أو النفع فإنهم لا يملكونه . . . بل هو من خصائص الله تعالى. لا سيما وإن **(أولئك الذين يدعون)** أي ان الذين يعبدونهم قد أسلموا . . . وإنهم يتنافسون فيما بينهم ، ويتسابقون في فعل الطاعات لله أيهم يكون أقرب من أخيه إلى الله بفعله هذه الطاعات ليفوز من الله بالرضى **(يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذوراً)** أي أنهم يتقلبون بعبادتهم لله تعالى بــين رجاء رحمته ، وخشية عذابــه الذي يجب على الجميع أن يُحذر منه . أي : أيها الذين تعبدون أولئك الجن . . . انظروا كيف انهم آمنوا بالله تعــالى وأنقذوا أنفسهم من الشرك ، ويتسابقون في مرضاته تعالى بالعمل الصالح ويتوسلون بــه اليه سبحانه . أفلا يدفعكم حالهم التي هم عليهــا إلى الفهم بأن هؤلاء ليسوا آلهة تعبد ، ولو كانوا كما تظنون لما عبدوا غيرهم . . . أفلا تعبدون مــا يعبدون . . .؟

استعملوا عقولكم فلعلها تدلكم على الحق ، لأن الإله الذي كنتم تعبدونه ... أصبح يعبد غيره ، أفيكون هذا الذي يعبد غيره عابداً أم معبوداً ...؟ لا بل هو عابد وليس معبوداً ... فكيف تعبدونه ؟ لا سيا وإنه يرجو رحمة ربه ويخاف عذابه ، ويحاذر أن يقع فيه . هذا هو معنى الآية ... فأي استشهاد لكم فيها على دعواكم ؟ وأي احتجاج بها على ما تذهبون اليه من القول بجواز التوسل بذوات المخلوقين ...؟

يا ناس إن الآية واردة في موضوع الحض على أفراد العبادة لله وتوحيده، وأنتم في موضوع التوسل بذوات المخلوقين فأين موضوع الآية من موضوعكم ...؟ إذاً فالآية تبحث في موضوع مستقل عن موضوعكم فكيف تستشهدون بها في بحث لا يمت لبحث الآية بصلة ...؟

لعل وجود لفظة « الوسيلة » دفعكم إلى الظن بأن الآية لها علاقة ببحثكم...؟ ألمجرد وجود لفظة « الوسيلة » يفهم أن البحثين لهما صلة ببعض ... أما قرأتم الآية وتفسيرها...؟ أما انعمتم النظر والفهم بمعانيها ..؟ أهكذا تستشهدون..؟

كان أولى بكم مراجعة الموضوع ودرسه ..ثم افتراض ورود بعض الإشكالات عليه ... ثم العمل على رد هذه الإشكالات بالادلة الشرعية .

وإن رأيتم أن هذا الاحتجاج لا ينهض دليلاً لإثبات وجهة نظركم ، فيمكن الاستغناء عنه .. وهذا خير من إيراده بلا مراجعة أو درس،فتكونون قد فتحتم للخصم باباً للرد عليكم . وخسرتم دعواكم .

وعلى كل فان استشهادكم هذا .. جاء في غير محله ولا علاقة له بالموضوع الذي ترغبون إثباته .فسقط استدلالكم ولم تعد هذه الآية صالحة لأن تكون مستنداً لكم على صحة دعواكم. فلا أدري إذا كنتم تريدون أن تفتشوا عن دليل آخر تثبتون دعواكم من جديد ... فلا بأس وإننا لمنتظرون .

الدليل الثالث

قوله تعالى :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ
وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ النساء

يقول تعالى : (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع باذن الله) أي فرضت طاعته على من أرسلته اليهم ، ولا يطيعه إلا من وفقته لذلك . وقوله تعالى : (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك ...)الآية .. يرشد تعالى العصاة والمذنبين والكفار والمنافقين ويحضّهم أن يأتوا مجلس رسول الله ﷺ ويستغفروا الله عنده ويسألوا الرسول أن يستغفر لهم فإنهم إذا فعلوا ذلك ، تاب الله عليهم ورحمهم وغفر لهم. ولهذا قال تعالى (... لوجدوا الله توابا رحيما) هذا هو معنى الآية الكريمة ، ولا يخفى على القارىء المسلم الكريم أن هـذا خاصٌ في حياته ﷺ . وهذه الملاحظة يدركها من قوله تعالى : (واستغفر لهم الرسول) وبدهي أن لا يكون الاستغفار منه ﷺ إلاّ في حال حيـاته ... لأن الاستغفار وكل عمل للانسان ينقطع بعد الموت ، لقوله ﷺ : [إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاّ من ثلاث ... صدقة جارية ، وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له] . ولا شك أن رسول الله ﷺ يشمله هذا الحديث لأنـه ولا ريب من بني آدم . وقـد قضى الله عليه الموت والتحق بالرفيق الأعلى ، ففهم من هذا... أن ما جاء في هذه الآية من مجيء المذنبين إلى مجلسه واستغفارهم فيه ثم سؤالهم رسول الله أن يستغفر لهم ، كل هذا ... خاصٌ في حال حياته ، ولا علاقة في هذا الحكم لأحد بعد مماته ﷺ

لأن كل عمل من دعاء واستغفار وكلام وسمع وبصر وما يتعلق من صفات الأحياء ينقطع بالموت .

وقد وجد للصحابة أمور مختلفة بعده، كان من الضروري أن يأتوه.. ويستغفروا الله عنده ثم يسألوه أن يستغفر لهم ... ولكن شيئاً من مثل هذا ... لم يحصل ألبتة لعلمهم أنه توفي ... ولم يعد باستطاعته أن يعمل شيئاً مما كان يستطيعه قبل الوفاة، هذا معروف وبدهي عند كل إنسان.. ناهيك عن المسلمين الذين يقرأون في كتاب الله تعالى : (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم) وقوله تعالى : (كل نفس ذائقة الموت) وما من أحد من المسلمين يشك في أن رسول الله ﷺ قد توفي وإلاّ فمن هذا الذي نزور مسجده بالمدينة ثم نزور قبره ونسلم عليه ؟ اللهم اجز عنا نبينا محمداً ﷺ ما هو أهله الأصل في إيراد الدليل والحجة في أي أمر ما ... هو إثبات صحة ذلك الأمر وإن الذين يقولون بالتوسل إلى الله بذوات المخلوقين أتوا بهذه الآية من جملة حججهم على شرعية التوسل الذين يقولون به .

على أننا إذا أنعمنا النظر في معنى الآية الكريمة لا نرى فيها لا تلميحاً ولا تصريحاً لما ذهبوا إليه . لأن قصدهم منصرف إلى إثبات شرعية التوسل بذوات المخلوقين والآية تبحث بشأن آخر وهو : إن الله يصف فيها واقع حال المنافقين في زمن رسول الله ﷺ . فقد كانوا يصدون عن متابعة رسول الله ﷺ وإذا احتاجوا اليه في أمر من الأمور ، يأتون اليه معتذرين ويحلفون: ما أردنا بذهابنا إلى غيرك إلاّ مداراة ومصانعة ، لا اعتقاداً منا بصحة احتكامنا إلى الطاغوت وقد أمر الله نبيّه ﷺ ، ألاّ يعنفهم ، ويكتفي بما ادعوا من ظاهر حالهم ... ثم ينصحهم سراً بقول وكلام بليغ ...

هؤلاء هم الذين نزلت في حقهم هذه الآية فقال عز من قائل : (ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم) أي ظلموها بنفاقهم وعدم متابعتك (جاؤوك) أي جاؤوك تائبين من نفاقهم (واستغفروا الله) أي دللوا على توبتهم من نفاقهم بأن جاؤوك واستغفروا الله في مجلسك وأمامك (واستغفر لهم الرسول) أي سألوك أن

تستغفر لهم بالإضافة إلى استغفارهم . إن فعلوا ذلك عن إيمـــان وإخلاص (لوجدوا الله توابا رحيما) أي وجدوه قابلاً لتوبتهم غافراً لذنوبهم رحيماً بهم. فأي علاقة لمعنى هذه الآية بما استشهدوا واحتجوا بها على صحة وجواز التوسل إلى الله تعالى بذوات المخلوقين ....؟!

أجل لا علاقة لما جاء في الآيـة ، بما أرادوا من الاحتجاج به،ولذا يسقط الاحتجاج بالآية لأنهم احتجوا بها في غير موضع الاحتجاج وبما لا علاقة له به . فإن قالوا : وكيف لا علاقة باحتجاجنا بالآية والذي نقول به هو واقع الآية تماماً فهم استغفروا الله عنده ونحن نستغفر الله عنده . هم سألوه أن يستغفر لهم، ونحن نسأله أن يستغفر لنا فأي فارق بين الواقعين .

فنقول وبالله المستعان ان الفارق ظاهر وكبير جداً ولا قياس بـين الواقعين واليكم البيان :

١ً ـ فقوله تعالى : (ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤوك) فـ /لو/ كما يقول النحويون : حرف امتناع لامتناع أي امتنع المجيء والاستغفار ، فامتنعت التوبة والرحمة واننا نسأل : هل جاءوا ؟ هل استغفروا الله في مجلس رسول الله ...؟ هل سألوا رسول الله ﷺ أن يستغفر الله لهم ؟ ثم هل استغفر لهم بالفعل ...؟ كل هذه الأسئلة ، لم تحدثنا الآية بأجوبة عنها بل قالت : (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك) فـ / لو / هنا لا تفيد أنهم جاءوا...وإذا لم يجيئوا إلى الرسول فكيف يستغفرون الله في مجلسه ؟ فقد امتنع المجيء فامتنع الاستغفار في مجلسه ﷺ ، وإذا لم يستغفروا الله في مجلسه وامتنع بعدم مجيئهم ، فكيف يسألون الرسول أن يستغفر لهم ، وإذا لم يحضروا ويستغفروا الله في مجلسه ويسألوه أن يستغفر الله لهم فكيف يستغفر الرسول لهم ...؟ إذاً ... كل هذا قـد امتنع ، فامتنعت التوبة من الله عليهم والرحمة منه تعالى بهم . فكيف تقيسون واقعاً لفعلونه أنتم...على شيء لتخيلون وقوعه، وفي الحقيقة:إنه لم يقع، بدليل الآية التي بعدها، وهي قوله تعالى: (فلا وربّك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما) فإن الله تعالى ينفي

عنهم الإيمان حتى يُحكّموا رسول الله ﷺ ، ولم يثبت أنهم حكّموا رسول الله ... بل ثبت أنهم حكّموا الطاغوت ومن يحكّم الطاغوت ليس مؤمناً . فقد ثبت عدم إيمانهم ، فكيف يأتون رسول الله ويستغفرون الله عنده إلى آخره إذا ثبت عدم مجيئهم إلى الرسول من ثبوت عدم إيمانهم .. وهكذا ثبت أنهم لم يجيئوا فكيف تقيسون مجيئكم اليه ﷺ على عدم مجيء .. فبهذا تقيسون واقعاً على عدم واقع.

وبرغم ما تقدم من تحليل صحيح فإننا نقول أن هذه الآية أي قوله تعالى : (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك ...) تفيد أنهم لو جاءوه واستغفروا الله وسألوا رسول الله أن يستغفر لهم الله لغفر الله لهم ولرحمهم ، ما في ذلك شك إذاً تفيد الآية أن من فعل ذلك كان له تلك التوبة والرحمة . ولكن متى ...؟ نعم يحصلون على ذلك ولكن إن فعلوا ذلك حال حياته ... فهل هو الآن حيٌّ نعم حتى تذهبوا اليه وتكلّموه أن يستغفر لكم الجواب: لا ... لأنه ميت لا يتكلم ولا يستغفر، وقد انقطع عمله بموته كما أخبرنا هو ﷺ ... إذاً كيف تقيسون حالة موته على حال حياته ...؟ وهل يستقيم قياس بينهما ...؟ وإننا علمنا أن ذلك خاص في حياته من قوله تعالى : (. . واستغفر لهم الرسول) ولا يستغفر إلا إذا كان حياً ، ففهم أن الأمر خاص به حال حياته . فما أظن أحداً يفهم من الآية غير ما فهمنا. ولم يقل بقولكم أحد من الصحابة ولا التابعين ولا القرون الخيّرة ، ولا أي من العلماء الذين يسيرون على نهج النبوة .

ولكنه حياة برزخية

وعلى افتراض أنه بالإمكان استغفار الرسول ﷺ بعد وفاته ، فليس في الآية ما يدلُّ على دعواكم بجواز التوسل إلى الله بذوات المخلوقين ، فالآية تدل على التوسل بدعاء الرسول واستغفاره لهم ، لا على التوسل بذاته وشخصه ﷺ. مع العلم أن نزاعنا قائم على جواز التوسل بذوات المخلوقين ، أو عدم الجواز ، لا على استغفار الرسول لهم وجوازه أو عدم جوازه ، إذاً فليس في الآية حجّة على شرعية التوسل بذوات المخلوقين. وعلى هذا: يسقط أيضاً احتجاجكم بالآية وتبقى دعواكم بلا دليل ، وكل دعوى بلا دليل ساقطة ولا قيمة لها . وهذا الافتراض الذي افترضناه انقطع بوفاته ﷺ ولم يعد حكمه قائماً لانتفاء حياة الرسول ،

وإذا انتفت حياته ، انتفى دعاؤه صلى الله عليه وسلم لأنه حياته برزخية

وما أظن هذا .. إلاّ من البدَهيات التي لا يختلف فيها اثنان ، ومن المسلّمات التي لا تحتاج إلى نقاش ... ولا إلى أخذ ورد .

فما بالكم تتخذون من هذه الآية حجة لكم على جواز التوسل بذوات المخلوقين؟ فان كنتم لا تزالون تقيسون مماته على حياته ... !!! فهذا كما قلنا آنفاً قياس مع الفارق ، للتباين الحاصل بين واقعي الحياة والموت. على أن إصراركم على اعتبار مماته وحياته سيان .. !! لا يقدّم ولا يؤخّر من الواقع شيئاً ، فلا عبرة ولا قيمة لإصراركم التافه .

وكل ما تقدم من بحث ... يثبت أن احتجاجكم بالآية المتقدمة ، لا ينهض دليلاً على ادعائكم بجواز التوسل بذوات المخلوقين بل لا علاقة به البتة ولم يثبت ادعاؤكم بل سقط لأنه لا أساس له ولا مستند له ، فانهار لأنه ادّعاء غير شرعي بل هو ابتداع ما أنزل الله به من سلطان . ونأمل أن تتوبوا إلى الله منه إنه هو التواب الرحيم .

استشهادهم في الآيات كان في غير محله

تلك آيات ثلاث .. استشهدوا بها على شرعية دعواهم بجواز التوسل بذوات المخلوقين ولكنهم خسروا دعواهم ، لأن استشهادهم كان في غير محله ، أي استشهدوا بآيات لا تمتُّ مواضيعها ومضامينها بأية صلة من قريب أو بعيد إلى موضوع جواز التوسل بذوات المخلوقين. فحريٌّ بمن يستشهد بمثل هذا الاستشهاد أن تسقط دعواه ويخسرها لأنه لم يستطع أن يثبتها .

على أنهم قدموا بالإضافة إلى الثلاث آيات المشار اليها ، اثنين وعشرين حديثاً وبيتاً واحداً من مرثية صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ ، ورؤيا للإمام الترمذي ، وخبرين عن الشافعي رضي الله عنه . وأن كل ما تقدم من أحاديث وأقوال أخرى ، قدّموها استشهاداً واحتجاجاً بها على شرعية التوسل بذوات المخلوقين الذي سميناه بالتوسل الممنوع .

على أن هذه الأحاديث التي قدموها .. سوف نتحقق من صحتها أو عدم ذلك، على القواعد العلمية الحديثية ، ونرى ماذا قال فيها أهل العلم تعديلاً وتجريحاً فما كان صحيحاً أخذناه ، أو غير صحيح أبيناه ، وبينّا علله . ونرجو الله تعالى أن لا نبتغي إلاّ وجه الحق ، ولو كان على أنفسنا ، ولا يمنعنا عن نصرة الحق أي اعتبار. ومهما كان خصمنا عظيماً في نظره أو في نظر الناس ، سنواجهه بالحق الذي يعلو ولا يعلى عليه. فما من عظيم إلاّ والحق أعظم منه ، فلو كان الحق ينادي

به طفل لأيّدناه ونصرناه . ولو نادى بالباطل عظيم لحاربناه وخذلنـاه فالحق أحق أن يتبع ويؤيد وينصر .

نسأل الله تعالى أن يسدد خطانا ويهبنا رشدنا وأن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه ويحببنا فيه ، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه ويكرهنا فيه . إنـه سميع قريب مجيب الدعاء .

أدلتهم الحديثية

وها نحن أولاً ، نجري البحث على الأحاديث التي احتجوا بهـا على شرعية التوسل إلى الله بذوات المخلوقين ! وننظر فيها بناءً على ما قرره الثقاة الأعلام، والأئمة الأثبات من جهابذة علم الحديث .. فإن أقروا صحتها ،نأخذْ بها ونُضف إلى علمنا علماً جديداً ، ونشكر للذين احتجوا بهـا حسن صنيعهم ، وندعُ الله لهم أن يجزيهم عنا كل خير ، ويجزل لهم الثواب بمـا يستحقون ، وفوق مـا يستحقون .

وإن نفى أهل العلم صحتها ، بما لديهم من الأدلة على ذلك . . فإنا نضيف إلى من زعموا صحتها علماً جديداً إلى علمهم ، بأنها غير صحيحة ، ولا يُحتجُّ بها ولا يستشهد . فيعلمون هـذا ... ويدعون لنا بالخير ، وبأن يثيبنا الله على ذلك بما نستحق وفوق ما نستحق ... بفضله ومنه وكرمه .

ونكون في نفس الوقت أذعنا على المؤمنين علماً بالأمر ... حتى يكونوا على بينةٍ منه فنجنّبهم بذلك ، أوزاراً قد يحملونها ... وأوزاراً من أوزار الناس الذين أخذوا بها اعتقاداً وعملاً ، قد يحملونها فوق أوزارهم ... لأنهم كانوا سبباً لذلك ... وهكذا ... فإن العلم الصحيح نورٌ يستضاء به في ظلمات الجهل ، بل يبدّد ظلماته ، فلا يبقى مع النور ظلمة ، ولا مع العلم جهل ، ولا مع اليقين شك.

نسأله تعالى العون والسداد ، والتوفيق والرشاد ، إنه على كل شيء قدير .

الحديث الأول

اللهم بحق السائلين عليك

عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ :

[ما خرج رجل من بيته إلى الصلاة فقال : « اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشايَ ... فإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياءً ولا سمعةً ، خرجت إتقاء سخطك ، وابتغاء مرضاتك . أسألك ان تنقذني من النار ، وان تغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلاّ أنت » . إلاّ وكّلَ الله بــه سبعين ألف ملك يستغفرون له ، وأقبل الله عز وجل عليه بوجهه حتى يفرغ من صلاته] .

رواه ابن ماجه .

الكلام على هذا الحديث

إن هذا الحديث ضعيف . وقد تكلم فيه أهل العلم بالحديث ، وحكموا عليه بالضعف لأن في سنده عطية بن سعيد العوفي .

قال الذهبي : ضعيف . وقال أبو حاتم : يكتب حديثه ضعيفاً . وقال سالم المرادي : كان عطية يتشيع . وقال ابن معين : صالح . وقــال أحمد : ضعيف الحديث . وبلغني أن عطية كان يأتي (الكلبي) فيأخذ عنه التفسير وكان يكنيه بأبي سعيد !!!؟ فيقول : قال أبو سعيد ...!!! يوهم أنه أبو سعيد الخدري... ! قال النسائي : ضعيف. وقال ابن حجر : صدوق يخطىء كثيراً ، شيعي مدلّس من الثالثة مات سنة ١١١ .

هذا هو واقع هذا الحديث وحاله... وإن عطية هذا... كما رأيتَه يا أخي، شيعي مدلس ضعيف !!! وان مثله لا يحتج بحديثه للعلل التي تأكدها فيه أهل الحديث.فحديث في سنده : عطية بن سعيد العوفي هو حديث محكوم عليــه بالضعف ولا يصلح أن يكون حجة وكل دعوى بصحته ... تظل دعوى مجردة عارية عن الدليل ، ولا يثبت به أي حكم .

وروى هذا الحديث أبو بكر بن السني في كتابه « عمل اليوم والليلة » وقال: حدثنا ابن منيع ، ثنا الحسن بن عرفة ، ثنا علي بن ثابت الجريري عن الوازع ابن نافع العقيلي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن جابر بن عبد الله ، عن بلال مؤذن رسول الله ﷺ قال : [كان رسول الله ﷺ إذا خرج إلى الصلاة قال : « بسم الله ، آمنت بالله ، توكلت على الله ، لا حول ولا قوة إلاّ بالله . اللهم بحق السائلين عليك ، وبحق مخرجي هذا ... فإني لم أخرج أشراً ، ولا رياءً ولا سمعة خرجت ابتغاء مرضاتك واتقاء سخطك ، أسألك أن تعيذني من النار وتدخلني الجنة . »]

هكذا رواه « ابن السني » عن بلال مؤذن رسول الله ﷺ . قال النووي في الأذكار : حديث ضعيف فإن أحد رواته « الوازع بن نافع » وهو متفق على ضعفه وإنه منكر الحديث . وقال الحافظ في شرح الأذكار بعد تخريجه من طريق ابن السنّي بهذا اللفظ : هذا الحديث واه . وقال الدارقطني : تفرد به الوازع وهو متفق على ضعفه وإنه منكر الحديث . قال الحافظ : والقول فيه أشدُّ من ذلك . وقال ابن معين والنّسائيُّ : ليس بثقة . وقال أبو حاتم : متروك . وقال الحاكم : روى أحاديث موضوعة ! وقال ابن عدي : أحاديثه كلها غير محفوظة . وقال البخاري : منكرٌ هذا الحديث . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : وهو ضعيف . وقال أيضاً وهو متروك ومجمع على ضعفه .

وهكذا تبين أن الحديث من كلا الطريقين ضعيف بل شديد الضعف ، مما لا يحتج به لما فيه من العلل المذكورة ... وكان كل مراد المحتجين به أن يثبتوا فيه صحة التوسل بذوات المخلوقين من قوله : « اللهم بحق السائلين عليك » قال بعض أهل العلم : « على فرض صحة الحديث فانه لا يؤيد مدعاهم لأن حق السائلين على الله أن يجيبهم لقوله تعالى « ادعوني استجب لكم » فكأنهم توسلوا الى الله تعالى بصفة الإجابة التي هي صفة من صفات الله ، وهذا من أعلى درجات التوسل المشروع . فإن قيل فأي فرق بين قول الداعي : بحق السائلين عليك وبين قوله : بحق نبيّك أو نحو ذلك ؟ فالجواب :

إن معنى قوله بحق السائلين عليك بالإجابة وأنا من جملة السائلين ، فأجب دعائي ، بخلاف قوله بحق فلان – فإن فلاناً وإن كان له حق على الله بوعده الصادق – فلا مناسبة بين ذلك وبين إجابة دعاء هذا السائل . فكأنه يقول : لكون فلان من عبادك الصالحين أجب دعاي ! وأي مناسبة في هذا وأي ملازمة؟ وإنما هذا من الاعتداء في الدعاء وقد قال تعالى : (ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين) /٥٥/ الأعراف .

وهذا ونحوه من الأدعية المبتدعة ،إذ لم يثبت عن النبي ﷺ ، ولا عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن أحد من الأئمة رضي الله عنهم ...

والدعاء من أفضل العبادات ، والعبادات مبناها على السنّة والاتباع لا على الهوى والابتداع » . اهـ

إن هذا القول على وجاهته ما لنا فيه من حاجة طالما الحديث غير صحيح.. فلماذا ... نفترض صحته ... ثم نجري هذه المناقشة ... فما دام الله قد عافانا منها فلماذا نحشر أنفسنا فيها فالحديث غير صحيح ولا يحتج به. وقد سقطت دعوى القوم فيه وكفى الله المؤمنين القتال .

وعلى هذا فان الحديث شديد الضعف، ولا تنهض به للقوم حجة. وبقيت دعواهم تحتاج إلى دليل لاثباتها، فليفتشوا عن دليل آخر فإن وجدوا فعلى الرأس، وإن لم يجدوا فإن الله قد فتح أبواب التوبة على مصاريعها فليلجْها من يشاء . والله هو التواب الرحيم .

الحديث الثاني

توسل آدم بمحمد عليهما الصلاة والسلام

روى البيهقي في كتابه المسمّى « دلائل النبوة » عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله ﷺ [لما اقترف آدم الخطيئة قال : يا رب أسألك بحق محمد إلا ما غفرت لي . فقال الله تعالى : يا آدم كيف عرفتَ محمداً ولم أخلقْه ؟ قال : يا ربّ إنك لمّا خلقتني ، رفعتُ رأسي فرأيتُ على قوائم العرش مكتوباً « لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله » فعلمت إنك لم تُضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك فقال الله تعالى صدقتَ يا آدم إنه لأحبُّ الخلق إليّ وإذا سألتني بحقّه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك] رواه الحاكم وصححه .

* * *

الكلام على هذا الحديث

لا شك في أن آدم عليه السلام ، قـد اقترف الخطيئة ... ولا شك أن الله سبحانه وتعالى غفر له خطيئته . إنما علينا أن نعلم الأسباب التي قام بها حق غفر الله له . هذا هو البحث الذي نود أن نعالجه ... ونقفَ على حقيقتـه ... حتى إذا تبنَّيْنا فكرةً ما ... يكون تبنّينالها صحيحاً ، له حجتُه وبرهانُه ودليلُه .

فمن أجل أن نحصل على نتيجة صحيحة مقطوع بها ، يجب أن نتبع طرقـاً صحيحة ، للحصول على نتائج صحيحة . ولما كنا نحن السلفيين نتبع منهجـاً معيّناً في البحث هو المنهج الذي سلـكنا إياه رب العالمين، وبلغنـا إياه رسوله الأمين ﷺ فسيكون نقاشنا لهـذا الحديث ... على أساس ذلك المنهج القويم ، والصراط المستقيم ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد . قال الله تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول إنْ كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا /٥٩/) النساء .

وقال ﷺ :

[تركت فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً كتاب الله وسنّتي] .

هذا هو منهجنا ومسلكنا في كل أمر، إذا وقفنا منه على مفارق الطرق ...

ونحن الآن ... قد تنازعنا مع القوم ... في تعيين نوع الوسيلة ، التي توسّل بها آدم عليه الصلاة والسلام ، حتى غفر الله له خطيئته. فالقوم ... يقولون إنه توسل إلى الله بمحمد ﷺ كما جاء في هذا الحديث الذي رمزنا اليه بـ (الحديث الثاني) والذي اتخذوه دليلا ، على جواز التوسل بالمخلوقين ، ونحن نقول بأن الله غفر له بكلمات تلقاها من ربه فتاب عليه . . ولم تكن المغفرة بسبب توسله بمحمد ﷺ ، مع العلم بأن محمّداً هو أشرف الخلق إطلاقاً . وعلى هذا الأساس نود أن نعيّن الكلمات التي تلقاها آدم من ربّه فتاب عليه. فنقول مستعينين بالله :

روى مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وأبو العالية ، والربيع بن أنس ، والحسن وقتادة، ومحمد بن كعب القرظي ، وخالد معدان ، وعطاء الخراساني ، أن هذه الكلمات التي تلقاها آدم من ربه هي قوله تعالى :

(قالا ربّنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفرْ لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين). /٢٣/ الأعراف .

قال سفيان الثوري عن عبد العزيز بن رفيع : أخبر من سمع عن مجاهد عن عبيد بن عمير أنه قال : قال آدم : يا رب خطيئتي التي أخطأت شيء كتبته عليّ قبل أن تخلقني ، أو شيء ابتدعته من قبل نفسي ؟ قال : بل شيء كتبته عليك قبل أن أخلقك . قال : فكما كتبته عليّ فاغفره لي . قال : فذلك قوله تعالى :

(فتلقّى آدم من ربه كلماتٍ فتاب عليه) .

وعن ابن عباس : قال آدم عليه السلام : ألم تخلقني بيدك ؟ قيل له : بلى . ونفختَ في من روحك ؟ قيل له : بلى . وكتبتَ عليّ أن أعمل هذا .. قيل له بلى . قال : أفرأيت إن تبت ، هل أنت راجعي إلى الجنة ؟ قال : نعم . وكذا رواه العوفي ، وسعيد بن جبير ، وسعيد بن معبد . ورواه الحاكم في مستدركه

إلى ابن عباس .

وروى ابن أبي حاتم حديثاً مرفوعاً شبيهاً بهذا ، عن مجاهد . قال : الكلمات : اللهم لا إله إلا أنتَ سبحانك وبحمدك ، ربي إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك خير الغافرين . اللهم لا إله إلا أنتَ سبحانك وبحمدك ، ربي اني ظلمت نفسي فتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم) .

قلت : كل ما تقدّم يؤيده ، قوله تعالى : (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) ومعنى هذا ... أن آدم وحواء اعترفا بذنبيها ، وجملا هذا الاعتراف الذي هو مضمون ما علّمهما الله سبحانه من التوسل وهو : (الاعتراف بالذنب) ثم طلبا المغفرة متوسلين اليه تعالى بتوبتيهما اليه ، أن يغفر لهما ذنبيهما فتاب عليهما انه هو التواب الرحيم .

ولا عبرة لما خالف ذلك ... لأن الحجة عما ثبت عن الصحابة وعن سلف الأمة والأئمة ، ولا يجوز تفسير القرآن بأقوال شاذة أو موضوعة لا تثبت عند أهل العلم والحديث ، وأئمة التصحيح والترجيح .

هذا هو اعتقادنا بأن تعالى غفر لآدم وحواء بالكلمات التي تلقاها آدم من ربه وهي : (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا . .)ودليلنا واضح جلي قرآنياً كان أو حديثياً كما تقدم ...

أما احتجاجهم بالحديث المتقدم الذي رواه البيهقي عن عمر بن الخطاب ... فانه ضعيف جداً وقيل موضوع واليك البيان :

الكلام على متن هذا الحديث :

إنّ متن هذا الحديث أي لفظه مخالف للكتاب والسنة وذلك من وجوه .

١ – سبق أن بينّا إن الإقسام على الله بمخلوقاته أمر خطير يقرب من الشرك ان لم يكن هو ذاته فالإقسام على الله بمحمد ﷺ وهو مخلوق بل وأشرف المخلوقين لا يجوز ، لأن الحلف بمخلوق على مخلوق حرام وإنه شرك لأنه حلف بغير الله ، فالحلف على الله بمخلوقاته من باب أولى أي جعلنا المخلوق بمرتبة الخالق ، والخالق بمرتبة المخلوق ، لأن المحلوف بـه أعظم من المحلوف عليه ولذلك كان الحلف

بالشيء دليلا على عظمته. وأنه أعظم شيء عند المحلوف عليه به. ومن هنا كان الحلف بالمخلوق على الله شركا بالله لأننا خصصنا هذه المكانة العليا بالمخلوق مع أنها هي بالخالق أولى ...

ثم إن آدم عليه الصلاة والسلام نبي رسول ومعصوم من أن يشرك إن كان ذلك قبل النبوة أو بعدها . فكيف يحلف آدم على الله بحق محمد ﷺ أفيتقرب إلى الله بخطيئة أعظم من الخطيئة التي يود غفرانها أو هل يمحو الخطأ بخطأ أعظم منه ...؟ فهذا لا يجوز على آدم لأنه معصوم منه .

٢ً – يقول في الحديث : [يا آدم وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه ؟ قال : يا رب إنك لما خلقتني رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً « لا إله إلا الله محمد رسول الله » فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق] .

ان هذا الكلام مردود من وجهين اثنين :

ا – هذا الحوار المزعوم بين الله وبين آدم ... كان بعد اقتراف الخطيئة ولكنه قبل أن يخطىء علمه الله الأسماء كلها ومن جملة الأسماء اسم محمد ﷺ وعلم أنه نبي ورسول وأنه خير الخلق أجمعين فكان أحرى أن يقول آدم : ربي إنك أعلمتني به أنه كذلك ... لما علمتني الأسماء كلها ...

ب – لم يرد أن قوائم العرش مكتوب عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله إلا في هذا الحديث الموضوع فكيف يثبت شيء غيبي بحديث موضوع .

٣ً – قول الحديث : [فقال الله تعالى : صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلي وإذا سألتني بحقه فقد غفرت لك] .

سبق أن قلنا آنفاً أن القسم بغير الله شرك لقوله ﷺ [من حلف بغير الله فقد أشرك] فكيف يعلّم الله عبده آدم الشرك ويقبله منه وسيلة يرضى عنها ليغفر له ...!!!؟ وهو الذي يقول وهو أصدق القائلين : (ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر) /٧/ الزمر .

فاذا كان لا يرضى الكفر لعباده فهل يرضى أن يعلمهم الكفر ...!!!؟ سبحانك هذا بهتان عظيم .

٤ً – قول الحديث أن الله تعالى قال له : [ولولا محمد ما خلقتك] .
هذا قول ننزه الله تعالى عنه ، وحاشاه سبحانه أن يقوله ، بدليل :
١ً – قوله تعالى : (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) .
٢ً – قوله تعالى : (الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً) /١٢/ الطلاق[1] .

إن من يمعن النظر في معنى هاتين الآيتين الكريمتين يفهم منهما : أن علة الخلق وأسباب الوجود ، إنما من أجل عبادة الله وحده لا شريك له . لا من أجل أحد من خلقه ... لا نبي مرسل ، ولا ملك مفضل ، ومن أجل أن يعلم العباد ان الله على كل شيء قدير ، ولا يخفى على علمه شيء في الأرض ولا في السماء .

فأين ما جاء في هاتين الآيتين ، ممّا جاء في كلامهم (ولولا محمد ما خلقتُك)؟ وكل كلام يخالف ما جاء في الكتاب والسنة فإنه كلام ساقط، وهذا ما لا خلاف فيه فإذا اتضح هذا .. علم أن من قال : هذا الحديث إنما يكذب على الله وعلى رسوله وعلى آدم . وان من يحتج به إنمـا يحتج بالكذب ... ! وهل في الكذب حجة ...؟!!! اللهم عامل الكذابين بما يستحقون .

ومما يزيد الطين بلة ... !! أنهم يريدون – رغم ذلك – أن نصدق أحاديثهم الكاذبة الباطلة .. ! أو نتخذها أساساً في عقائدنا ، ونترك قول ربنا !!!؟ وإذا لم نفعل ... فما أسرع ما يتهموننا بأننا لا نحب رسول الله ... !!!؟

وكما يقول المثل (رمتني بدائها وانسلت) نحن الذين نلقى ما الله به عليم في سبيل إرجاع هذا الدين الكريم ،إلى منبعيه الأصليين الكتاب والسنة ، ونتمسك بكل ما جاء بهما يرموننا بأننا لا نحب رسول الله إذا أبينـا ترهاتهم وأحاديثهم الكاذبة . وهم يخالفون الكتاب ، وسنة من يدّعون حبّه .. ولا يعملون بهما ، ويخترعون من الأحاديث ما يعلم كذبه من أول وهلة متناً وسنداً ... ثم يدّعون أنهم يحبون الله ورسوله. نحن لا نجيبهم إلا بقوله تعالى : (قل إن كنتم تحبون

(١) لنا رسالة مطبوعة متعلقة بهذا البحث اسمها (محمد أفضل الخلق لا أول الخلق)

الله فاتبعوني يحببكم الله) وفي هذا بلاغ .

هذا من ناحية متن الحديث، والبحث في لفظه، فقد أثبتنا أنه باطل مكذوب، لأنه يتضارب مع أحكام الكتاب والسنة . وها نحن ذا نبحث في هذا الحديث من ناحية سنده وما قال علماء الحديث فيه .

البحث في سند الحديث

هذا الحديث في سنده (عبد الرحمن بن زيد بن أسلم). هو ضعيف، وتصحيح الحاكم له خطأ لأنه هو الذي طعن بعبد الرحمن بن زيـــد بن اسلم في كتابه « الضعفاء » قال ابن تيمية رحمه الله :

ورواية الحاكم لهذا الحديث مما أُنكِرَ عليه . فإن نفسه قد قال في كتابه (المدخل إلى معرفة الصحيح من السقيم) : (عبد الرحمن بن زيد بن أسلم روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا يخفى على من تأملهـا من أهل الصنعة ان الحمل فيها عليه) .

وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى :

وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف باتفاقهم ، يغلط كثيراً . ضعفه أحمد ابن حنبل وأبو زرعة ، وابو حاتم ، والنسائي ، والدارقطني وغيرهم . وقـال ابو حاتم بن حبان كان يقلب الأخبار ، وهو لا يعلم ، حتى كثر ذلك من روايته من رفع المراسيل واسناد الموقوف فاستحق الترك .

انفراد الحاكم بالتصحيح لا عبرة له

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى : وأما تصحيح الحاكم لمثل هـــذا الحديث وأمثاله . . فهذا مما أنكره عليه أهل العلم والمعرفة بالحديث . وقالوا : إن الحاكم يصحح أحاديث وهي موضوعة مكذوبة عند أهل العلم والمعرفة بالحديث كما صحح حديث زريب بن برثملي الذي فيه ذكر (وصي المسيح) وهو كذب باتفاق أهل المعرفة . كما بيَّن ذلك البيهقي وابن الجوزي وغيرهما .

وكذلك أحاديث كثيرة في مستدركه يصححها وهي عند أهل العلم بالحديث

موضوعة . ومنها ما يكون موقوفاً يرفعه . ولهـــذا كان أهل العلم بالحديث ، لا يعتمدون على مجرّد تصحيح الحاكم ، وإن كان غالب ما يصححه فهو صحيح . لكن هو في المصححين ، بمنزلة الثقة التي يكثر غلطه ، وإن كان الصواب أغلب عليه ، وليس فيمن يصحح الحديث ، أضعف من تصحيحه ... بخلاف أبي حاتم ابن حبان البستي ، فإن تصحيحه ، فوق تصحيح الحاكم وأجلّ قدراً . وكذلك تصحيح الترمذي والدارقطني وابن خزيمـة وابن منده وأمثالهم فيمن يصحح الحديث . فإن هؤلاء وإن كان في بعض ما ينقلونه نزاع فهم أتقن في هذا الباب من الحاكم . اهـ

فائـــدة ...

اتفق العلماء ، على أن الحاكم إذا انفرد في التصحيح ، لا قيمة لتصحيحه إلا إذا وافقه الذهبي . فللذهبي على (المستدرك للحاكم) ملاحظات هامة في إعلال أحاديثه وتصحيحها .

وهكذا ... فإن هذا الحديث سقط متناً وسنداً ولم يعد يصلح لإقامة الحجة به ولا يجوز أن يروَى إلاّ للتنبيه على ما فيه من طامّات .

على أن الذين أوردوه حجـةً لهم على صحة دعواهم بجواز التوسل بذوات المخلوقين،لا أدري إذا كانوا يعلمون ما فيه من طامات ... أولا يعلمون.فإن كانوا يعلمون ... !!! ألا إنه الضلال على علم والعياذ بالله تعالى ... وان كانوا يجهلون ما فيه فكان عليهم أن يسألوا ... فلا يَضلّون ولا يُضلّون .

أما الإمعان في الضلال وهم يعلمون ... أو يجهلون ... فهذا ما أخبرنا الله به في كتابه وما أعد لأهله من العذاب الأليم . وإن هذا الحديث ومـا كان على مثله لا تجوز روايته إلاّ بقصد التنبيه على ما فيه من محاذير ... فضلاً عن روايته للاتباع والعمل وإننا نهيب بمن يحتجون بـه أن يطلعوا على حقيقته ويتوبوا إلى الله من روايته للاستشهاد به والعمل على أساسه لأنه أساس واه وواهن، ولا يحق لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يعتمد على أحاديث من نوعه فضلاً عن الاحتجاج

بها ولا ينسوا أن حجتهم سقطت لما تبين حال هذا الحديث وما فيه من طامات وعقائد فاسدة دسها بعض الذين لا يخافون الله ، حتى يصدوا الناس عن الصراط المستقيم .

٣ً – قصة مالك مع أبي جعفر المنصور

وينسب إلى مالك بن أنس رضي الله عنه مع أبي جعفر المنصور العباسي قصة لتأييد الحديث السابق، وللاحتجاج بها على جواز التوسل بذوات المخلوقين. وفيها : [انه – أي أبو جعفر – سأل مالكاً فقال : يا أبا عبد الله أأستقبل القبلة وأدعو ... أم استقبل رسول الله ﷺ ؟ فقال : ولمَ تصرفُ وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله يوم القيامة بل استقبله ، واستشفع به] .

الكلام على متن هذه القصة

إن من يتأمل متن هذه القصة ، يحكم عليها بالوضع والكذب على الامام مالك ابن أنس رضي الله وعلى أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي . وذلك لما يلي :

١ً – قول أبي جعفر المنصور : يا أبا عبد الله أأستقبل القبلة وأدعو ... أم استقبل رسول الله ﷺ . هذا السؤال : يحتمل أسباباً ثلاثة :

أ – إما أن يكون المنصور جاهلاً فيستفسر .

ب – أو فاحصاً لمالك بن أنس ليسبر غور علمه .

جـ – أو عالماً به فلا حاجة له بالسؤال .

أما أن يكون ابو جعفر المنصور جاهلاً فسأل ... فهذا مردود قطعاً لأن أبا جعفر المنصور كان من أعلم علماء عصره يدلنا على ذلك ما يروي الثقات عن أبي جعفر أنه كان من أملأ أوعية العلم ... فهماً وروايةً ودراية . حتى إنه لما حج ، واجتمع بمالك رضي الله عنه قال له – بمنى – :

لعلي وإيّاك أعلم رجال العصر ... وانني قد شغلتني سياسة الناس . فوطّىء

للناس موطئاً تجنب فيه رخص ابن عباس وتشديدات ابن عمر) .

ولذا سُمّي كتاب مالك في الحديث (الموطأ) فأبو جعفر المنصور الذي كان على الشواهق من قمم العلم لا يمكن أن يسأل مالكاً عن سؤال هو وإياه على مستوى واحد من العلم به . إلا إذا كان يريد أن يسبر غور علم مالك !!!؟ وهذا أيضاً مردود لأن علم مالك معروف عند أبي جعفر المنصور وهو الذي قال له : (لعلني وإياك أعلم رجال العصر ...) فكيف يسأله مختبراً علمه ، وهو على وقوف تام منه ... لا سيما في هذه المسألة التي يعرفها الصبيان فضلاً عن العلماء فثبت لدينا أن المنصور ما كان جاهلاً ... ولا فاحصاً لعلم مالك ... بل ثبت أنه عالم ومن كان عالماً فلا حاجة له بالسؤال .

٢ً – إن الثابت من مذهب مالك ، الذي رواه عنه الثقات من أصحابه في أفضل كتبهم أن الذي يدعو الله في مسجد النبي ﷺ ، يستقبل القبلة ، ولا يستقبل القبر فهذه القصة مخالفة لمذهب مالك فكيف يجيب مالك جواباً لأبي جعفر بخلاف ما هو مشهور من مذهبه ...؟!!

٣ً – أمّا قول مالك رحمه الله : (ولِمَ تصرفُ وجهَك عنه وهو وسيلتك ، ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله يوم القيامة بل استقبله واستشفع به)

أمّا أنّ رسول الله ﷺ الوسيلة يوم القيامة أي هو الشفيع يومئذٍ فهذا لا خلاف فيه أنه شفيع للخلائق ولكن الخلاف القائم بيننا ليس على الشفاعة يوم القيامة بل على جواز التوسل إلى الله بذوات المخلوقين في الدنيا ... فأين الارتباط بين الموضوعين ...؟

وأما الاستشفاع به ﷺ بعد وفاته ، فمعلوم أنه لا يصح لأن الشفاعة لا تطلب من رسول الله ﷺ وذلك من وجوه .

أ – لأن رسول الله ﷺ لا يسمع بعد وفاته من يطلب منه الشفاعة .

ب – ولو سمعها لا يستطيع أن يشفع الآن لأن الله يقول : (من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه) وإذنه لا يصدر إلا يوم القيامة فيحدُّ له حداً ويقول له اشفع بهؤلاء كما في حديث الشفاعة ولكن المشروع أن يقول المؤمن : اللهم شفع بي

رسول الله ﷺ أي يجعله في جملة الحمد الذي يحمده لرسول الله ﷺ ليشفع بهم .

ج – هذا معلوم عند مالك رضي الله عنه فـــلا يعقل أن يقول لأبي جعفر المنصور : (بل استقبله واستشفع به) .

الكلام على سند هذه القصة

إن في سند هذه القصة « محمد بن حميـد » وهو كثير المناكير ولم يسمع من مالك شيئاً بل روايته عنه منقطعة . ومحمد بن حميد الرازي هذا ... تكلم فيه غير واحد من الأئمة،ونسبه بعضهم إلى الكذب. فقال يعقوب بن شيبة السدوسي محمد بن حميد الرازي كثير المناكير . وقال البخاري : حديثه فيه نظر . وقال النسائي ليس بثقة . وقال الجوزجـاني : رديء المذهب غير ثقة . وقال فضلك الرازي: عندي عنه خمسون الف حديث لا أحدث عنه بحرف. وقال أبو العباس أحمد بن محمد الأزهري: سمعت إسحق بن منصور يقول : أشهدُ على محمد بن حميد ، وعبيد بن إسحق العطار بين يدي الله إنهما كذابان. وتكلم فيه غير هؤلاء من الحفاظ . وقال صالح بن محمد الحافظ : كل شيء كان يحدثنا به ابن حميد نتّهمه فيه .

وان ما روي عن مالك رحمه الله ، ينافي قوله هذا المتقدم –أي في القصة – فقد قال رحمه الله في المبسوط: لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج اليه أن يقف على قبر النبي ﷺ ويدعو له ولأبي بكر وعمر. فقيل له: فإن أناساً من أهل المدينة.. لا يقدمون من سفر ، ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر وربمـــا وقفوا في الجمعة ، أو في الأيام المرة والمرتين أو أكثر عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة . فقال : لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقــه ببلدنا ... ولا يصلح آخر هذه الأمة الا ما أصلح أولها . ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك ، ويكره الا لمن جاء من سفر ، أو أراده .

وأما من جهة الانقطاع فيقول ابن تيمية رحمه الله تعالى : قلت :

وهذه الحكاية منقطعة . فان محمد بن حميـــد الرازي لم يدرك مالكاً ، لا سيما في زمن أبي جعفر المنصور ، فـــإن أبا جعفر توفي بمكة سنة ١٥٨ وتوفي

مالك سنة ١٧٩ وتوفي محمد بن حميد الرازي سنة ٢٤٨ ولم يخرج من بلده حين رحل في طلب العلم ، إلا وهو كبير مع أبيه . وهو مع ذلك ، ضعيف عند أكثر أهل الحديث . كذبه أبو زرعة ، وابن وارة . وقال صالح بن محمد الأسدي . ما رأيت أحداً أجرأ على الله منه ، وأحذق بالكذب منـه . وآخر من روى الموطأ عن مالك هو ابو مصعب وتوفي سنة ٢٤٢ وآخر من روى عن مالك على الاطلاق ، هو ابو حذيفة احمد بن اسماعيل السهمي توفي سنة ٢٥٩ .

وفي الإسناد من لا تعرف حاله . لاسيما وان مذهب مالك يناقض هـــذه الحكاية ، فالمعروف من مذهب مالك وغيره من الأئمة وسائر السلف : ان الداعي اذا سلم على النبي ﷺ استقبل القبر ودعا له. اما اذا دعا لنفسه فيستقبل القبلة ويدعو . اه .

وهكذا فانه يستفاد من البحث المتقدّم ان الوسيلة التي علّمها الله لآدم هي الكلمات التي تلقّاها آدم من ربّه فتاب عليه وهي : (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفرْ لنا وترحمْنا لنكوننَّ من الخاسرين) وكل مـــا سوى ذلك فموضوع ومكذوب .

٤ – حديث فاطمة بنت أسد

[الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت . اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي فإنك أرحم الراحمين] .

الكلام على متن هذا الحديث

لو عدنا قليلاً الى الأبحاث التي خلت [١] نرى أننا أثبتنا فيها حرمة التوسّل بالمخلوقين وبخاصة الإقسام على الله بهم أو بحقهم وقلنا إن كل ذلك لا يجوز قطعاً وقد أثبتنا ذلك بالأدلة الشرعية .

ومعنى الأدلة الشرعية هي أحكام الكتاب والسنة ... وهل يعتقد مسلم أن رسول الله ﷺ الذي منع هذه التوسلات غير المشروعة يكون هو أول من يخالفها ...؟

الجواب : لا ... لا يمكن هذا أن يكون ... فرسول الله لا يتضارب في كلامه فهو نبي معصوم عن الخطأ ، وخاصة مثل هذه الأخطاء التي نهى هو عنها (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) .

(١) راجع الصفحة : ١٦٦ .

ولا شك ان هذا التقرير لا يخالفه احد من المسلمين اي من حيث إنه لايتضارب في أقواله البتة فإذا اتفقنا على هذا ... فكيف يمكن ان يتوسل هو بنفسه او بحقه على الله وبحق انبيائه وهو الذي علّمنا انه لاحق للمخلوق على الخالق. فلا يمكن ان ينهانا عن شيء ثم يأتيه هو فيقول :

[... اغفر لأمّي فاطمة بنت اسد.. بحقّ نبيك والأنبياء الذين من قبلي...]

فهذا ما لا يتصور وقوعه من الرسول الكريم عليه افضل الصلاة والسلام ومما يدل على أن هذا الحديث غير صحيح كما قد يكون مكذوباً وموضوعاً . ومما يؤكد ما ذهبنا اليه هو سند هذا الحديث الذي يشير إشارة واضحة إلى ذلك .

الكلام على سند هذا الحديث

إن هذا الحديث غير صحيح لأن في سنده رجلاً هو (روح بن صلاح) وقد ضعفه الجمهور . وقد روى أحاديثَ منكرة كما صرح بذلك ابن يونس وابن عدي.

إذاً ... فإن هذا الحديث ساقط الحجة متناً وسنداً وحديث هذه حاله لا تقوم به حجة على الدعوى التي يدعيها القوم بجواز التوسل إلى الله تعالى بذوات المخلوقين، وإذا سقطت الحجة سقطت الدعوى وعلت حجة خصمها عليها واعتبرت هي الحجة القائمة .

وبناءً على ذلك فإن دعوى القوم بالاحتجاج بهذا الحديث ، قد سقطت وضُمَّ هذا الحديث إلى ما ورد قبلَه من أحاديثَ واهيـــةٍ مثله . فالشيء كما يقولون منجذب إلى مثله . وهكذا تتكردس أحاديث القوم التي جاءوا بها على صحة دعواهم ، وكلها – إلى الآن – واهية ، واهنة لا تقوى على الوقوف بنفسها حتى تكون أهلاً لسند غيرها وتقويته. وكما يقولون : (هالك لا يحمل هالكاً ...).

ندعو لهم بالهداية والصواب ، والرجوع إلى مشكاة النبوة المضيئة الهاديـة المهدية ، وإلى الاقتباس بقبسها الذي لا يضل عنه إلا هالك . وفقنـا الله وإياهم للرجوع دائماً إلى الحق ، فإن الرجوع اليه فضيلة ما بعدها من فضيلة ... والخجل من الرجوع إلى الحق... أو اعتبار ذلك من الخذلان. . فهذا ليس صحيحاً... بل إن الإمعان في الباطل هو الخذلان ، أعاذنا الله منه .

٥ - حديث الأعمى

عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه [أن رجلاً ضريراً أتى النبي ﷺ فقال : ادعُ الله أن يعافيني . فقال : « إن شئت دعوت وان شئت صبرتَ وهو خير » قال : فادعه . فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء :

« اللهم اني أسألك ، وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة ، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي لتقضى ، اللهم شفعه فيّ ». وفي رواية قال ابن حنيف : فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا كأن لم يكن به ضر] .

قال الشيخ بشير السهسواني الهندي مؤلف كتاب « صيانة الانسان عن وسوسة الشيخ دحلان » (في سند هذا الحديث « أبو جعفر » فإن كان هو عيسى ابن عيسى ماهان ابو جعفر الرازي التميمي كما ظنه الحافظ ابن حجر في التقريب فالأكثرون على ضعفه قال عنه الذهبي : صالح . ووثقه ابن معين . وقال أحمد والنسائي : ليس بالقوي . وقال ابن المديني : ثقة كان يخلط . وقال مرة : كان يخطيء . وقال الفلاس : سيّيء الحفظ . وقال ابن حبان : ينفرد بالمناكير عن المشاهير . وقال ابو زرعة : يهم كثيراً . وقال الحافظ في التقريب : صدوق سيء الحفظ .

وان كان أبا جعفر المديني فهو مجهول واذا كان رجلاً آخر فلا بد من تعيينه) اهـ .

قلت ولكن شيخ الاسلام الإمام أحمد بن تيمية رحمه الله جزم بأنه هو : أبو جعفر الخطمي وهو ثقة .

فعلى هذا يكون الحديث ولا شك صحيحاً. على أن صحته ليس فيها مستمسك لمن يحتج به، على جواز التوسل إلى الله تعالى بذوات المخلوقين، بل هو حجة عليهم، وهو من الأحاديث التي تؤيد جواز التوسل إلى الله بدعاء المؤمن لأخيه المؤمن ... وهذا - كما علمنا من الابحاث الفائتة[1] - أنه من أنواع التوسل المشروع.

على اننا إذا أمعنا النظر في هذا الحديث... تبين لنا أن الأعمى ما كان يقصد التوسل بذات الرسول ﷺ، بل بدعائه المستجاب. ولولا أمل الأعمى بالشفاء بدعاء رسول الله ﷺ لم يأته وذلك للأدلة المستخلصة من نص الحديث نفسه فمن يمعن النظر فيه يستخلص منه الأدلة الآتية:

١ً - قول الأعمى لرسول الله ﷺ [ادعُ الله أن يعافيني].

٢ً - جواب الرسول ﷺ له: «إن شئتَ دعوت وإن شئتَ صبرتَ وهو خير».

٣ً - اصرار الأعمى على طلب الدعاء منه ﷺ بقوله: [فادْعه].

٤ً - قول الأعمى في آخر دعائه الذي علمه اياه رسول الله: «اللهم شفعه فيَّ»

٥ً - وروى الترمذي في سننه، والحاكم في مستدركه زيادة في الدعاء وهي قوله: «وشفعني فيه».

٦ً - وهناك دليل مستنبط من الحديث نفسه أو من واقع الأعمى ومجيئه لرسول الله ﷺ.

واننا نود أن نعالج كل دليل ونشرحه ليتضح الحقُّ جلياً بالحجة والبرهان فنقول وبالله المستعان:

١ً - إن قول الأعمى [أدع الله أن يعافيني] فيه بيان واضح جلي لقصد الأعمى من المجيء وهو أنه ما جاء الا من أجل أن يدعو له رسول الله ﷺ بالشفاء من ضرّه.

---

(١) راجع الصفحة ١٦٦ - ١٦٩ من هذا الكتاب.

٢ً – وان قوله ﷺ مجيباً للأعمى : « ان شئت دعوتُ وإن شئتَ صبرت وهو خير » لدليل آخر على أن الأعمى ما جاء إلاّ من أجل الدعاء وفيه تخيير من رسول الله ﷺ له بالدعاء أو الصبر حتى اذا شاء الأعمى الدعاء دعا له... وفي تخييره هذا وعد بالدعاء ان شاءه .

٣ً – وان اصرار الأعمى على الدعاء بقوله : [فادعه] لدليل ثالث على أن مجيئه لم يكن إلا من أجل الدعاء ومن اصراره، يفهم أن رسول الله دعا له لأنه وعده بذلك اذا شاء الدعاء وقد شاء بقوله [فادعه] .

على أن رسول الله ﷺ أحب أن يكون للأعمى كذلك مشاركة في الدعاء.. ولكنه لم يترك الأعمى أن يدعو ربه بما شاء ... بل علمه دعاءً خاصاً وأمرهُ أن يدعو الله به بالإضافة الى دعائه ﷺ .

٤ً – ان قول الأعمى في آخر الدعاء الذي علمه اياه رسول الله ﷺ « اللهم شفعه فيّ » لدليل رابع على الدعاء. والشفاعة من رسول الله ﷺ لا تسمى شفاعة ولا تكون الا بدعاء الشافع للمشفوع له فدعاء الأعمى أن يقبل الله شفاعة رسوله فيه يدل على أن رسول الله ﷺ قد دعا له فعلا والأعمى يطلب من الله قبول دعاء رسوله ﷺ .

٥ً – وان رواية الترمذي في سننه ، ورواية الحاكم في مستدركه ، زيادة جملة « وشفعني فيه » لدليل خامس على وقوع الدعاء من رسول الله ﷺ للأعمى ليعافيه الله تعالى ويرد اليه بصره .

ومعنى « وشفعني فيه » ... أي اقبل دعائي في قبول دعائه من أجل أن ترد اليّ بصري اذاً ثبت أيضاً أن لرسول الله دعاء من أجل أن يرد الله بصر الأعمى .

٦ً – وان هناك دليلا سادساً مستنبطاً من واقع هذا الأعمى اذ لو كان قصده التوسل بشخص الرسول أو بحقه أو بجاهه . ومـا الى ذلك .. لكان يكفيه أن يبقى في بيته ، ويدعو الله قائلا مثلا . اللهم ردّ بصري بجاه نبيك ... فكان يكفيه هـذا دون أن يحضر ويتجشم عناء المشي وليس له من قائد يقوده

إلى رسول الله ﷺ ، ولما كان هذا ليس من مراده ، إنما يريد الدعاء منه ﷺ .. فإن هذا ... يستلزم حضوره ، وإخبـــار الرسول بما حصل معه من العمى ثم سؤاله أن يدعو له ليعافيه الله، لاعتقاده أن دعاء الرسول ﷺ مستجاب فيحصل من الدعاء على مراده من الشفاء .

وهكذا فقد حضر الأعمى إلى رسول الله ﷺ وطلب منه الدعاء ، فدعا له، فاستجاب الله الدعاء من رسوله ، فعاد الأعمى بصيراً كأن لم يكن فيه من ضر .

فاذا استجمعنا هذه الأدلة الستة ... على ثبوت دعاء رسول الله للأعمى ... توحي لنا أمراً هاماً يدور عليه مآل الحديث ، ونستكشف معناه بشكل واضح وهو : أن معنى : « اللهم إني أسألك بنبيك » أي بدعاء نبيك . ولا يفهم منـه التوسل بذاته ﷺ ، ولا كان هذا مراد الأعمى من مجيئه إلى الرسول ﷺ . حتى وإن معنى التوسل المتبادر إلى أذهان الصحابة رضي الله عنهم في ذلك الوقت كان محصوراً فقط في طلب الدعاء من المتوسل به وليس له المعنى المتعارف عليه عند البعض في زمننا الحاضر أي التوسل بذات المتوسل به. فقد كان مثل هذا التوسل ينفر منه الصحابة رضوان الله عليهم ، لأنه من مفاهيم الجاهلية التي من أجـل وجودها بعث الله رسوله ﷺ إلى الناس كافة .

لا سيا وإن لفظ الحديث ومآله ، ومفاهيم اللغة العربية وقواعدها ... كل ذلك يشهد للحديث أن معناه هو التوسل بدعاء النبي ﷺ وعلى هذا... يتبين سقوط استدلال المجوزين للتوسل بذوات المخلوقين بهذا الحديث ، ويثبت عـدم شرعية هذا الاستدلال لأن هذا الحديث ، لا يعطي المعنى الذي يريدونه ألبتة.. لما بيناه من مراد الأعمى من الحضور اليه صلى الله عليه وسلم .

إن الشُبهَ والظنونَ التي يتمسك بها القوم ... في سبيل دعم دعواهم لا تغني عن الحق شيئاً ... وان مجرد إيراد الحديث ، دون التأكد من صلاحه للاحتجاج هو الذي يعطي من يحتج به هذه النتيجة المكوسة .. وليس المهم أن تقـدم حديثاً صحيحاً فقط ... انما يجب أن يكون هـذا الحديث الصحيح له متعلّق بالبحث الذي تريد أن تثبته ... ولكن مجرد إيرادك إياه فقط ظناً منك أن

له علاقة بما نحن مختلفون فيه ... فالظن لا يغني عن اليقين بديلا .

هذه بدهيات كنا نتمنّى أن لا نلفت أنظار (القوم ...) اليها لأنها بدهيات لا تحتاج إلى الفات نظر ... ولكننا اضطررنا إلى ذلك اضطراراً لأنهم هم الذين ألجأونا اليه لما أوردوا حديثاً ... ليس له علاقة فيما نختلف فيه .

ولو علموا أن هذا الحديث هو حجة لنا عليهم لا حجة لهم علينا، لما استدلوا به على صحة دعواهم ، ولفتشوا عن حديث غـــيره ...!! ولا أدري إذا كانوا يوفقون إلى ذلك أو لا يوفقون . وفقنا الله وإياهم للصواب إنه على كل شيء قدير لا إله غيره ولا ربّ سواه .

٦ ـ حديث الرجل الذي كانت له حاجة عند عثمان بن عفان « رضي الله عنه »

روى الطبراني والبيهقي : [كان رجـل يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه ، في زمن خلافته . فكان لا يلتفت ولا ينظر اليه في حاجته ، فشكى ذلك لعثمان بن حنيف . فقال له : إئت الميضأة فتوضأ ثم إئت المسجد فصلّ ثم قل : اللهم أني أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك ... لتقضي حاجتي ، وتذكر حاجتك فانطلق الرجل فصنع ذلك ... ثم أتى باب عثمان بن عفان رضي الله عنه فجاء البواب فأخذ بيده فأدخله على عثمان رضي الله عنه ، فأجلسه معه وقال له : أذكر حاجتك. فذكر حاجته ، فقضاها له . ثم قال : مالك من حاجة فاذكرها .

ثم خرج من عنده ، فلقي ابن حنيف فقال له : جزاك الله خيراً ... ما كان ينظر لحاجتي حتى كلمته لي ... فقال ابن حنيف : والله مـا كلمته ، ولكن شهدت رسول الله ﷺ ، وأتاه ضرير فشكى اليه ذهاب بصره ...] إلى آخر حديث الأعمى المتقدم ...

« الكلام على متن هذا الحديث »

١ً – إن هذا الحديث لتتجلى فيه الصنعة في تركيب وترتيب الأفكار الواردة فيه ... فمثلاً قوله : « كان رجل يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه في زمن خلافته ، فكان لا يلتفت ولا ينظر اليه في حاجته » فجعل قوله : « فكان لا يلتفت ولا ينظر اليه » تكأة ليقفز منها إلى ما سيبني على ذلك ، من تأثير توسله بالرسول ﷺ على عثمان بن عفان حتى قضى له حاجته ، ذلك التوسل الذي كان يخفى على عثمان بن عفان ، فيظهر عثمان هنا بمظهر غير المبالي بحاجات المؤمنين ، حتى يكون عليه مؤثر فوق ارادته يجبره على قضاء حاجة ذلك الرجل... !!!؟

بينما نرى من سيرة عثمان بن عفان أمير المؤمنين رضي الله عنه قبل المسؤولية وبعدها ذلك الرجل البار بالناس ، العاطف عليهم ، المهتم بأمورهم ... وكان مشهوراً برقة القلب ، ولين الجانب ، وما كان من خلُقه قط ، أن يتساهل في مسئوليته إلى حد الإفراط كما يصفه هذا الحديث بشكل أنه : كان لا يلتفت للرجل ولا يأبه له ، حتى ولا ينظر اليه ... !!!؟

ليس هذا من خلق عثمان ذي النورين ، ولا يعقل وقوعه منه . فكيف يدخل هذا الرجل مراراً وتكراراً ... ويراه في مجلسه ، بل وأذن له مراتٍ للدخول عليه وقد دخل مراتٍ كذلك ...! ويراه أمامه ، دون أن يسأله عن سبب دخوله عليه ، وعن حاجته ... وهو الذي يجلس جلساته هذه ... من أجل قضاء حوائج الناس .؟

على أن صانع هذا الحديث .. تراه يجهل خلق عثمان ، وما فطره الله عليه من الرقة واللين والعطف والسهر على مصالح المسلمين . ولكننا نحمد الله تعالى على أن أمثال هؤلاء الصناع يظنون أنهم قد أحكموا وأغلقوا جميع منافذ أي انتقاد قد يرد على أحاديثهم المصنوعة... وفي الحقيقة أنهم تركوا منافذ.. لا منفذاً واحداً ... إن الله ليمكر بهم حتى يسهّل على المسلمين أن يعرفوا الحق من الباطل ، ويطلعوا على آثار الصنعة فيعلموا منها منافذ الضعف ويحكموا على

الحديث بالوضع أو الضعف ويجنبوا المسلمين شرور أولئك الصنــاع ، فيعرفون ضعفه من متنه ... فضلاً عن معرفتهم ذلك الضعف أيضاً ... من سنده الذي يوافق ضعف متنه أو يزيد .

٢ - قلنا قبل قليل ، أن معنى التوسل عند الصحابة هو دعــــاء الشخص المتوسل به إلى الله تعالى بقضاء حاجة المتوسل من أجله ، لا كما يعرفه (القوم..) في زماننا هذا من التوسل بذات المتوسل به .

فالصحابي الجليل عثمان بن حنيف كان يجهل هــذا يا ترى ...؟ الجواب : لا وألف لا... ما كان يجهل هذا أبداً. بل أنه يعلم من رسول الله ﷺ ذلك بلا شك ولا ريب. بل كان يعلم أيضاً أن التوسل بذوات الأشخاص أحياءً أم أمواتاً كان من شعارات الجاهلية التي ما أتى الإسلام إلاّ من أجل إبطالها... فصحابي جليل كعثمان بن حنيف هل يعقل أنه علم الرجل هذا الدعاء ... وهو يعلم جيداً ان هذا الدعاء خاص في حياة الرسول ﷺ ... لأن الدعاء الذي حظي به الأعمى إنما كان حال حياته ، ولم يعد لأحد بعده ﷺ أن يحظى به بسبب وفاته - فداه أبي وأمي - فكيف يقول للرجل ادعُ بهذا الدعاء، وهو يعلم ان العنصر الهام في الحصول على الاستجابة مفقود، وهو دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ومن أين يأتي بدعاء رسول الله ، ورسول الله قد انتقل إلى الرفيق الأعلى...؟ هذا ما يدلنا على براءة عثمان بن حنيف رضي الله عنه من توصية الرجل ،ودلالته على دعاء الأعمى ... بل براءته من القصة بأجمعها .

وكيف يوصي بذلك أو يدل عليه ، وقد طهر الله قلبــه وقلوب المسلمين من شعارات الجاهلية ، وأنقذهم الله منها . إن هــذا لا يتصوّر من مسلم عادي يعلم أمر دينه ... فضلاً عن صحابي جليل ، كعثمان بن حنيف رضي الله عنه . وهذا ما يحملنا أن نجزم بعدم وقوعه منه، أو صدوره عنه .

٣ - لو أن دعاء الأعمى الذي علمه إياه رسول الله ﷺ ، دعاءٌ ينفع لكل زمان ومكان ... لما رأينا أعمى على وجه البسيطة، إذاً لهرع كل أعمى إلى الدعاء به لكي يرتد بصيراً... حتى ولو لم يكن مسلماً لدعا به أيضاً ، ليرتد بصيراً ويصبح

هذا الدعاء الدواء الشافي من العمى بل ولقضاء كل حاجة ... لأن الرجل الذي أوصاه عثمان بن حنيف – على زعم الرواية – بأن يدعو به لم يكن أعمى بل كان ذا حاجة غير العمى فتوسل به فقضيت حاجته وعلى هذا ... فإن هذا الدعاء – إذا أردنا أن نأخذ بصحة الحديث – هو قضاء لكل حاجة ... ولكن هل هو كذلك ...؟ الجواب: لا ... فإنه لا يزال العميُ كثيراً ولا يزال ذوو الحاجات محتاجين إلى قضاء حوائجهم ...

دعونا يا ناس ننظر الأمور على أوجهها الصحيحة... دعونا من التغالي الفارغ الذي يؤذي الرسول ﷺ في أمته ... قبل أي شخص آخر ... لأنه عمل ليس عليه أمر الرسول الذي جاء به من عند ربه وهو صلى الله عليه وسلم يقول :

[من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد] ويقول : [من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد] وإن المراد الذي يسعى (القوم ...) لتحقيقه من من وراء ايراد هذا الحديث غير الصحيح ، مرادٌ ليس عليه أمر الإسلام وهو محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة . أجل إن كل ما تقدم من الملاحظات على هذا الحديث ... يشير بوضوح إلى أن متن هذا الحديث ترك صانعه منافذ عديدة فيه ... إلى كشف ما فيه من مآخذ تدل على أنه من المستحيل أن يكون صحيحاً ، أو ينهض دليلاً أو حجة على ما أراد (القوم ...) إثباته منه بل على العكس تماماً فهو حجة لنا عليهم ، وليس هو حجة لهم علينا ... هذا من ناحية متن الحديث ... فضلاً عن سنده الضعيف الواهي ... فهو إذاً واهن واهٍ من متنه وسنده .

لقد اثبتنا لك يا أخي وهنه من حيث متنه ووهاك وهنه من حيث سنده .

لا يمكن أن ترى وهناً في متن حديث مّا ... إلاّ ويدلّك هذا الوهن في المتن، على أنه لا بد أن يكون سنده أيضاً واهناً... فوهن المتن دلالة في الغالب على وهن السند. وهذا الحديث هو كما قلنا: واهي المتن والسند معاً وإليك البيان: قال أئمة الجرح والتعديل:

إن في سند هذا الحديث رجلاً اسمه شبيب بن سعيد الحبطي البصْري[1] قال عنه الذهبي في / ميزان الاعتدال / : « صدوق يغرب . ونُقل عن ابن عدي انه قال: شبيب لعلّه يغلط ويهم إذا حدّث من حفظه، وأرجو أن لا يتعمّد » وذكر شيخ الاسلام أحمد بن تيمية رحمه الله في كتابه / قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة / : « أن ابن عـــدي استنكر حديثين له عن ابن وهب عن شبيب هذا ... عن روح بن الفرج » ومما ذكره ابن تيمية رحمه الله حول هذه الرواية قوله : « فيها عدة علل :

١ – انفراد هذا .. – أي شبيب – عمن هو أكبر منه وأحفظ
٢ – إعراض أهل السنن عنها
٣ – إضطراب لفظها
٤ – وإن راويها – أي شبيب – عُرف له عن روح بن الفرج أحاديث منكرة، ومثل هذا يقتضي حصول الريب والشك في كونها ثابتة، ولا حجة فيها » .

وهكذا، فقد رأيتَ يا أخي المسلم انهيار هذا الحديث متناً وسنداً. ولا أدري إذا كان (القوم ...) قد اقتنعوا بذلك ... وإن كانت قناعتهم أو عدمها ... لا ترفع أو تُخفض من قيمة الحديث ... إذ ليس الأمر موكولاً إلى قناعتهم، فهناك أئمة الجرح والتعديل، هم الذين يحكمون على صحة الحديث أو ضعفه، أو وضعه. ولا مهمة للقوم... في هذا الأمر سوى، التسليم بالحكم شاءوا أم أبوا... والخلاصة: هذا هو الدليل السادس من أدلتهم ينهار كما انهار قبله من أدلّة لهم... وكما ستنهار الأدلة الباقية التي قدّموها والله وحده وليُّ التوفيق .

---

(١) راجع الصفحة /٣٦٠و٣٦١ من ردنا على نقد الشيخ ناصر الألباني

٧ ــ حديث توسلوا بجاهي ...

[إذا سألتم الله فسلوه بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم]

ما أعلم أحداً من الناس أحفظ لهذا الحديث ... من أولئك (القوم ...) الذين يجيزون التوسل إلى الله بذوات المخلوقين،ويتخذونه حجة في دعواهم...!! في كل مناسبة أو غير مناسبة ..!!!؟ ويظنـّون أن ترداده على ألسنتهم ، شعار من شعارات العلم والفهم والدراية ...!!!؟ ويظنـّون أنه حديث صحيح لا شك عندهم في ذلك ولا ريب ... وهو في الواقع حديث باطل لا أصل له !! وانظر – عندما تخبرهم انه حديث باطل – كيف يهيجون ويموجون ، وتكثر جلبتهم ويعلو ضجيجهم صاخبين ... لماذا ...؟ لأنك قلت الحق ... لأنك تريــد نصحهم ... لأنك أردت الخير بهـــم ... أضف إلى ضجيجهم وضوضائهم وهرجهم ومرجهم ... انهم يرمونك بأنك تكره الرسول ﷺ أو أنك تنكر جاهه عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم . والمعلوم من الدين بالضرورة أنك إذا كرهت الرسول عليه الصلاة والسلام ولو بنسبة واحد من آلاف المليارات... فإنك تكفر ... حق ولا تنفعك لا إله إلاّ الله ... لأن كراهيتك ولو بهذه

النسبة الضئيلة تحبط عملك .. لأن محبة الرسول الكاملة من محبة الله، وكراهيتك له هي كراهية لله والعياذ بالله من الكفر والخذلان وسوء المنقلب، ولذلك كانت كراهيته ولو بشيء قليل جداً تخرج من الملّة .

هذه عقيدتنا ... في محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، محبة أكثر من المال والأهل والولد، حتى وأكثر من الروح والنفس، فإذا لم تحب رسول الله أكثر من محبتك لروحك ونفسك ... فإنك بعد لم تؤمن الإيمان الكامل ... فكيف إذا كرهته !!!؟

هكذا نحن، بالنسبة لمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، على أن دليل المحبة هو الطاعة لأوامره، وتنفيذها بدقة كما أمر، وكذلك الطاعة له فيما نهى صلى الله عليه وسلم . فإذا أطعته باتباع أوامره واجتناب نواهيه، تكون قد أحببته فعلا ...عندها يحبك الله تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) إذاً... فمحبة الله لك يا أخي لن تكون لك... إلا باتباعك نبيه صلى الله عليه وسلم فيما يبلغه عن ربه تعالى .

فإذا فهم هذا... نسأل: هل الاعتقاد بالأحاديث الباطلة والمكذوبة والموضوعة والعمل بها، واذاعتها بين الناس ... من محبة الرسول ﷺ في شيء ...؟!! أم أن الذبّ عن سنته الزهراء، والدفاع عنها وتنقيتها من الكذب والوضع والضعف .. من محبته ﷺ ..؟!!

لا شك في أن الدفاع عن السنة الصحيحة وتنقيتها من الدخيل عليها هو العمل الطيب الذي تتجلى فيه صدق المحبة والاتباع ... يقول المصطفى عليه أفضل الصلاة وأزكى التحيات : [« بدأ الدين غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء » قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال : هم الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتي من بعدي»] أجل... طوبى لمن يصلح ما أفسد الناس من سنة رسول الله ﷺ.

تعالوا أيها القوم ... ولنكن يداً واحدة نصلحْ ما أفسد الناس من السنّة، ونرجع إلى النهج السوي، ونتحرى السنّة الصحيحة، ونعزف عن الأحاديث المكذوبة . لأن رواية الأحاديث الباطلة والمكذوبة والموضوعة، إنما هو

الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي يقول : [مـن كذب عليّ يلج النار] .

فتعالوا أيهـا القوم : هل هذا الحديث الذي أوردتموه ... من الأحاديث الصحيحة أم من الأحاديث الباطلة المكذوبة عليه صلى الله عليـه وسلم ...؟ لا شك أنه من الأحاديث الباطلة المكذوبة ...! وهل الباطل والكذب من الإصلاح أم من الإفساد ...؟ تعالوا نكن جميعاً من المصلحين لا من المفسدين لتكون لنا« طوبى »وهي شجرة في الجنة يسير الراكب السريع في ظلها مائة سنة. ألا ترون معنا ، أن لنا في الأحاديث الصحيحة غنىً عن الأحاديث الباطلة والمكذوبة ...؟ أجل إن الله سبحانه منّ على هذه الأمة المحمدية بأن هيأ لهـا رجالاً منها ينخلون حديث رسول الله نخلا ... بما منّ الله عليهم من العلم والفهم فعزلوا الصحيح الذي قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير الصحيح الذي افتراه عليه بعض الذين لا خلاق لهم... فعرف الصحيح من الضعيف والمكذوب وهذا ما خص الله به هذه الأمة دون غيرها من الأمم .

وإذا نحن قلنا عن هذا الحديث ، انه مكذوب ... لا يعني أننا لا نؤمن بجاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ... فاننا نؤمن ونعتقد ونجزم عن يقين بـأن له صلى الله عليه وسلم جاهاً يفوق كل ذي جاهٍ من المخلوقات في السماء أو في الأرض فإذا لم يكن لرسول الله جاه عند ربه... إذاً فأي مخلوق له جاه من دون رسول الله صلى الله عليه وسلم؟... وليس على وجه البسيطة مسلم ينكر جاه رسول الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم . ولكن هل أمرنا رسول الله أن نتوسل إلى الله بجاهه ...؟

نعم إن جاهَهُ عظيم ، لكن لم يأمرنا أن نتوسل به إلى الله تعالى. لأن جاهه الذي هو له صلى الله عليه وسلم ... هو نتيجة لعمله العظيم من دعوة الى الله تعالى وصبر عليها، وجهاد في سبيلها، وأعمال صالحة ،وعبادات تفوق العدو الحصر من صلاة وصوم وحج وزكاة وفعل للخيرات إلى ما هنالك من الأعمال العظيمة التي

يعجز عنها أي إنسان ... كل ذلك كوّن له جاهاً عظيما عند الله أي جعل له منزلة تفوق منزلة أي مخلوق . فإذا فهم أن الجاه نتيجة العمل والسعي ... علم أن سعيك هو لك أنت ، وسعي أخيك هو له ... وليس لك أو له أي نصيب من سعي الغير . ومصداق هذا.. قوله تعالى : (وأن ليس للانسان إلا ما سعى وأنّ سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى) وبمجرد أن أخاك له سعي حسن هل يحق لك أن تدل على الله بسعي أخيك، من غير متابعة لعمله الصالح؟لا..لا يجوز أن يكون وسيلة، وذلك كمن يقول ويدعو: اللهم أدخلني الجنة لأن أخي أو فلاناً من الصالحين ، فما علاقة دخولك الجنة بصلاح أخيك ؟ إعمل كما عمل أخوك ثم توسل بما عملت من الصالحات، أن يدخلك الله بها الجنة...فهذا معقول ، وإلا فما ملازمة طلبك بعمل أخيك وأنت لا عمل لك ...؟

إذاً.. فإن جاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مسطر له في صفحاته عند الله وليس لك نصيب منه ، وليس لك أن تدعو به متوسلاً الى الله لقضاء حوائجك، بل تابعْ رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أمرك وأطعْه في ذلك يكن لك جاه تستطيع أن تتوسل به إلى الله بما شئت من الدعاء المشروع .

واذا كنت تعني بجاهه ... شفاعته يوم القيامة ، فهذا حق ... ولكن متى ...؟ ان ذلك يومَ القيامة... وحتى يأذن الله له بالشفاعة ، أما الآن فلا .. إلاّ أن تدعو الله وتقول : اللهم شفع بي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا بأس.. إنما يا أخي ... أنا لا أفهم من قولك مثلاً : اللهم بجاه رسول الله صلى الله عليه وسلم اقض حاجتي ... انك تطلب شفاعة رسول الله يوم القيامة ، انما يفهم منك أنك تحب استعجال نوالك حاجتك في الدنيا فتتوسل بجاهه لتنال حاجتك ... إذاً فلا مطابقة بين الدعوتين .

وعلى كل يجب أن تعلم أن جاه رسول الله الذي بلغه انما بلغه بواسطة عمله وليس لك أن تُدِلّ على الله به لأنه ليس من سعيك ولا عملك .

فاذا علمت كل ما تقدم من الشرح. فعليك أن تجزم أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم لا يقول : [اذا سألتم الله فسلوه بجاهي ان جاهي عند الله عظيم] ؟

من هنا نفهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بريء من هذا الحديث وهو خلاف هدْي القرآن وخلاف هدْيه صلى الله عليه وسلم ولا يمكن بل من المستحيل أن يتفوّه بمثل هذا الكلام ، الذي هو أول من نهى عنه . ولا يمكن أن يأمر أمراً ثم يخالفه لا سيما مثل هذا التوسل الممنوع الذي بعث من أجل أن يمنعه ، ويحول بينه وبين الناس الذين كانوا يعملون به في الجاهلية .

الكلام : على هذا الحديث

من ناحية سنده

يتبين لك يا أخي المسلم أن هذا الحديث مخالف في متنه لهدي القرآن والسنة وأدركت براءة رسول الله من القول به .

وها أناذا اثبت لك كذب هذا الحديث من السند . فهو حديث باطل لا أصل له . ولا سند له البتة .

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى :

هو حديث كذب موضوع من الأحاديث المشينات التي ليس لها زمام ولا خطام وقال غيره من العلماء :

حديث باطل لم يروه أحد من أهل العلم ، ولا هو في شيء من كتب الحديث فمن أين اذاً جاء هذا الحديث الباطل الموضوع المكذوب ...؟ أجل إنه جاء كغيره من الأحاديث التي وضعها الزنادقة ، ليصدّوا الناس عن الحق ، وليحولوا بينهم وبين هدْي الكتاب والسنة ... حتى يبلغوا من هذا الدين ما تهوى أحقادهم عليه ، ويصلوا إلى ما يريدون من هدمه في نفوس أهله ومعتنقيه ولكن خاب فألهم فإن الله هو الذي تولّى حفظ هذا الدين الكريم ، ولن يمكّن أعداءه منه ... إنما يفضح موآمراتهم ، ويكشف عن مخبّآت نفوسهم الخبيثه ويلهم علماء هذه الأمة العاملين ان يقفوا دونهم ودون مؤامراتهم وعداواتهم ويبينوا ما

انطوت عليه أكبادهم من الحقد ، وقلوبهم من الضغينة فيكشفوا زيف أقوالهم ويحبطوا دسائسهم ، وتبقى الآية خالدة الصدى : (إنـــا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) .

٨ ـ خبر إذا أعيتكم الأمور ...

[إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور ...!!!؟]

عندما تصل الأمة إلى الدرك الاسفل من الجهل والجاهلية ! وتنقطع عن العلم والإيمان يصبح العلماء فيها جهالاً ، والجهلة العامة سوائم تنقاد طيّعة لكل من يقودها ... كالجزار الذي يقود القطيع من الغنم أو البقر ... الى الجزرة...!!

الأعصبة على أبصارهم ولا أعصبة. .!!!؟ والران على بصائرهم وأفئدتهم، فلا يهتدون سبيلا ،يعمنون في الطرق الملتوية ، ويهجرون الصراط المستقيم ، والله أمرهم أن يهجروا السبل ويسلكوا الطريق الأقوم . (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) / ١٥٣ / الأنعام .

أجل ... اذا وصلت الامة الى هذا الحد ... والى هذا الدرك الأسفل من المستوى الفكري والعقلي ... فإنها تنقلب مفاهيمها للأشياء ، وتنعكس أبصارها ... فترى الليل نهاراً ، والنور ظلمة ، والحق باطلا ، والباطل حقاً .

واذا دعوتها الى ما ينشلها من وهدتها ... ومهاويها السحيقة المهلكة ، سخروا منك ... وأمثلهم طريقة من يبتسم ابتسامة ، المشفق عليك ، ويأتيك ناصحاً بالعدول عن طريقك القويم ... الى طرقهم القائدة الى السعير ، ويحسب المسكين أنه يحسن اليك وانه على الحق الذي ما بعده الاّ الضلال.

(قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً) / ١٠٤ / الكهف .

وان أمة هذا شأنها ... لا عجب إذا عبدت من دفنته . وهجرت من خلقها وسوّاها وجعلها تمشي على اثنتين.. كما يمشي البشر الذين وصفهم الله.. (لقد خلقنا

الانسان في أحسن تقويم /٤/) التين . ولكن هذا الإنسان الكفور الذي أحسن الله اليــه بنعمتَي الإنسانية والعقل ... فقد أزرى بنفسه ، وأهمل عقله وأنزل نفسه منزلة الخلائق التي تمشي عــلى . . . !!! وإن كان في الظاهر يمشي على اثنتين ... !! كما يمشي البشر ... فلا غرو بعد ذلك أن يجازيه ويعاقبه على تنكره للنعمة بأن يردّه إلى جهنم وبئس المصير فقال عز من قائل : (ثم رددناه أسفل سافلين /٥/) التين . جزاءً وفاقاً لأنه لم يشكر النعمة بأن أفرده بالعبادة وحده وأطاع رسله . نعم ... انه لم يشكر النعمة بل كفرها ... بل وكفر بربه الذي سواه فعدله في أي صورة ما شاء ركبه ... فطفق يلجأ بدافع من كفران النعمة إلى أهل القبور ... !!!؟ أهل القبور الذين شاهدهم حــين ماتوا ... وهو الذي غسلهم وهو الذي كفّنهم ... وهو الذي قبرهم بيده ، وهو يعلم أنهم ماتوا ... ولولا ذلك ما قبرهم ولا دفنهم ولا أهال عليهم التراب ... ثم شرع يخاطبهم كما يخاطب الأحياء !!؟ ويستغيث بهم !! ويتوسّل بهم إلى الله تعالى لقضاء الحوائج وغير ذلك ... هكذا يزّين الشيطان لمن يتبعه ، سوءَ عمله ، ويوسوس لهم : بأن هؤلاء الذين قبروهم بأيديهم بالأمس ... انهم اليوم أشد شعوراً ، وأقوى إجابةً وأسرع نجدة ، وأجدى وسيلة ... !!!؟ فيستجيبون له في كل ما يوسوس لهم ويطيعونه ، ويشفقون على الذين آمنوا لمَ لا يكفرون ... !!!؟

أجل ... هكذا وسوس لهم إبليس ... وقــال لهم : إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور بعد أن رآهم أطوع اليه من جنوده ، وبعد أن سلبهم عقولهم ، وإرادتهم ، وإنسانيتهم ، حتى غدوا كالأنعام بل هم أضل سبيلا ...

يدعون أهل القبور ! أو يتوسلون بهم اليـــه تعالى ... وأهل القبور عن دعائهم غافلون ، وما يدرون أيّان يبعثون !!! يدعون الميت ، ويتركون الحي الذي لا يموت !!؟ يوسطونهـم إلى الله وهم لا يسمعون !!! ويتركون السميع العليم ، الذي لا يعزب عن علمــه شيء في السماء ولا في الأرض ... وهو معهم بصفاته العلى أينما كانوا ... يعطونهم من الصفات ما لا يليق إلاّ برب العالمين ، الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . وهم يعلمون أنهم ميتون ، لا يسمعون

ولا يبصرون ولا يعلمون !!!؟ (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامةيكفرون بشركم ولا ينبئك مثل خبير /١٣/) فاطر. ورغم ذلك يدعونهم بأن يتوسطوا لهم عند الله !!!؟ ولماذا كل هذه العناية بوساطتهم ...!!!؟ رغم كلام الله تعالى وإخبارهم بأنهم لا يسمعون ... وما إلى ذلك . نعم ... ولماذا كل هذا ...؟

الجواب : لأن إبليس قد وسوس لهم قائلا :

إذا أعيتكم الأمور ...! فعليكم بأصحاب القبور !!!؟

يعزفون عن ذكر الرحمن... ويهرعون إلى صوت الشيطان ، الذي استحوذ على قلوبهم ، وملك عليهم مشاعرهم ، فاستجابوا له في كل ما يدعوهم اليه عن طريق وسوسته أو عن طريق جنده الذين يبثهم في صفوف الجهلة من شياطين الأنس والجن .

وهكذا وقعوا في حبائله وشباكه وهم يحسبون أنهم على الحق فلا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم . اللهم ردّ المسلمين إلى دينهم رداً جميلا .

فما بالك يا أخي بقوم ... عزفوا عن كلام الله تعالى الذي خلقهم وسوّاهم إلى كلام زعموا أنـــه حديث عن رسول الله ﷺ وهو حديث مفترى بإجماع العارفين بالحديث ولم يروه أحد من العلماء ، ولا يوجد في شيء من كتب الحديث . .

ولكن هل تستطيع أن تقنع القوم ... بأن رسول الله ﷺ يجل عن أن يقول مثل هذا الكلام . المخالف لهدي القرآن الذي نزل عليه ولسنته الزهراء التي كان يشرح بها القرآن ... كل هذا لم ينفع أولئك القوم وظلوا على ما هم عليه الاّ من شاء الله هدايتهم ، واستجابوا لله وللرسول اذا دعاهم لما يحييهم .

(**وقليل ما هم /٢٤/**) ص . (**وقليل من عبادي الشكور /١١/**) سبأ .

أفلا تكونون يا أيها (القوم ...) من ذلك القليل ...؟ فترجعون إلى ربكم والى ما أنزل من البينات والكتاب المنير...؟ وتتبعون نبيكم ورسولكم محمداً ﷺ فيما أمر ونهى ، وتجعلون سيرته وسنته الهادية المهدية ، نوراً لكم تستهدون به طريق الحق ... وتعودون إلى تعاليم النبوة فانها المحجة البيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ

عنها إلا هالك .

لا تكونوا يا اخواننا من الهالكين ... بل كونوا من الناجـين الفالحين الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه . هدانا الله وايـــاكم سواء السبيل وسلكنا واياكم صراطه المستقيم .

٩ ـ حديث استسقاء بلال بن الحرث بعد وفاة الرسول

روى البيهقي ، وابن أبي شيبة : [أن الناس أصابهم قحط في خلافة عمر رضي الله عنه ، فجاء بلال بن الحرث رضي الله عنه وكان من أصحاب النبي ﷺ إلى قبر النبي ﷺ وقال : يا رسول الله استسق لأمتك ... فانهم قد هلكوا . فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام ، وأخبره : أنهم سيسقون] .

الكلام على هذا الحديث
من ناحيه متنه

من أجل أن نفهم متن هذا الحديث يجب أن نتغلغل بين سطوره ونبحث بدقةٍ وايجابية ، عما حوى هذا الحديث من المعاني والمآلات ... ثم نزنها بميزان الشرع الذي لا يضلُّ ولا يخلُّ ، ثم نستطيع بعد ذلك ... أن نعطي فكرة صحيحة عنه . فان وافق ميزان الشرع،وكان سنده صحيحاً،اعتمدنا ما فيه وإلاّ ملنستغني عنه وان الله تعالى لم يتعبدنا إلا بما وافق كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وعلى هذا الأساس نشرع في تنفيذ ما رسم الشارع الحكيم في التحقق من الأخبار. فمن أجل الوصول إلى ما نبغي،يجب أن نتحقق من الأمور التالية:

١ً – تعريف الاستسقاء و كيف كان يستسقي رسول الله ﷺ .

٢ً – هل يجيز الشرع مخاطبة الأموات.. وسؤآلهم قضاءحاجات الأحياء..؟

٣ً – هل باستطاعة الميت أن يسمع الخطاب ويجيب الداعي بما يطلبه منه ؟

٤ً – هل المنامات من أصول الدين وتقوم بها حجة ؟

٥ً – هل الرجل الذي طلب من النبي ﷺ بعد وفاته أن يستسقي لأمته هو بلال بن الحرث رضي الله عنه ..؟

٦ً – إذا خالف الصحابي أمر الشريعة أفيتابع على مخالفته، أم تتبع الشريعة ...؟

٧ً – إذا كان طالب الاستسقاء ليس بلال بن الحرث بل هو مجهول، فما قيمة عمله شرعاً؟

٨ً – التأكد من ثبوت وقوع الحادثة من ناحية السند على الشكل المروي في المتن.

أجل لا نستطيع أن نحكم على متن هذا الحديث إلاّ بالإجابة على هذه الأسئلة ... فاذا تأكدنا من مطابقة ما جاء فيه على أحكام الشريعة حكمنا بأن المتن لا يخالف الشريعة وان عدم المخالفة لا يعني صحة الخبر بل يجب أن ينظر في سند الحديث، فان وجد سالماً من العلل التي تخل بصحته حكمنا على الحديث بأنه صحيح متناً وسنداً، وإلاّ رددناه متناً وسنداً ولنشرع في ذلك مستعينين بالله وحده.

١ً – الاستسقاء: هو الطلب من رجل صالح حيّ أن يدعو الله تعالى بأن ينزل الغيث ويسقي به البلاد والعباد فيرفع الرجل الصالح يديه ويدعو الله تعالى والناس يؤمّنون على دعائه. أما استسقاء رسول الله ﷺ لأمته اذا أجدبت فاننا قد أشرنا اليه في البحث الذي شرحنا فيه التوسل المشروع بدعاء المؤمن لأخيه المؤمن[١] وكذلك استسقاء أمته من بعده في زمن الصحابة[٢] فليرجع الى ذلك من يشاء لتعلّقه بالبحث.

هذا هو معنى الاستسقاء، وذلك صفة استسقاء رسول الله ﷺ وإن هذا الحديث لا ينطبق على تعريف الاستسقاء ... فلا هذا الرجل – إن كان بلالاً أو غيره – طلب من رجل حي، إنما طلب ذلك من رسول الله ﷺ بعد وفاته، وذلك في خلافة عمر – حسب ما جاء في الحديث – ولا أدري كيف يطلب ذلك ممن توفاه الله ثم ... هل هذا الذي طلب اليه أن يستسقي لأمته أجاب.. وطلب ودعا الله الجواب: لا لم يكن ذلك لأنه عليه الصلاة والسلام ككل ميت قد انقطع عمله فلا يمكن أن يدعو لان عملية الدعاء عمل ... والعمل قد انقطع

(١) راجع الصفحة ١٧٠–١٧٢ (٢) راجع الصفحة ١٧٣–١٧٦

بوفاته ... إذاً فانه لم يدعُ. أي إن عملية الاستسقاء لم تتم، ولم تقع لأنه نقص منها العنصر الفعال في موضوع عملية الاستسقاء وهو الدعاء فإذا أحد طلب من احد أن يدعو له ، والمطلوب منه الدعاء لم يدعُ لسبب ما، فهل يمكن أن نقول: تمت عملية الدعاء ؟

٢ً – إن الشرع الإسلامي الكريم لا يجيز مخاطبة الأموات والسؤال منهم قضاء الحاجات كالدعاء وغيره لأنه انقطع عملهم بوفاتهم لقوله ﷺ : [إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاّ من ثلاث : صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له] . وكيف يسألون الأموات قضاء الحاجات والحي القيوم بديع السموات والارض لا يسألونه ؟ وهو حي باقٍ لا يموت ...؟

٣ – إن همزة الوصل بين السائل والمجيب هي حاسة السمع التي تصل بين سؤال السائل وإجابة المجيب، فإذا السائل سأل والمسؤول لم يسمع ، فكيف تتم الإجابة ...؟ وهكذا فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم انقطع سمعه بالوفاة... فالذي يناديه لا يسمع نداءه حتى يجيبه وذلك بدليل : (إنك لا تسمع الموتى) و (وما أنت بمسمع من في القبور) .

٤ً – أما المنامات فليست من أصول الدين حتى تقوم بها الحجة ... ولكن اذا رؤي الرسول صلى الله عليه وسلم في المنام ، على صورته الشريفة التي خلقه الله عليها فإن ذلك المنامَ حقٌ ، لأن الشيطان لا يتمثّل بصورته فإذا كان هذا الرجل هو بلال بن الحرث الصحابي ، فلا شك أنه يعرف صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا رآه في المنام على صورته المعروفة فرؤيته حقٌ. وإذا قال له رسول الله في المنام ستسقون فانهم سيسقون ، فكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم حق في اليقظة وفي المنام ، فيما وافق الشرع الذي بلغه . وقد يقول له: ستسقون دون أن يستسقي به أي يطلب منه السقيا ... أو بالاستسقاء به – على جواز وقوعه – فإنهم سيسقون . ويكون قوله هذا بشارة بالسقيا . وستقع حتماً

نقول هذا من حيث تقريره كمبدأ لا أنها حادثة واقعة، فجوازها شيء ووقوعها شيء آخر .

٥ً – أما الرجل من هو ...؟ فهذا ما لا يثبته إلا النقل الصحيح ، فالنقل الصحيح لم يثبت أن الرجل هو بلال بن الحرث. إنما نقلوا أنه رجل... أي رجل مّا، فصار الرجل مجهولاً – كما سترى ذلك بعد قليل عند البحث في سند الحديث –

٦ً – وعلى فرض أنه بلال بن الحرث .. فيكون ماذا ..؟ نحن لا ننظر إلى الأشخاص بعين العصمة حتى ولو كان صحابياً.فالعصمة ليست إلا لنبيّ،فالصحابي ليس معصوماً فقد يخطىء فإن أخطأ بمعنى انه عمل عملاً ليس عليه أمر الدين فهو رد بلا شك ولا ريب وإن كان صادراً عن صحابي.فالصحابي إن انفرد باجتهاد عن بقية الصحابة ، لا يكون حجــةً قط . والمعلوم ان الاجتهاد لا يكون في مورد النص فكيف إذا كان هناك نص . .؟ فانفراد الصحابي به هو خطأ مــن باب أولى . أما إذا أجمع الصحابة على أمرٍ ،كان حجةً لإجماعهم عليه ولأن الإجماع أصل من أصول الدين الأربعة .

٧ – أما إذا كان طالب الاستسقاء رجلاً مجهولاً فلا يحتج به من باب أولى لأن الصحابي – كما قلنا – إذا انفرد باجتهادٍ دون سائر الصحابة ... ليس حجــــة فكيف إذا كان رجلاً مجهولاً ! إذ قد لا يكون صحابياً فيكون عمله خطأ من باب أولى .

٨ – أما ما يتعلق بسند الحديث فإليك البيان :

١ً – قال الحافظ ابن حجر في / الفتح / (إنه جاء رجل إلى قبر النبي ﷺ فقال كذا و كذا ... الحديث . وذلك من رواية ابن أبي شيبة باسنادٍ صحيح من رواية أبي صالح السمان عن مالك الدار ، وكان خازن عمر رضي الله عنه فاللفظ: (جاء رجل) ولم يأت اللفظ أن هذا الرجل هو أحد الصحابة .

قلت : تبين أن الرجل الذي طلب السقيا من رسول الله ﷺ ليس هو بلال بن الحرث رضي الله عنه انما هو مجهول فقد يكون أعرابياً أو غير ذلك . إن العمل الذي نسب إلى بلال بن الحرث على فرض وقوعه منه ليس ذلك حجة ولا يقوم

دليلاً على شرعية عمله . فكيف اذا كان أعرابياً قد لايعرف من أمور الدين شيئاً فكيف تقوم الحجة بعمله ...؟!!

٣ – وقد روى سيف في / الفتوح / أن الذي رأى المنام هو بلال بن الحرث والحديث الصحيح ليس فيه سوى – جاء رجل – وعن سيف أن هذا الرجل هو بلال بن الحارث المزني من الصحابة .

بينما – سيف – هـذا هو : سيف بن عمر الضبي الأسدي ويقال : التميمي البرجمي ويقال : السعدي الكوفي .

وقد ذكر هذا الرجل في (مصنف الفتوح والردة) من المجهولين . وقـال عباس ابن يحيى : ضعيف . وقـال داود : ليس بشيء ، وقال أبو حاتم: متروك وقال ابن حبان : متهم بالزندقة .

هذا هو سند الحديث ... وقد رأيت يا أخي علله متناً وسنداً فهل تقوم به حجة ...؟ الجواب:إن حديثاً فيه من هو متهم بالزندقة ، وبالضعف وبالجهالة ، والترك ، وليس بشيء ... إنمـا هو حديث ساقط،والاحتجاج به ساقط أيضاً ودعوى القوم ... ساقطة أيضاً لأنهم إلى الآن لم يستطيعوا أن يأتوا بحديث تقوم به الحجة .

١٠ ـ حديث الاستسقاء بالعباس
رضي الله عنه

روى البخاري في صحيحه من رواية أنس بن مالك رضي الله عنه :

[أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، كان إذا قحطوا .. استسقى بالعباس ابن عبد المطلب رضي الله عنه وقال : اللهم كنا نتوسل اليك بنبينا ﷺ فتسقينا وإنّا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا . قال : فيسقون] .

مما لا شك فيه ولا ريب أن هذا الحديث، حديث صحيح ، وما ظنك بصحه حديث يرويه الإمام البخاري ...؟ وقد سبق شرحه والكلام عليــه بأنه من أقسام التوسل المشروع، وهو من نوع توسّل المؤمن إلى الله بدعــاء أخيه المؤمن له[1] عند استشهادنا به على مشروعية التوسل بدعاء المؤمن لأخيه المؤمن. على أن (القوم ...) أتوا به حجة لهم على جواز توسل المؤمن بذوات المخلوقين ...!!

إذاً فاعادة البحث فيه. هو من أجل التدقيق عن صحة هذا الجواز المدّعى!! فان صح هذا الجواز شرعــاً ... فنحن من أسبق الناس إلى الأخذ به، والعمل بمقتضاه. ومــا لنا ألا نعمل به إذا كانت الشريعة الغراء تجيز ذلك.. ؟ ولكن البحث والتحقيق سيقضيان في اثبات هذا الجواز أو عدمه فلا يحق لنا إذا ثبت الجواز ... أن نرفض الأخذ به ، كما لا يحق لهم إذا ثبت المنع أن يأخذوا بالمنع ويفعلوه وهم يعلمون أنه ممنوع .

هذا ما نحاول مخلصين ، جاهدين بكل طاقتنا في إثبات الجواز أو المنع والله من وراء القصد ، وبه المستعان وعليه الاتكال .

إن الحديث هذا ... يخبرنا أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، كان كلف العباس أن يستسقي للمسلمين ويدعو الله تعالى أن يسقيهم الغيث وبـيّن الأسباب الموجبــة لتكليف العباس ... فقــال : [اللهم كنا نتوسل اليك بنبينا ﷺ فتسقينا ، وإنّا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا ...]

إن هذا الطلب وهذا الدعاء من عمر يلفت أنظارنا إلى أمرين هامّين وهما:

١ً ـ يبيّن عدوله عن التوسل بالنبي ﷺ بعد وفاته إلى غيره .

---

(١) راجع الصفحة /١٧٣/ الى /١٧٦/ من هذا الكتاب .

٢ً – إختياره للعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه للتوسل إلى الله تعالى بالسقيا.

أجل ... هذان أمران هامّان ، يوحيان الينا بالتساؤل والبحث عن سبب عدوله عن التوسل بالنبي ﷺ إلى عمه العباس رضي الله عنه ... أليس الرسول ﷺ أفضل وأعظم عند الله من العباس ...؟ ثم لماذا اختار العباس من دون الصحابة مع أن فيهم من هو أفضل من العباس كعمر وعثمان وعلي والمبشرين بالجنة وغيرهم ...؟

الجواب : ١ً – قبل أن نجيب عن السبب الأول ... يجب أن نمهّد لذلك بسؤال : كيف كانت صفة توسل المسلمين بالنبي ﷺ ، وماذا كان يعمل رسول الله ﷺ في مثل هذه المناسبة ...؟

الجواب عن السؤال التمهيدي : إن صفة توسل المسلمين بالنبي ﷺ في الاستسقاء معلومة ومعروفة من السنّة وهنا نترك المجال لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تروي لنا صفة استسقاء الصحابة بالنبي الكريم عليه الصلاة والسلام : قالت رضي الله عنها :

[شكا الناس إلى رسول الله ﷺ قحوط المطر فأمر بمنبر فوضع له بالمصلّى. ووعد الناسَ يوماً يخرجون فيه . فخرج حين بدا حاجب الشمس ، فقعد على المنبر ، فكبّر وحمد الله ، ثم قال : « إنكم شكوتم جدب دياركم ، وقد أمركم الله أن تدعوه ، ووعدكم أن يستجيب لكم » ثم قال : « الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين . لا إلٓه إلا الله يفعل ما يريد . اللهم لا إلٓه إلا أنت. أنت الغني ونحن الفقراء . أنزلْ علينا الغيث ، واجعلْ ما أنزلت قوة وبلاغاً إلى حين » ثم رِفع يديه فلم يزل يدعو حتى رُئي بياض إبطيه . ثم حول إلى الناس ظهره ، وقلب رداءه ، وهو رافعٌ يديه ثم أقبل على الناس ونزل فصلّى ركعتين . فأنشأ الله تعالى سحابة فرعدت وبرقت ثم أمطرت بإذن الله تعالى ، فلم يأتِ مسجده ، حتى سالت السيول . فلما رأى سرعتهم إلى الكنّ ، ضحك حتى بدت نواجذه فقال : « أشهد أن الله على كل شيء قدير وأني عبد الله ورسوله »] رواه الحاكم وصححه أبو داود وقال : هذا حديث غريب وإسناده جيد .

ثم يحدثنا أنس رضي الله عنه فيقول :

[إن رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة ، ورسول الله ﷺ قائم يخطب فقال : يا رسول الله : هلكت الأموال وانقطعت السبل ، فادع الله يغيثنا . فرفع رسول الله يديه ، ثم قال : « اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا » قال أنس : ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة وما بيننا وبين (سلع) من بيت ولا دار . فطلعت من ورائه سحابةٌ مثل الترس ، فلما توسطت السماء ، انتشرت ثم أمطرت فلا والله ما رأينا الشمس سبتاً . ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ، ورسول الله ﷺ قائم يخطب . فاستقبله قائماً ، فقال : يا رسول الله : هلكت الأموال ، وانقطعت السبل ، فادعُ الله يمسكها عنا ، فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال : « اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الآكام والظراب ، وبطون الأودية ، ومنابت الشجر » . فأقلعت وخرجنا نمشي في الشمس] رواه البخاري ومسلم .

أتيتُ لك يا أخي بحديثين يرويان لك صفة استسقاء المسلمين برسول الله ﷺ فعلمتَ منهما . . . أن توسل المسلمين بالنبي عليه الصلاة والسلام في الاستسقاء هو طلب المسلمين منه ﷺ أن يدعو لهم الله يسقيهم الغيث . ثم استجابة الرسول لذلك . فدعا الله أن يغيثهم بالمطر ، فاستجاب الله دعاء نبيه ﷺ من فضله ومنّه وكرمه .

إذاً . . . فعملية الاستسقاء مؤلفة من عنصرين طلب الدعاء ، والدعاء . وبعد أن اطّلعتَ يا أخي على صفة توسل المؤمنين بنبيّهم في الاستسقاء . . . أشرع بالإجابة عن السؤال الأول وهو :

لماذا عدل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عن التوسل بالنبي ﷺ إلى التوسل بغيره . . ؟ الجواب :

إنك يا أخي علمت قبل قليل . . . أن عملية الاستسقاء مؤلفة من عنصرين : طلب الدعاء ، والدعاء . فلما توفي النبي صلى الله عليه وسلم فُقِد عنصر الدعاء الذي بدونه لا تتم عملية الاستسقاء ، بسبب وفاته فداه أبي وأمي ، فكان لا بد من اختيار شخص حي يدعو للمسلمين بدلاً من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي التحق بالرفيق الأعلى .

أما الجواب على السؤال الثاني : لماذا وقع اختيار عمر بن الخطاب على العباس رضي الله عنهما ... مع أن في الصحابة من يفوق العباس فعلاً وسابقة وصلاحاً .؟
الجواب : كان اختيار عمر للعباس رضي الله عنهما ، من أجل أن العباس أقرب الصحابة نسباً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو عمه كما هو معلوم . ثم قال عمر للعباس : « أدعُ يا عباس » فرفع العباس يديه وقال : [اللّهم إنه لم ينزل بلاءٌ إلاّ بذنب ... ولم يُكشَف إلاّ بتوبة ، وقد توجه القوم بي إليك لمكاني من نبيك . وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا اليك بالتوبة فاسقنا الغيث] فأرخت كالجبال .

فتبين من دعاء العباس ما هي الأسباب الموجبة لاختياره للدعاء من دون الصحابة ... وهو قوله : [لمكاني من نبيك] أي لقرابتــه منه صلى الله عليه وسلم .

فيا أخي المسلم : بعد أن اطلعت على كل مــا تقدم ... من مواصفة عملية الاستسقاء واختيار العباس للدعــاء .. نسألك : هل كان قصد عمر رضي الله عنه من قوله [اللهم إنا كنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا ...] نعم هل كان قصده التوسل بذات المخلوق أم بدعائــه ...؟
الجواب : بل كان قصده دعاءه لا ذاته ، أي لا ذات العباس ... إذ لو كان قصدهُ ذات العباس ، لكان ذاتُ النبي صلى الله عليه وسلم أفضلَ وأعظمَ وأقربَ إلى الله من ذات العباس بلا شك ولا ريب . فثبت أن القصد كان الدعاء ولم يكن ذات الرسول مقصوداً عندما كان حيّاً ويستسقون به بل كان دعاؤه هو المقصود وإن قول عمر : اللهم إنا كنا نتوسل اليك بنبينا صلى الله عليه وسلم فتسقينا . كان قصده من ذلك ... [دعاء نبينا] ولو كان قصده الذات ... لما عدل به ذات العباس ... بل ولقال : اللهم نتوسل اليك بنبينــا ... ولم يذكر العباس البتة ... فقوله : وإنا نتوسل بعمه العباس دليل على قصده بدعاء عمه العباس ولو كان قصد عمر ذات العباس لكان ذات النبي صلى الله عليه وسلم أقرب إلى الإجابة من ذات العباس ... إذاً : ثبت ثبوتاً قطعياً أن مراد عمر كان منصرفاً إلى دعاء العباس لا ذات العباس ، هذا ما لا شك فيــه ولا ريب . ولا أعتقد

قط ... أن منصفاً يقول غير ذلك ... لأن الأمر واضح وضوح الشمس .

فإذا كان الأمر كذلك ... فما بال (القوم ...) يوردون هذا الحديث حجةً لهم على جواز التوسل بذوات المخلوقين ... مع أن الحجة قائمة لنا في هذا الحديث ، وليست لهم ... ولو كان مراد عمر من قوله [وانا نتوسل بعم نبينا فاسقنا] هو ذات العباس ... لما كان من حاجة الى قوله : أدعُ يا عباس ... فكان يكتفي من قوله بما قال ... ولما دعا العباس . إذ ما من حاجة الى دعائه اذا كان المراد ذات العباس . فالعباس وجميع الصحابة ، فهموا من قول عمر [وانا نتوسل بعم نبينا] أي بدعاء عم نبينا ولهذا رفع العباس يديه ثم دعا .. وإن كل ما تقدم من بحث... لا يُبقي في النفس أيّ شك أو ريب ، في أن مراد عمر منحصر في التوسل بدعاء العباس ... لا التوسل بذاته . وإلاّ — كما قلنا آنفاً — لكان التوسل بذات النبيّ ﷺ أولى بالتوّسل من ذات العباس.

وهكذا ... فقد ثبت أن عمل عمر الوارد في الحديث هو من أقسام التوسل المشروع لأنه توسل بدعاء العباس، وهو من نوع توسل المؤمن بدعاء أخيه المؤمن ، وهو من حججنا التي أوردناها قبل صفحات... في مشروعية توسل المؤمن لأخيه المؤمن بدعائه له. وكما هو واضح وضوح الشمس أنه حجة لنا لا علينا ، أما إيراده من قبل المخالفين على أنه حجة لهم ... فان كل دعوى تحتاج إلى دليل لاثباتها.

أما أن تبقى مجردةً عن الدليل والبرهان ، بأن يكون الدليل وارداً في غير محله ، فهذا لا ينفعهم في شيء ، وتبقى دعواهم مجردة ..!!؟ ومجرد الدعوى لا يُحق حقاً ولا يبطل باطلاً . وفي هذا بلاغ لقوم يعقلون .

ولو أنصفوا هداهم الله ... لاقتنعوا بما نورد من حجج ... وإننا نُذكّرهم بأنفسهم ... نعم إنهم أنفسهم لما يستسقون ... يخرجون الى ظاهر المدينة ، ويتقدم بل ويقدمون أصلحهم ويكلفونه بالدعاء لهم أن يسقيهم الله الغيث ... فيدعو لهم . فهل كانوا يقصدون التوسل بذاته أو بدعائه ...؟ لا شك أنهم يقصدون التوسل بدعائه لصلاحه وتقواه ... وإلاّ لما كلفوه بالدعاء ، ولاكتفوا أن يقولوا : اللهم إنا نتوسل اليك بذات فلان أن تسقينا ... ولكن لم يقولوا

ذلك ، ولم يفعلوا إلا التوسل بدعائه ... فلمـــاذا لا تنكرون على أنفسكم ما تفعلون .. ؟!! ولماذا لا تتوسلون بذات ذلك الصالح ... كما تحبون أن تفهموا من الحديث الذي أوردتموه ... ؟فإن كان الذين تدعونه من جواز التوسل بذوات المخلوقين عملاً صالحاً وباراً في نظركم ، فلم لا تفعلونه في استسقائكم. .؟ (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ..؟!!) إن على من يأمر الناس بالبر أن يفعله ، والسلام على من اتبع الهدى .

١١ ـ حديث عام الفتق ...!!

روى الدارمي في صحيحه عن أبي الجوزاء قال :

[قحط أهل المدينـة قحطاً شديداً ، فشكوا الى عائشة رضي الله عنها . فقالت : انظروا الى قبر رسول الله ﷺ، فاجعلوا منه كوّة الى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف . ففعلوا ... فمطروا حتى نبت العشب ، وسمنت الإبل ، حتى تفتقت من الشحم فسمي عام الفتق].

الكلام على متن هذا الحديث

إن من يتأمل متن هذا الحديث ... يرَ الصنعة باديةً عليه دونما خفاء ، رغم ما حاول صانعوه ... من إفاضة برود الصحة عليه !!! على أن الله تعالى الذي حفظ دينه يمكر بهم حتى يظنوا ... أنهم قد أغلقوا منافذ كل احتمال بانكشاف أمر وضع هذا الحديث ، وأنهم قد أحكموا مغالقه .. ولكن الحقيقة أنهم صاغوه بشكل جعلوه واضح الصنعة ... بل وكأنهم هم أنفسهم ، يشيرون الى نوافذه المفتوحة التي ... ظنوا أنهم قد أحكموا مغالقها ... (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين) .

نعم ... أقول إنهم هم الذين يشيرون إلى مواقع الضعف والوضع في هـــذا الحديث ... !!؟ ولو أمعنا النظر فيه قليلاً لتبين ذلك :

١ ـ يتقولون على عائشة أنها قالت : [انظروا الى قبر رسول الله ﷺ فاجعلوا منه كوةً الى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف] .

وما من مسلم الاّ ويعلم أن رسول الله ﷺ لما توفي ، دفن في بيت عائشة . وعائشة بقيت ساكنة فيه . فكيف تقول لهم ماقالت اليس معنى هذا أنها تكلفهم

أن يهدموا سقف البيت التي تسكنه ؟ فهل هـــذا القول تقوله عائشة ... فتبقى ساكنةً في بيت لا سقف له .. ؟

٢ً – إنها تقول فيما يزعمون : أن يجعلوا كوةً مـــن القبر إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف ففعلوا .. وعلى فرض أن السقف قـــد أنزلوه فيبقى القبر حاجباً جسده الشريف صلى الله عليه وسلم عن السماء ، وإن الكوّة حسب قول عائشة يجب أن تفتح من القبر لقولها : [أنظروا إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجعلوا منه كوة إلى السماء ...] فهـــل نبشوا القبر حتى جعلوا منه كوّة الى السماء ...؟ ويقول الحديث : [... ففعلوا ...] قولوا لي بربكم : متى كان هذا ...؟ من الذي تجرّأ على نبش قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يجعلوا منه كوة الى السماء ... متى فعلوا ..؟ في أي زمن ...وفعلٌ مثل هذا !!! أيبقى مكتوماً فلا تذكره كتب التاريخ والسير ؟!! دلّونا ... في أي كتاب من كتب التاريخ ذكر هذا الخبر ...

٣ً – إذا كان كشف قـــبر الرسول ﷺ مجلبةً لنزول المطر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان حياً كان دائماً معرضاً جسمه الى السماء ككل الناس في غدواته وروحاته وقد قحطوا في عهده صلى الله عليه وسلم ، فلم ينزل الغيث بمجرد كون جسم رســول الله معروضاً للسماء بطبيعة الحال ... بل بقي القحط مستمراً حتى خرج صلى الله عليه وسلم بالمسلمين إلى ظاهر المدينة فاستسقى لهم أي دعا الله لهم فسقوا ... فلماذا لم يغثهم الله إلا بالدعاء ...؟

٤ً – ولماذا سكتت عائشة عن هـذه النصيحة ... فلعلهم يقولون قالتها في أول القحط ولم تسكت عنها... فنقول لماذا لم يعمل بها عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما رأى أول الأمر أن النـــاس كشفوا القبر فسقوا ... ولماذا لم يفعل هو ذلك أيضاً ... بل خرج بالناس الى خارج المدينـة وقال للعباس ادعُ فدعا ... واستجاب الله دعاءه فسقوا الغيث .

٥ً – بعد أن فتحوا كوة من قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومطروا .. أما امتلأت الغرفة بالماء فأين سكنت عائشة ...؟!!

٦ً – لما دخل رجل أعرابي إلى المسجد والرسول قائم على المنبر يخطب الجمعة فشكا الأعرابي القحط فدعا الرسول له وهو على المنبر، ثم لما عاد في الجمعة القابلة ودخل المسجد والرسول قائم يخطب على المنبر، فطلب الأعرابي أن يدعو الرسول صلى الله عليه وسلم لإمساك المطر عنهم بعد أن تقطعت السبل فدعا الله واستجاب الله دعوته .. كل ذلك وكان الرسول صلى الله عليه وسلم محجوب الجسد بسقف المسجد، ومع ذلك فقد أغاثهم ... ولمَ لم يخرج الرسول ويعرض نفسه للسماء إذ بمجرد ذلك كان يجب أن ترخي السماء بغيث مغيث . ولكن لم يفعل رسول الله ذلك ... أكان يجهل أن جسده مجلبة للغيث ..؟

٧ – ثم لماذا لم يجعلوا القبر مكشوفاً أبداً ليكون الغيث مواصلاً عند اللزوم فلو كان فتح الكوة من القبر، يوجب استدرار الغيث لما حجبوها بالقبة الخضراء إلى يومنا هذا ولجعلوا القبر مكشوفاً الى يوم القيامة . لا سيما وأن الحجاز تغلب على مناخه طبيعة الجفاف وهو أكثر الأقاليم حاجة الى المطر .

٨ً – لو كان هذا الخبر صحيحاً كما يزعمون لكانت بلاد الحجاز .. أو المدينة على الأقل مروجاً وجنات وأنهاراً من كثرة الأمطار التي تنزل بسبب فتح الكوة من قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٩ً – يقول الحديث : [... فمطروا حتى نبت العشب .. وسمنت الابل .. حتى تفتقت من الشحم ... فسمي عام الفتق] .

ان الناس في حينه كانوا يملكون الابل والغنم والبقر والخيل، فلماذا تفتقت الابل ولم تتفتق أيضاً الغنم والبقر والخيل ؟ ولعله اكتفى بذكر الجزء ليعبر عن الكل وهذا جائز .. فمعنى ذلك، أنّ الابل والغنم والبقر والخيل قد تفتقت من الشحم أيضاً فاذا صحّ هذا فان هذا الفتق العام.. يكوّن مأساة وكارثة لأن هذا الفتق يؤدي الى الموت... وهكذا فيكون هذا الغيث غيث عذاب لا غيث رحمة ... فمتى كان ذلك ...؟

وإنني لواثق تمام الوثوق ان كل ما جاء في هــذا الحديث، لا أساس له من الصحة، وانه لموضوع المتن، ومصنوع صناعــة غرّ ... لم يستطع أن يصيغه بصيغة مقبولة . فمتنه يشير اليه قبل سنده بأنه واه ساقط المعنى ... ولما ركب

صانعه له السند ، ما كان في سنده أحكم ، من صناعة متنة ... فركب له سنداً من أوهى الأسناد ... وهو يظن أنه أحكم الصنعة وسد المنافذ !!؟ بهذا الحديث وأمثاله، يوفق هو وغيره ... إلى تحويل عقائد المسلمين الى أوهـــام ، وإلى ضلالات ... ولكن خيب الله فألهم ، وأطاش سهامهم فأوجد في المسلمين رجالاً ينخلون الأحاديث نخلا ، وهذا من فضله على هذه الأمة المحمدّية بحفظه دينـــه الذي ارتضى لعباده .

أما هذا الحديث فقد كُشِفَ متنه كما تقدم ... أما سنده فإليك مـــا قال علماء علم الحديث فيه :

الكلام على سند هذا الحديث

ذكر هذا الحديث الشيخ دحلان في كتابه : « الدرر السنية في الرد عـــلى الوهابية » مستشهداً به على صحة التوسل بذوات المخلوقين ، وخاصة بذات النبي الكريم صلوات الله وسلامة عليه . ويعزي الدحلان مـــا ذكره في كتابه المشار اليه إلى ما نقله عن السمهودي فقال :

« ذكر العلامة السمهودي في خلاصة الوفـــا : «إن من الأدلة على صحة التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته ، ما رواه الدارمي في صحيحه عن أبي الجوزاء ... ثم ذكر الحديث ».

وقد ردَّ عليه الشيخ بشير السهسواني الهندي رحمه الله تعالى وأجزل مثوبته، في كتابه المسمّى ، صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان » بما يلي :

١ً – إطلاق الصحيح على مسند الدرامي ليس صحيحاً . قال المغلطاني : (ان جماعة أطلقوا على مسند الدارمي بكونه صحيحاً ... فتعقّبهم ابن حجر بقوله :

« اني لم أرَ ذلك في كلام أحد ممن يعتمد عليـــه ... كيف ولو أطلق ذلك من لا يعتدُّ به لكان الواقع بخلافه . »)

٢ً – قال العراقي : المرّسل والمعضل ، والمنقطع ، والمقطوع . فيه كثير .

٣ ـ ان في سنده محمد بن الفضل السدوسي أبو النعمان البصري . قال الحافظ في التقريب : لقبُه « عارم » ثقة ثبت تغير في آخر عمره . وقال في الخلاصة : اختلط « عارم » . وقال أبو حاتم : من سمع منه قبل سنة /٢٢٠/ فسماعه جيد . وقال البخاري تغير عارم آخر عمره . وقال ابو داود : ان « عارماً » أنكر سنة /٢١٣/ ثم استحكم به الاختلاط سنة /٢١٦/ ولم يسمع منه ابو داود لتغيره .

٤ ـ إن في سنده : سعيد بن زيد . قال الذهبي: ليس بالقوي. وقال الحافظ في التقريب : صدوق له أوهام . وقال في الخلاصة ، قال ابن معين وقال أحمد : ليس به بأس . وقال النسائي ليس بالقوي . قال الذهبي في الميزان : ضعيف . وقال السعدي : ليس بحجة يضعّفون حديثه . قال أحمد ليس به بأس . وكان يحيى بن سعيد لا يستمريه .

٥ ـ ان في سنده : عمر بن مالك المنكري قال الحافظ في التقريب صدوق له أوهام .

٦ ـ ان في سنده أبا الجوزاء أوس بن عبد الله . قال في التقريب ، أوس ابن عبد الله الربعي البصري ، وثقوه . وقال يحيى بن سعيد : قتل في الجماجم ، في اسناده نظر ، ويختلفون فيه . وقال أيضاً في الكنى : أبو الجوزاء الربعي أوس ، تابعي مشهور . قال البخاري : في إسناده نظر . فقد ثبت أن الحديث ضعيف منقطع .

٧ ـ ان الحديث موقوف فلا يصح حجةً عند المحققين .

٨ ـ يعارضه حديث عمر رضي الله عنه . (ذكر محمد بن اسحق في مغازيه عن خالد بن دنيا عن أبي العالية ، قال :

لما فتحنا « تستر » وجدنا في بيت مال الهرمزان سريراً عليه رجل ميت عند رأسه مصحف له ، فحملنا المصحف إلى عمر رضي الله عنه فدعا كعباً فنسخه بالعربية ، فأنا أول رجل قرأته مثل ما أقرأ القرآن . فقلت لأبي العالية ما كان فيه ؟ قال : سيرتكم وأموركم ، ولحون كلامكم وما هو كائن بعد ...

قلت : فما صنعتم بالرجل ؟ قال: حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبراً متفرقة ، فلما كان بالليل دفناه ، وسوينا القبور كلها لنعمّيه عن الناس فلا ينبشونه . قلت ومـــا يرجون منه !

قال : كانت السماء إذا حبست عنهم أبرزوا السرير ، فيمطرون ، فقلت من كنتم تظنون الرجل ....؟ قال : دانيال . قلت منذكم وجدتموه مات ؟

قال منذ /٣٠٠/ سنة [١] قلت : ما كان قد تغير منه شيء ....؟ قـال : الا شعيرات من قفاه . ان لحوم الانبياء لا تبليها الأرض ولا تأكلها السباع).

فانظر ما في هذه القصة ... من صنع أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتعمية قبر هذا الرجل ، لئلا يفتتن به الناس . كذا في (تبعيد الشيطان بتقريب اغاثة اللهفان) . انتهى رد الشيخ بشير السهسواني .

قلت: لقد رأيتَ يا أخي هذا الحديث وما فيه من علل سنداً ومتناً، فهل ترى أنه يصلح أن تنهض به الحجة لأولئك الذين يزعمون جواز التوسل بذوات المخلوقين؟

لا ... إن مثل هذا الحديث لا يستطيع أن ينهض بنفسه فضلا عن ان تنهض به الحجة وهكذا فقد ظلت دعوى القوم ... ساقطة الى الآن ... ولم يستطيعوا لها اثباتاً ... !!! رغم ما أتوا به من حجج على ما يزعمون ... لان حججهم التي يتذرَّعون بها كلها واهية ضعيفة ... أو موضوعة ... والصحيح منها: هو حجة عليهم لا لهم ، فكيف يمكن أن تنتصر دعواهم ويبلغوا فيها مقاصدهم ...؟!!! هيهات .. هيهات ...

---

(١) دانيال النبي عليه السلام كان في سبي (نبوخذ نصر) لبني اسرائيل قبـــل ميلاد عيسى بـ / ٦٠٠ / سنة وكتابه من أسفار اليهود المعروفة ...

(رشيد رضا)

١٢ ـ حديث توسل الأعرابي

روى أبو الحسن علي بن ابراهيم بن عبد الله بن عبد الرحمن الكرخي عن علي بن محمد بن علي ثنا أحمد بن محمد بن الهيثم الطائي ثنا أبي عن أبيه عن سلمة بن كهيل عن أبي صادق عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال :

قدم علينا أعرابي بعد ما دفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام ، فرمى نفسه على قبر النبي صلى الله عليه وسلم وحثا على رأسه من ترابه وقال : يا رسول الله : قلت فسمعنا قولك ، ووعيت من الله عز وجل ما وعينا عنك وكان فيما أنزل الله تبارك وتعالى عليك : (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيماً) وقد ظلمت نفسي ، وجيئتك لتستغفر لي فنودي من القبر : انه غفر لك .

الكلام على متن هذا الحديث

ان هذا الحديث ألغامه موجودة في متنه ... فضلا عن سنده ، وفيه من الطامات ما لا يشك فيه مسلم أنه موضوع مكذوب وذلك من وجوه :

١ً نحن نعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما توفي دفن في بيت عائشة أم المؤمنين فاذا كان هذا الاعرابي فعل ما فعل... على الشكل الذي يرويه الحديث فلا بدّ أنه دخل بيت عائشة .. وكيف يدخل عليها دونما استئذان ...؟ لأن الحديث خلو من ذكر الاستئذان . وهب أنه استأذن ... فكيف تمكّنه عائشة رضي الله عنها ، من أن يفعل ما فعل من الارتماء على القبر ، وحثو التراب منه على رأسه .

٢ً – ثم إن الحديث مروي عن علي رضي الله عنه . . وهو الذي يروي عن الأعرابي ما فعل على قبر رسول الله ﷺ ، فلا بد أن يكون عليٌّ قد رآه فلو أنه سمع فقط دون أن يراه... فمعنى ذلك أنه سمع من شخص آخر روايةً عنه، ولكن لم يذكر هذا الشخص الذي سمع منه ما فعل الأعرابي ... فعدم ذكر الشخص الذي سمع منه يدل على أن علياً رأى بنفسه ما فعل... لا سماعاً من غيره... إذاً ثبت أن علياً رأى ما فعله الأعرابي ما يفعل على القبر... فكيف لم ينهه عن ذلك..؟ لأن الرواية لا تشير إلى أن علياً نهاه ... فعدم النهي عن فعل يفيد الإقرار ، فكيف يسكت علي رضي الله عنه عن فعل الأعرابي ولا ينهاه ... وهو يعلم أنه عمل عمَل الجاهلية فهذا لا يعقل صدوره عن علي رضي الله عنه ألبتة ، لا سيما وإن أبا صادق الذي يروي الحديث عن علي لم يثبت سماعه من علي رضي الله عنه.

٣ً – ثم إن الحديث يروي عن الأعرابي أنه قال : يا رسول الله : قلت فسمعنا قولك ، ووعيت من الله ما وعينا عنك . فيعلم من هذا أنه سمع من رسول الله ﷺ ومن يسمع من شخص لا بد أنه رآه واجتمع به ... ثم إن السماع مع الوعي عنه ﷺ يفيد أنه سمع فوعى وهذه صفات شخص فاهم بصير مما يدل على أن الأعرابي صحابي فاهم بصير ... فصحابي هذه صفته وهذا شأنه ... أيعقل أنه يرتمي على قبر الرسول ويحثو منه التراب على رأسه ... وهو يعلم أن هذا من عمل الجاهلية ، الذي نهى عنه رسول الله ﷺ .

٤ً – يقول الأعرابي : ووعيتَ من الله ما وعينا عنك ، ولكن العكس هو الصحيح . فإن رسول الله ﷺ لم يعِ من الله ما وعاه منه صحابته ، بل وعى منه صحابته ما وعى هو عن الله . ولا شك أن الفارق ظاهر بين العبارتين ... لأن عبارة الأعرابي أن الصحابة وعوا من رسول الله ما وعوه منه قبل أن يعي رسول الله ما وعاه عن ربه ... وشتان بين قول الأعرابي الخاطيء وما بين القول الذي كان يجب أن يقوله ومثل هذا القول لا يقوله عربي فصيح، فضلاً عن أعرابي من أهل البادية بصرف النظر عن كونه صحابياً أيضاً ... يعرف جيداً أنه ما وعاه رسول الله عن ربه كان قبل أن يتلقاه الصحابة عن رسول الله ﷺ. فقول الأعرابي

يدل على أن القرآن تلقاه الصحابة عن رسول الله قبل أن يتلقاه رسول الله عن ربه. وهذا لا يقوله مسلم ما فضلاً عن صحابي عربي فصيح فاهم بصير. ولعله من الدسائس التي يراد منها: أن القرآن من كلام محمد صلى الله عليه وسلم، والعياذ بالله.

٥ً - ثم قال الأعرابي - فيما يرويه هذا الحديث - ... وكان فيما أنزل الله تبارك وتعالى عليك (ولو أنهم إذا ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً) وقد ظلمت نفسي، وجئتك لتستغفر لي ... إن هذه الآية الكريمة تتعلق فيمن يأتيه عليه الصلاة والسلام حال حياته، لا بعد وفاته صلى الله عليه وسلم. نعم حال حياته ليحصل المستغفر، استغفارُ رسول الله له، ولا شك ان استغفاره صلى الله عليه وسلم مستجاب، فتحصل للمستغفر المغفرة من الله تعالى باستجابة استغفار رسول الله له... أما المجيء إلى قبره صلى الله عليه وسلم والسؤال منه أن يستغفر للسائل، فهذا محال ... لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد انقطع عمله بوفاته، فلم يعد يتحرك أبداً فضلاً عن أن يحرك لسانه بالاستغفار أو غيره فهو على ضجعته من يوم أن دفن إلى يومنا هذا وإلى يوم القيامة.

أما أن يسمع أو يتكلم أو يصدر عنه أي عمل... فلا. وقد انقطع عمله نهائياً كما قال هو عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليمات: [إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية... وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له] ولا شك أن رسول الله ﷺ يشمله هذا الحديث. لأنه من بني آدم، وقد قضى الله عليه بالموت والتحق بالرفيق الأعلى.

أما الحياة البرزخية فهي حياة لا يعلمها إلا الله تعالى، وليس لها أية علاقة في الحياة الدنيا وليس لها بها أية صلة... فهي حياة مستقلة نؤمن بها ولا نعلم ماهيتها. وان ما بين الأحياء والأموات حاجز يمنع الاتصال فيما بينهم قطعياً وعلى هذا فيستحيل الاتصال بينهم لا ذاتاً ولا صفات والله سبحانه يقول: (ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون)[1] والبرزخ معناه: الحاجز الذي يحول دون اتصال هؤلاء بهؤلاء ... لا سيما وأن الله تعالى يقول: (انك لا تسمع الموتى)[2] ويقول

---

(١) / ١٠٠ / المؤمنون (٢) / ٨٠ / النمل

عز وجل : (وما أنت بمسمع من في القبور[1]) والرسول ﷺ بعد ان توفاه الله هو من الموتى، (ومن أهل القبور فثبت أنه لا يسمع دعاء أحد من أهل الدنيا)، وإن كان هو والأنبياء لا يبلون لأن الله قد حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء كما جاء في الصحيح ولكنهم أجساد بلا أرواح وهم أموات ولا شك . فان الموت شيء وعدم البلى شيء آخر، فمن كان ميتاً.. لا يمكن أن يسمع أحداً من أهل الدنيا فإذا ثبت عدم السماع يثبت عدم الإجابة ، لأن السمع هو همزة الوصل لحصول الجواب ... وإذا لم يسمع طلب الاستغفار فكيف يستغفر ..؟ ثم إذا فهم هذا.. فأي معنى يبقى من طلب الاستغفار ؟! الجواب: لا معنى لطلب الاستغفار أبداً.

وما يضير هذا المستغفر إذا توجه إلى الله وتاب من ذنوبه ، وطلب من الله المغفرة ...؟ أو اختار أحد الصالحين الأحياء وكلفه أن يدعو له فلا مانع من ذلك كما طلب عمر من العباس رضي الله عنهما أن يستسقي للمسلمين بعد وفاة رسول الله ﷺ، ولم يطلب عمر رضي الله عنه من رسول الله بعد وفاته أن يستسقي للمسلمين. ولو كان هذا جائزاً لفعله عمر رضي الله عنه ولكن لم يفعل ذلك ... لأنه يعلم أن رسول الله التحق بالرفيق الأعلى ولم يعد يستطيع الدعاء وما أشبه ذلك .

ثم ما قولك يا أخي المسلم الكريم أن هذه الآيـة لم تنزل لهذا الغرض مطلقاً ولا علاقة به البتة ... انما الآية نزلت في المنافقين الذين كانوا يصدون الناس عن متابعة الرسول ﷺ ويتحاكمون إلى الطاغوت ... وإذا احتاجوا اليه في أمر من الأمور .. أتوا اليه معتذرين ، ويحلفون: ما أردنا بذهابنا إلى غيرك، إلا "مداراة" ومصانعة" ، لا اعتقاداً منا بصحة احتكامنا إلى الطاغوت ... فهؤلاء إذا جاءوا النبي واستغفروا الله من نفاقهـــم في مجلسه ، وسألوه أن يعقب على استغفارهم لأنفسهم . . بأن يستغفر الرسول لهم عندها يجدون الله تواباً رحيماً" ... ولكن لم يجيئوا ولم يستغفروا ، ولم يستغفر لهم الرسول فما علاقة هذا... بواقع الأعرابي الذي جاء رسول الله بعد وفاته وطلب منه وهو ميت أن يستغفر له ..؟!!

نعم لا علاقة بين الموضوعين بل ولا قياس بين الواقعين لاختلافهما وتفارقهما . على أن واضعي هذا الحديث ... ما كان قصدهم إلا التغرير والإفساد والتضليل

---

(١) / ٢٢ / فاطر .

فلا يهمهم التوافق بين الواقعين ، حتى يستقيم القياس بينهما ... انما المهم عندهم تشكيك المسلمين بأي ثمن كان ؛ ولكن ردّ الله كيدهم في نحورهم وأخسرهم وقد بحثنا هذا الموضوع قبل صفحات فليرجع اليه من يشاء.

٦ – قوله في الحديث ... [فنودي من القبر : إنه غفر لك ...؟؟!!]

إن من وطّن نفسه على الكذب ... لا يهمه إن كذب على الله وعلى رسوله وعلى الناس فالكل عنده على حدّ سواء ...!! لا سيما إذا كان مراده التضليل والتشكيك ... فيستحل كل حرام ، في سبيل الوصول إلى ما يبتغي ويريد ...! وليس للقيم عنده أقل اعتبار... ما دام أنه يسعى لتحقيق ما خطّطه هو ...أو ما خُطِط له !!؟ وعند هؤلاء قاعدة يعتمدون عليها ، في كل ما يعملون ... ألا وهي : « الغاية تبرر الوسيلة » فكل وسيلة مهما كانت ... فهي في نظرهم مشروعة !!! إذا كانت تحقق لهم أغراضهم وتوصلهم إلى أهدافهم ومراميهم .

فالزنادقة الذين امتلأت قلوبهم بصديد الحقد على الإسلام ، والحنق على المسلمين ما كان باستطاعتهم صدهم عن دينهم بالقوة ... إذ لم يكن ذلك متيسّراً لهم .. فلجأوا إلى الدسّ ، والتغالي ، وبث الأباطيل والترّهات ... بوضع الأحاديث والكذب على النبي ﷺ إيهاماً للمسلمين وتضليلاً وتشكيكاً بدينهم الحق . ولعل هذا الحديث من جملة تلك الأحاديث الموضوعة المصنوعة ... ففي متنه فضلاً عن سنده من الطامات ، كشفنا ما قدّرنا الله على كشفه آنفاً على أن هذه الفقرة الأخيرة منه من أخطر ما جاء فيه وهي :

فنودي من القبر : إنه غفر لك !!! أي ان النبي ﷺ ناداه من قبره إنه غفر لك .. وذلك تحريضاً لكل من يقرأ هذا الحديث الموضوع من أهل الغفلة أن يصدقه ويفعل ما فعله الأعرابي لينال البشرى بغفرة الذنب كما نالها الأعرابي. فتتفشّى بين أغرار المسلمين هذه الأكاذيب وعلى توالي الأيام يحتج به كحقائق لا ينازع فيها ... وهذا ما حصل بالفعل ... فقد جاء بهذا الحديث وأمثاله ... لا أغرار المسلمين فحسب ... بل وعقلاؤهم وخاصة أهل العلم فيهم مع الأسف الشديد... اللهم إلا من رحم ربك الذين يجددون للناس أمر دينهم ، ويعصمهم الله

من الزلل ، فينصر بهم دينه ، ويحفظ بهم ما أنزل من البينات فيردون الأباطيل ويكشفون الخفايا والأعصبة عن الأبصار والبصائر ... ولا يخلو أي عصر منهم والحمد لله .

إن هذه الخاتمة من هذا الحديث ... أراد بهـا واضعوه أن يدخلوا في روع المسلمين :

١ً – أن رسول الله حي في قـبره ويسمع كلام من يكلمه ، ويجيبهم بكلام مسموع من القبر .

٢ً – تكذيب مـا جاء في القرآن الذي يثبت أن الاموات لا يسمعون ولا يجيبون .

٣ً التألـي على الله بأنه غفر ذنبه مع أن هذا من المغيبات التي لا يعلمها إلا الله.

على أن هذه الأمور غير خافية المقاصد بل هي ظاهرة بينة ، ولا تنطلي إلا على الذين سلموا قيادهم للباطل وانما نرد عليهم بما يلي :

١ً – إن الله تعالى أخبرنا أن (**كل نفس ذائقة الموت**) وقد قال عز وجل: (**وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل**) وقال عز من قائل : (**إنك ميت وإنهم ميتون**) كل هذا يدلنـا على أن رسول الله ﷺ مات كما مات من قبله ومن بعده والذي ينقطع عن الناس بسبب الموت، ينقطع عمله لأنه بشر مثلهم فلا يتكلم ولا يسمع وليس له من بعد وفاته فداه أبي وأمي ونفسي أي اتصال بالدنيا ولو كان من الممكن الاتصال به لكان خليفته الصديق والائمة من بعـــده أولى الناس بذلك فقد حدث من الأمور الجسام ما كان يقتضي الاتصال به واستشارته إذا كان ذلك ممكناً . ولكن لم يتصلوا به لعلمهم الأكيد أنه لا يمكن الاتصال به إلى يوم القيامة ، فكيف ينادي الأعرابيّ من قبره وهـو ميت منقطع العمل والحواس إلى يوم يبعثون ؟

٢ً – لقد قرر القرآن أن الأموات لا يسمعون ولا يتكلمون وإنهم في عالم آخر ليس له أي علاقة بعالمنا هذا : (**ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون**) .

٣ – فما دام رسول الله لا يسمع ولا يتكلم ولا يجيب فكيف يجيب الأعرابي من القبر والقبر والبرزخ من عالم الغيب الذي يجب أن نؤمن به دون أن نراه فان سمع منه صوت أو كلام أو بشارة صار عالم شهادة ، وهذا لن يكون.. وسيظل من عالم الغيب إلى يوم القيامة فإذا انتفى هذا... انتفت البشارة بالمغفرة فلو كان في المنام لكان فيه نظر ... فكيف باليقظة ...؟!!

فإنه من أكذب الكذب على رسول الله ﷺ وقد قال ﷺ [من كذب عليّ يلج النار] ولكن أين الخوف من الله تعالى حتى لا يكذب عليه ولا على رسوله ﷺ . اللهم نعوذ بك من الخذلان وسوء المنقلب .

وهكذا ... فقد اتضح لك يا أخي المسلم ، ما في متن هذا الحديث من الطامات والأباطيل والترهات ، الكذب والافتراء ... مما يدلك دلالة واضحة ، على أن هذا الحديث موضوع ، ومكذوب ومصنوع .. هذا من جهة المتن !!! فكيف إذا ثبت لك أيضاً .. أن سندهُ موضوع .. فلا شك انك ستزداد يقيناً بعدم صلاحه للاحتجاج به . وهذا ما سأحاول إثباته لك ، واليك البيان :

الكلام على سند هذا الحديث

١ – قال في الصارم المنكي: إن هذا خبر منكر موضوع، وأثر مختلق مصنوع، لا يصلح الاعتماد عليه ، ولا يحسن المصير اليه ... وإسناده ظلمات بعضها فوق بعض .

٢ – الهيثم : جدُّ أحمد بن محمد بن الهيثم ، أظنه ابن عدي الطائي . فإن يكنْهُ ، فهو متروك كذاب ... وإلاّ فهو مجهول . وقد ولد الهيثم بن عدي بالكوفة ، ونشأ بها ، وأدرك زمان سلمة بن كهيل فيما قيل ... ثم انتقل إلى بغداد فسكنها .

قال عباس الدوري : سمعت يحيى بن معين يقول : الهيثم بن عدي كوفي ، ليس بثقة كان يكذب . وقال العجلي وأبو داود : كذاب . وقال أبو حاتم الرازي والنسائي والدولاب والأزدي : متروك الحديث . وقال السعدي: ساقط

قد كشف قناعه . وقال ابو زرعة : ليس بشيء . وقال البخاري : سكتوا عنه أي تركوه . وقال ابن عدي : ما أقل ماله من السند ، وإنما هو صاحب أخبار وأسماء ونسب وأشعار . قال ابن حبان : كان من علماء الناس بالسير ، وأيام الناس وأخبار العرب ... إلاّ أنه روى عن الثقات أشياءَ كأنها موضوعات ، يسبق إلى القلب أنه كانيدلسها. وقال الحاكم أبو عبد الله: الهيثم بن عدي الطائي، حدّث عن جماعة من الثقات أحاديث منكرة . وقال العباس بن محمد : سمعت بعض أصحابنا يقول : قالت جارية الهيثم : كان مولاي يقوم عامة الليل يصلي ، فإذا أصبح جلس يكذب ... ! اهـ

٣ً – أحمد بن محمد بن الهيثم عن أبيه – أي محمد بن الهيثم – لا ذكر لهما في «التقريب»ولا «التهذيب»ولا « اللسان » فمن احتج بهما – أي بأحمد وأبيه محمد – فعليه توثيقهما عن إمام من أئمة التوثيق .

٤ً – وقال محمد رشيد رضا : أبو صادق ، لم يسمع من علي رضي الله عنه.

أرأيت يا أخي القارىء المسلم الكريم ، سند هذا الحديث ...؟ وكيف تحفّه الظلمات والجهالات . . والكذب والانقطاع ، وما شابه !؟

إن حديثاً له هذا المتن ... وذاك السند البالي المهلهل ... لا تقوم به حجة أو دليل عـــلى صحة المدّعَى ... وإنك لترى يا أخي ، أن الأحاديث التي أوردوها ... إما أنها مستشهد بها في غير ما مناسبة ... !!! أو أنها معلولة بعلل شتى ... أقوى ما فيها ... الشديد الضعف ! ناهيك عن المكذوب والموضوع ، والمدلس والمنقطع ، وما لا أصل له . فياسبحان الله ... !!! ما بال القوم .. يتمسكون بكل ذي علة من الأحاديث والآثار والأخبار ...؟ ألا يعلمون أن ما يقدمونه من أدلة وبراهين على زعمهم ... لا يصح أن يقال أنها كذلك ... ما دامت – كما رأيت يا أخي – من الضعف والهلهلة ... والعلل الكاسحة ما يوجب أن يخجل منها مقدمها ، ولا يسمح لنفسه أن يردّدَهـــا على شفتيه ... خشية أن تنبىء عن جهله ... أو عن سوء نيته أو عن كليهما معاً ... !!! وعلى كل حال ... فإن الاحتجاج بهذا الحديث ساقط ... لما يحوي من العلل ...

وبقيت دعواهم دعوى مجردة ... وكلما أتوا بما يقويها على زعمهم ... زادوها علة وسقوطاً .

وهكذا ...فإن بتكرار انهزامهم الذريع أمام حجج الحق،يزداد هذا الحق قوة وغلبة عليهم ... فإنهم إلى الآن لم يستطيعوا أن يقفوا على أرجلهم ... حتى ولو على أرجل مرتجفة متخاذلة ... بل ما يزالون قاعدين !!! بل مقعدين لا حول لهم ولا قوة على النهوض . وهذا هو حال من يتقوّى بالباطل، فلا يزيده إلا ضعفاً وتخاذلاً وانهزاماً. اللهم زدنا بك قوة وثبتنا على صراطك المستقيم.

تعدد روايات هذا الحديث :

لقد ورد (حديث توسل الأعرابي هذا ...) في روايات عدة : بعضها بلا إسناد ، والبعض الآخر ، بأسانيد مظلمـــة !!! كما أن الفاظها ، جاءت مختلفة ومضطربة ... مع زيادة ونقصان في جميع ألفاظ متونه ، وفي جميع رواياتـــه وأسانيده . مما يدل دلالة واضحة صريحة ، على أن هذا الحديث في جميع رواياته مختلق موضوع ، وخبر مكذوب مصنوع . وان صنعة الكذب والوضع ظاهرة عليه وإنها بينة جلية واضحة فيه ، وضوح الشمس .

وهاإنك يا أخي القارىء، إطلعت على الحديث في روايته الأولى لفظاً وسنداً وتعليقاً وتحقيقاً . ولا اخالك إلا مقتنعاً، بالنتائج التي تترتب على وضع مثل هذا الحديث . . ولعلك تتوق إلى تفصيل الروايات الأخرى التي ورد فيها ... على نحو ما تم تفيصله في الروايـــة الأولى ... فأهلا بك يا أخي على صعيد التحقيق والتدقيق ... ثم بعد ذلك ، نترك لك الحكم على هذه الروايات المتعددة ... فيما إذا كانت تصلح للاحتجاج بها ، في خلافنـــا القائم مع (القوم ...) هدانا الله وإياهم سواء السبيل .

الرواية الأولى :

وهي الرواية الأولى المتقدمة عن أبي الحسن الكرخي بسنده الى علي بن أبي طالب رضي عنه ، وحاشاه من نسبة هذه الرواية اليه بعد أن تأكدت يا أخي من كذب نسبتها اليه رضي الله عنه وأرضاه .

الرواية الثانية :

أما الرواية الثانية فهي المشهورة (بحديث العتبي) ويحسن بي يا أخي أن أثبت لك نص هذه الرواية كما وردت في كتاب (الشامل) لأبي منصور الصباغ بلا اسناد ... !!

نص رواية حديث العتبي

[كنت جالساً عند قبر النبي ﷺ ، فجاء أعرابي فقال : السلام عليك يا رسول الله ، سمعت الله يقول : (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) .

وقد جئتك مستغفراً لذنبي ، مستشفعاً بك إلى ربي ، ثم أنشأ يقول :

يا خير من دفنت في القاع أعظمُهُ   فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه   فيه العفاف وفيه الجود والكرم]

الكلام على متن هذه الرواية

إن في متن هذه الرواية (حديث العتبي) عللا مشتركة مع الرواية الأولى – رواية أبي الحسن الكرخي – وعللا أخرى مختلفة عنها ... فما توافق منها أحلناك يا أخي على إجابتنا على مثلها فيما سبق من تحقيق الرواية الأولى فارجع اليها إن أعوزك ذلك . أما ما اختلف عنها واضطرب ، عالجناه وناقشناه على ضوء الشريعة المطهرة

١ – تقول الرواية الأولى : [قدم علينا اعرابي بعدما دفنا رسول الله ﷺ بثلاثة أيام ، فرمى نفسه فوق القبر وحثا على رأسه من ترابه] .

بينما تقول (رواية العتبي) : [كنت جالساً عند قبر النبي ﷺ فجاء أعرابي فقال : السلام عليك يا رسول الله ...]

فالعتبي هذا . قال عنه المؤرخون أنه توفي سنة /٢٢٨/ هجرية فهل يمكن أن يحضر حادثة وقعت بعدما دفن الرسول بثلاثة أيام ...؟!! فهب أنه عاش مئة سنة ، فيبقى بينه وبين الحادثة انقطاع مئة وعشرين سنة فهل يمكن أن يحضر

واقعة حدثت قبل أن يخلقه الله بمئة وعشر سنين ...؟!!

وهل تصح رواية الواقعة عنه ...؟

وعلى كل سوف نأتي عند البحث في سند هـــذا الحديث ، على تفصيل تام لترجمة العتبي .

٢ً – إن الرواية الأولى ورواية العتبي تتفقان في إيراد لفظ تلاوة الأعرابي للآية الكريمة : (**ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً**) .

ولقد أجبنا على استدلالهم بهذه الآيـة الكريمة على جواز التوسل بذوات المخلوقين من أنه في غير محله ، وأنه لا قياس بين حياة الرسول وموته ، فما يمكن أن يفعله في حياته ، قد انقطع بسبب وفاته . فارجع يا أخي إلى معالجة ذلك فيما ذكرناه وعالجناه في الرواية الأولى ، مع العلم أن هـــذه الآية الكريمة نزلت في بعض المنافقين ، لا من أجل جواز التوسل بذات الرسول ﷺ

٣ً – ان رواية العتبي، ليس فيهـا أن الأعرابي رمى نفسه فوق القبر ، وحثا على رأسه من ترابه كما في الرواية الأولى . فهذا اختلاف في اللفظ واضطراب في وصف الحادثة ، فلو كان العتبي حاضراً فيها لوصفها كما وصفت في الرواية الأولى فوقوع هذا الاختلاف والاضطراب بـين الروايتين علة طاعنة ومانعة من صحة الحديث والاحتجاج به .

٤ً – قول الأعرابي في الرواية الأولى : [وقـــد ظلمت نفسي وجئتك مستغفراً] وقـــول العتبي أن الأعرابي قال : [وقد جئتك مستغفراً لذنبي مستشفعاً بك إلى ربي] ولم يقل فيها : [وقد ظلمت نفسي] .

وفي الرواية الأولى يقول الأعرابي [وجئتك مستغفراً] وفي رواية العتبي [وقد جئتك مستغفراً لذنبي مستشفعاً بك إلى ربي] . إنهما قد ترافقا تقريباً بين العبارتين المتعلقتين بالمجيء من أجل الاستغفار . وجاءت زيادة في رواية العتبي : [مستشفعاً بك إلى ربي] .

وهنا يجب الوقوف عند قول الروايتين : [وجئتك مستغفراً] في الروايـة

الأولى [وجئتك مستغفراً لذنبي] في رواية العتبي فبصرف النظر عن الاختلاف والاضطراب في لفظ الروايتين ... إن خطراً كبيراً يهون بجانبه خطر التوسل بذوات المخلوقين ، قد ذر قرنه من قوله : [وجئتك مستغفراً] أو [قد جئتك مستغفراً لذنبي] ان هذا الكلام الوارد في كلا الروايتين يوهم – إن لم نقل يؤكد – أن الأعرابي انما جاء القبر ليستغفر الرسول من ذنبه ... ! بينما الآية التي يستشهدون بهـا تقول : (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله) لا فاستغفروك !!! لأن استغفار الله عبادة له تعـالى ، فلا يجوز استغفار أحد من المخلوقين ... حتى ولو كان رسول الله ﷺ فاستغفار رسول الله عبادة له والعبادة لا تليق إلا لله تعالى وحده لا شريك له . إذاً فاستغفار الرسول شرك بالله تعالى.

أما مراد الآية : فهو المجيء إلى مجلس الرسول ﷺ ، وإشهاده على استغفارهم الله من الذنب ، ثم الطلب منه ﷺ أن يستغفر الله لهم ، وليس فيهـا قطعاً ذكر المجيء اليه ﷺ من أجل أن يستغفروه هو من الذنب .

٥ – إن الزيادة الواردة في قول العتبي [مستشفعاً بك إلى ربي] ، هـذا طلب لا يجوز توجيهه إلى رسول الله ﷺ بعد وفاته . إذ كيف يشفع وهـو منقطع العمل بسبب وفاته ...؟ ثم كيف يشفع ولم يصدر الإذن بالشفاعة من الله تعالى ولن يصدر الإذن إلا يوم القيامة لمن يشاء الله ويرضى... وهذه ولا شك عقائد ومعلومات بدهية لا يعذر المسلم في الجهل بها ... فضلاً عن وقوع ذلك في زمن الصحابة الذين هم خير أمـة أخرجت للناس وخاصة أمام علم شامخ من أعلامهم وهو علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه .

٦ – قول الرواية الأولى : [فنودي من القبر « أنه قـد غفر لك »] بينما يقول العتبي في الرواية الثانية : [ثم انصرف الأعرابي فغلبتني عيني ... فرأيت النبي ﷺ في النوم فقال : « يا عتبي إلحق بالأعرابي فبشره أن الله قـد غفر له »] .

لا شك يا أخي أنك قد أدركت الفارق بين اللفظين رواية تقول: أن الرسول قد ناداه من القبر « انه قـد غفر لك » ، ورواية تقول : أن الرسول أتى العتبي في

المنام وأمره أن يلحق بالأعرابي ويبشره بأن الله قد غفر له .

فإذا كان الرسول قد بلغه شفهياً بأن الله قد غفر له فما حاجته بتكليف العتبي أن يبشره بأنه قد غفر له ...؟ فإما أن يكون الأعرابي سمع قول الرسول وبشارته مباشرة منه ﷺ واما أن يبلغها من العتبي ، أما من الطرفين فيكون من التكرار الذي لا طائل تحته.

واذا كان من الممكن نداء الرسول للأعرابي وتبليغه مباشرة فلماذا يستعين بالعتبي ويأتيه بالمنام ويستلحقه بالاعرابي ليبشره ...؟!

أرأيت يا أخي هذا الاضطراب العظيم بين الروايتين مما يؤكد ولا شك أن الروايتين غير صحيحتين بالنسبة لعلل كل منهما .

على أن واضع الحديث في الرواية الأولى يريد أن يوهم المسلمين إمكانية إتصال النبي ﷺ بعد وفاته بأحد من أمته ، بينما هذا مستحيل وقوعه ولو أمكن لكان من الأحرى والأجدى أن يتصل بأمته ﷺ في حوادث هامة ... لم يُعرَف فيها الحق أين هو ... ومع من هو ...؟ وكم كانت تلك الوقائع المؤلمة سبباً لقتل آلاف من الصحابة .

فيا سبحان الله يكلم رسول الله بعد وفاته الأعرابي .. ولا يكلم المسلمين فيما شجر بينهم من المشاكل ...؟!!! إن مثل هذه العلل في متن الروايتين كافية للحكم على هذا الحديث بالوضع والسقوط .

الكلام على سند هذا الحديث

ليس لرواية / حديث العتبي / أي سند يستأنس به للحكم بصحة الرواية ، أو اعتلالها .. ولكن رأينا بصيصاً من الضوء على ذلك ، وهو :

إنه وإن كان العقد منفرطاً إلى العتبي ... وغير معروف من رواه عنه ، إنما نكتفي بالإستدلال على كذب الحديث ...أو على الأقل على علة الانقطاع فيه ، أن العتبي الذي يروي هذه الرواية عن الأعرابي كشاهد عيان !!! أن بينه وبين الاعرابي انقطاعاً يربو على مئتي سنة تقريباً واليك البيان :

١ً – قال زين الدين أبو بكر بن الحسين بن عمر أبي الفخر المراغي المتوفي سنة /٨١٦/ هجرية في كتابه: / تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة ص١١١/ في /ترجمة العتبي/ قال: (أسمه محمد بن عبد الله بن عمر بن معاوية بن عمر بن عتبة ابن أبي سفيان صخر بن حرب توفي سنة ثمان وعشرين ومئتين) .

٢ً – وقال ابن الاثير في كتابه / اللباب في تهذيب الأنساب/ج ١ ص ١١٩: («والعتبي وهي أيضاً نسبة إلى عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس أخي معاوية بن أبي سفيان . وينسب اليه جماعة ، مَنهم محمد بن عبدالله بن عمر بن معاوية بن عتبة بن أبي سفيان العتبي البصري يكنى أبا عبد الرحمن صاحب أخبار وآداب ، حدث عن أبيه وابن عيينة وروى عنه أبو حاتم السجستاني) .

٣ً – وقال ابن خلكان في / وفيات الاعيان / ج ١ ص٥٢٢-٥٢٣ (أبو عبد الرحمن محمد بن عبدالله بن عمر بن معاوية بن عمر بن عتبة بن أبي سفيان صخر ابن حرب بن أمية بن عبد شمس القريشي الاموي المعروف بالعتبي الشاعر البصروي المشهور كان أديباً فاضلا ، وشاعراً مجيداً وكان يروي الاخبار وأيام العرب ... إلى أن قال : روى عن أبيه وعن سفيان بن عيينة ، ولوط بن مخنف وروى عنه أبو حاتم السجستاني وأبو الفضل الرياشي واسحاق بن محمد النعمي وغيرهم وقدم بغداد وحدث بها وأخذ عنه أهلها ... إلى أن قال : وتوفي سنة ثمان وعشرين ومئتين رحمه الله تعالى .

٤ً – ولعل أحداً من (القوم ...)يقول: وما يدريك أن هذا هو العتبي ، المعني بالرواية عن الأعرابي فأقول :

وإنني أؤكد أنه هو نفسه الذي تزعمون أنه رأى الأعرابي صاحب القصة ودليلنا على ذلك ما حكى عنه المؤرخون وخاصة اعتراف رجل منكم ممن يجوزون التوسل بذوات المخلوقين وهو :الشيخ السبكي مؤلف كتاب/ شفاء السقام/ (الذي رد عليه ابن عبد الهادي في / كتابه الصارم المنكي في الرد على السبكي/ قال في الصفحة /٢٣٦/ منه :

(قال السبكي في كتابه / شفاء السقام في زيارة خير الأنام / العتبي ، واسمه محمد ابن عبد الله بن عمر بن معاوية بن عمر بن عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب كان من أفصح الناس روايـة للأدب وحدث عن أبيـه ، وسفيان بن عيينة توفي سنة ثمان وعشرين ومئتين يكنّى أبا عبد الرحمن) اهـ . كلام السبكي). وذلك طبعاً بعد أن ذكر حكاية العتبي وروايته عن الاعرابي مستدلاً بها في كتابه على جواز التوسل بذوات المخلوقين .

إذا ... فالعتبي الذي تزعمون انه صاحب الرواية عن الأعرابي .. هو نفسه المترجم في الكتب المذكورة بشهادة شيخكم السبكي في كتابه : / شفاء السقام في زيارة خير الأنام / ، (وشهد شاهد من أهلها) بينما في الحقيقة أن العتبي هذا ... تأخر عن العتبي الذي يريدون اقحامـه في الرواية عن الأعرابي .. بما يربو على المئتي سنة تقريباً ... فتأمل .

قال ابن عبد الهادي في كتابه : / الصارم المنكي في الرد على السبكي :

(وأما حكايـــة العتبي التي أشار اليها – أي السبكي – حكاية ذكرها بعض الفقهاء والمحدثين ، وليسَت بصحيحة ولا ثابتة إلى العتبي .. !!

وقد رويت عن غيره باسناد مظلم ... وهي في الجملة حكاية لا يثبت بها حكم شرعي ، لا سيما في مثل هذا الأمر الذي لو كان مشروعاً مندوباً ، لكان الصحابة والتابعون أعلمَ به وأعملَ به من غيرهم وبالله التوفيق) اهـ .

* * *

الرواية الثالثة :

وقد رويت هذه القصة ... لا عن العتبي ... إنمـا رويت أيضاً عن محمد بن حرب الهلالي عن الاعرابي وتارة عن محمد بن حرب الهلالي عن أبي محمد الحسن الزعفراني عن الاعرابي .

والزعفراني هذا من أجلة أصحاب الشافعي وأعيانهم توفي سنة /٢٤٩/ رحمه الله فكيف يمكنه الرواية عن الاعرابي الذي تقدمه كل هذا الزمن .. !!؟

وانك يا أخي لترى هذا الاضطراب البالغ فتارة يروون هذه القصة عن علي ... وتارة عن العتبي الذي كلفه الرسول ﷺ في المنام أن يلحق بالأعرابي ويبشره

بالمغفرة وتارة أخرى يقولون ان محمد بن حرب الهلالي هـو الذي رأى الأعرابي وهو الذي رأى الرسول في المنام وكلفـه أن يبشر الاعرابي بالمغفرة . وطوراً يقولون بل الحسن الزعفراني هو الذي رأى الأعرابي ورأى المنام ...

ثم اضطرب في اسم محمد بن حرب الهلالي فتارة يقولون هو محمد بن حرب الهلالي وتارة يذكره الزبيدي في كتابه شرح أحيـاء علوم الدين أنه محمد بن كعب الهلالي .

ثم إن الهلالي تأخر والله اعلم في الوفـاة عن شيخه الزعفراني الذي توفي سنة ٢٤٩ فكيف يمكنه الرواية عن الأعرابي الذي يعزون زمن قصته إلى ثلاثة أيام خلت من دفن رسول الله ﷺ ... !!؟؟

قال ابن عبد الهادي رحمه الله :

(هذه الحكاية التي ذكرها السبكي ، بعضهم يرويها عن العتبي بلا اسناد !!! وبعضهم يرويها عن محمد حرب الهلالي عن الأعرابي ، وبعضهم يرويها عن محمد ابن حرب عن الحسن الزعفراني عن الاعرابي . وقد ذكرها البيهقي في كتاب / شعب الايمان/ باسناد مظلم عن محمد بن روح بن يزيد البصري حدثني ابو حرب الهلالي – ويرويها بنحو ما تقدم ... – وقد وضع لها بعض الكذابين اسناداً إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ... وفي الجملة ليستهذه الحكاية المذكورة عن الاعرابي ... مما تقوم به حجة على مطلوب المعترض ، ولا يصلح الاحتجاج بمثل هذه الحكاية ، ولا الاعتماد على مثلها عند أهل العلم وبالله التوفيق) اه .

قلت : ولا ندري من هو هذا الاعرابي الذي أقاموا الدنيا واقعدوها بقصته إنهم لا يسمونه ولا في رواية من جميع رواياتهم فيكون الاعرابي أخيراً مجهولاً غير معروف .

وعلى فرض صحة الروايات ... وأنها قصة واقعة فأي احتجاج ينهض من عمل هذا الأعرابي المجهول؟ومتى كان الأعراب يؤخذ عنهم العلم؟ اللهم الا إذ كان الأعرابي صحابياً ، فعلى الرأس فالأعرابي الصحابي نأخذ عنه ولو كان مجهول الاسم فهذا لا يضر الصحابي في شيء ... وأروني صحابياً واحداً ثبت أنه فعل

فعلُ ذلك الأعرابي المزعوم ثم وعلى فرض أن الحادثة واقعية ... أي حجة (للقوم ...) على جواز ما يزعمون من التوسل بذوات المخلوقين ... إن عمل الاعرابي من أوله إلى آخره صحيحاً كان أو موضوعاً ليس فيه أي دليل على جواز التوسل بالمخلوقين وان عمله لم يكن قط توسلا بالرسول ﷺ . وكل ما في الامر أنه أتى متأولا للآية (ولو أنهم اذ ظلموا انفسهم جاؤوك ...) ظاناً أنه يمكن أن يستغفر له الرسول بعد وفاته ... وأن يشفع له . . في الوقت الذي لمّا يحنْ بعد زمن الشفاعة ، وما وقتها وزمنها إلا بعد يوم القيامة وبعد الإذن منه تعالى لمن يشاء ويرضى . وحتى ان في بعض الروايات عن الأعرابي زيادة بيت على البيتين اللذين أنشدهما أمام قبر الرسول ﷺ . ففي هذه الرواية ينشد الاعرابي ثلاثة أبيات :

يا خير من دفنت في القاع أعظمُه ٭ فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه ٭ فيه العفاف وفيه الجود والكرم
أنت النبي الذي ترجى شفاعته ٭ عند الصراط إذا ما زلت القدم

وهكذا ترى يا أخي أن الأعرابي هذا يروون عنه أنه انشد الابيات الثلاثة وفي آخرها كما ترى :

أنت النبي الذي ترجى شفاعته ٭ عند الصراط إذا ما زلت القدم

فإن الأعرابي يقر بأن الشفاعة لا ترجى من الرسول إلا عند الصراط وذلك يوم القيامة فكيف يطلبها في الدنيا ...؟ هذا تناقض واضح ، واضطراب في الروايات بالغ، يدل كما قلنا على عدم صحة الرواية عن الاعرابي .

والحقيقة ... إنه ليس هناك أعرابي ولا غيره ولا وقعت تلك الحادثة أصلا إنما هي موجودة في مخيلات من اخترعوها ووضعوها وكذبوا بها على الله وعلى رسوله وعلى الناس أجمعين ، فإن كانوا قـــد تابوا . إلى الله مما فعلوا .. وإلا فندعوا الله تعالى ان يعاملهم بما يستحقون من عدله جزاء ما اقترفوا من الآثام فضلوا وأضلوا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

١٣ ـ خبر العتق

رُوي في الدر المنظم : أن أعرابياً ... وقف على القبر الشريف وقال : اللهم إن هذا حبيبك ، وأنا عبدُك ، والشيطانُ عدوُّك. فإن غفرت لي... سر حبيبك ، وفاز عبدُك ، وغضب عدوّك . وان لم تغفر لي . . غضب حبيبك ، ورضي عدوك ، وهلك عبدك . وأنت يا رب ... أكرم من أن تغضبَ حبيبَك وترضي عدوّك ، وتهلك عبدك .

اللهم : إن العرب إذا مات فيهم سيد اعتقوا على قبره ، وإن هـذا سيد العالمين فاعتقني على قبره ، يا أرحم الراحمين .

فقال بعض الحاضرين : يا أخا العرب ، إن الله قـد غفر لك ، بحسن هذا السؤال .

لعلك يا أخي ... لا تحتاج إلى كبير عناء ... لاكتشاف مـا انطوى عليه هـذا الخبر من الدس اللئيم ، والمكر الخبيث ، الكامن في متن هذه الرواية الموضوعة المصنوعة ... إنما مع ذلك ، لا بد من الإشارة إلى ما خفي بين طياتها من الدس والمكر والخبث واللؤم . فتتعرى مكشوفة الأستار . . ويتضح لكل ذي عينين ما كان كامناً خلف تلك السجف المهترئة ...! التي كان يظن أصحابها أنها الحجب المتينة التي لا تنمّ ولا تشف .

هذا الخبر ... تكاد كل جملة فيه... تصرخ أنه مكذوب موضوع . برغم ما حرص واضعوه على تغطيته بعبارات منمقة ، ومذوقة مصنعة ، بزخرف القول.. لاخراجه بأثواب ظنوا انهـا كاسية صفيقة ... تخفي ما تحتها من الطامات والبلاوي ..فاذا بها تظهر ما وراءها من النفوس الحاقـدة على الإسلام وأهله . ويرمون من وراء صنعة الكلام ، وزخرفته الكتابية ... إدخال هذه الطامات والأباطيل ، إلى القلوب الغافلة ... فتعالج فتحها بأناة وصبر ، ورويداً رويداً حتى يجدوا فيها منفذاً ينفثون فيه سمومهم من العقائد الفاسدة والزندقة الخبيثة الماكرة .

ولكن خاب فألهم ، وارتد كيدهم إلى نحورهم ، وإن الله تعالى الذي تولّى حفظ دينه سينصر كلمته ويجعلها هي العليا ... ويجعل كلمة الذين كفروا السفلى .

وإننا نرجو من إخواننا الذين اغتروا بها وتخدروا ردحاً من الزمن بسمومها .. أن يصحوا الآن على ترياق الحق ، ويعلموا أن ما كان يؤثر عليهم ... إنما هو كيد عدو ماكر كافر ، ودس زنديق خبيث فاجر . فيعودوا – إن شاء الله – إلى الصف المحمدي إخوةً أحباء ، وأشقاء كرماء ، ويتأكدوا أن ما كان فيهم هو من أثر كيد كائد حانق حاقد .

ولنبدأ بكشف الأقنعة عن هذا الخبر ... ليتضح لك يا أخي ... أنه لا يصلح حجةً ولا دليلاً على صحة (دعوى القوم ...) واليك البيان :

١ً – هذا الخبر في أي زمن كان ...؟ وهذا الأعرابي من هو ...؟ أصحابيٌ أم تابعيٌ أم من هو ، وما هي هويته ...؟ وهؤلاء الذين استحسن أحدهم سؤال الأعرابي .. من هم ومن هذا الذي استحسن وبشر الأعرابي بمغفرة ذنبه وتألّى على الله واكتشف الغيوب ...؟

٢ً – هل في كلام الأعرابي ... أو كلام من استحسن كلامه ، وبشره بالمغفرة ما يؤيده الكتاب والسنة ... حتى تقوم الحجة ويستقيم الدليل ...؟ هذان سؤالان ... يردان على الخاطر قبل الشروع بمناقشة أجزاء هذا الخبر ... ولعلهما يكونان المفتاح الذي نفتح به باب الأجوبة عن كل سؤال يرد اثناء النقاش حتى تنهتك الأستار سِتراً سِتراً ، ويظهر من ورائها الوضاعون والكذابون .

ان هذا الخبر ... والقصة الواردة فيه واشخاصها : الأعرابي ومن كان معهما فيهم ذلك الذي بشره بالمغفرة .. !!؟ مجموعة مجاهيل ، وليس لهم وجود إلاّ في أدمغة من اخترعوا هذا الخبر ولفقوه وصنعوه .

لا يهمنا معرفة اشخاص القصة ، بقدر ما يهمنا ما نسجوا فيها من أفكار ، وما ضمنوها من العقائد الفاسدة والزندقات الماكرة ، والعقائد الكافرة بكلمات منمقة وعبارات مزخرفة باسم محبة الرسول ... والتوسل بذاته ، وإيهام العامة

أن تلك الكلمات المنمقة المؤلف منها دعـــاء الأعرابي . . كانت سبباً في المغفرة له ... !!!؟

ويحسن بنا أن ندرس ما اصطنع الكذابون على لسان الأعرابي ... من الدعاء ولنوضح ما جاء به ونكشف الأقنعة عنه ليظهر على حقيقته عارياً من كل حجاب ويتأكد الجميع ما حواه من العقائد الزائفة الكافرة .

١ً – جاء في دعاء الأعرابي المصطنع : [وإن لم تغفر لي غضب حبيبك.] أي غضب رســـول الله ﷺ !!! ولكن ممن يغضب ...؟ أليس ممن لم يغفر للأعرابي ...؟ ومن هو الذي لم يغفر للأعرابي ...؟ أليس هو الله ...؟ نعوذ بالله من الكفر ... وهل يغضب رسول الله ﷺ من حكم ربّه ...؟ وما حكم الغضب من الله وعدم الرضى بما حكم وقدر ...؟ أليس كفراً ... فكيف ينسب يا ناس هذا الكلام لرسول الله ﷺ ... !!!؟ نعوذ بالله تعالى من الخذلان وسوء الخاتمة .

أرأيتم كيف يريد واضعو هذا الخبر أن يصفوا رسول الله ﷺ ...؟ وهـل هذا من صفاته وأخلاقه مع ربه الذي وصفه في القرآن الكريم : (وإنك لعلى خلق عظيم)؟ أرأيتم يا مسلمون كيف يريد هؤلاء أن يكذّبوا ما جاء في القرآن من وصف الرسول الأعظم ...؟ هذا تكذيب لله وطعن في رسوله ﷺ والعياذ بالله تعالى .

٢ً – إذا كان الله مقدراً عدم المغفرة للأعرابي . . فهل إذا قال الأعرابي : [وإذا لم تغفر لي غضب حبيبك] يتفادى الله غضب حبيبه ... فيتحوّل فوراً من عدم المغفرة ، إلى المغفرة ... !!!؟؟ تجنباً لغضب حبيبه ... !!؟ وهل يؤثر على الله أحد (والله غالب على أمره) (وهو يجير ولا يجار عليه).

٣ً – علم رسول الله من ربه أن أبويه في النار[١] لأنهما ماتا مشركَيْن ، فهـل غضب من حكم ربّه تعالى على أبويه ... أم تبرأ منهما كما تبرأ إبراهيم من أبيه ..؟ أجل تبرأ منهما ورضي بحكم الله فيهما ... لأن الله تعالى هو الحكَم العدل الذي لا يجور . فياسبحان الله ! يرضى رسول الله بحكم الله في أبويه .. ويغضب من ربه

من اجل الاعرابي إذا لم يغفر الله له ...!!!؟ سبحانك هذا بهتان عظيم .

٤ - ثم يقول الأعرابي في دعائه : [وأنت يا رب أكرم من أن تغضب حبيبك] فجعله محابياً ...!! لأن عدم المغفرة لا يكون إلا بسبب ... وذلك لفعل فعله الأعرابي وذنب قد ارتكبه ... فكان عدم المغفرة جزاء وفاقاً ... فإنّ تحوُّلَ الله سبحانه من عدم المغفرة ... إلى المغفرة صار محاباةً لرسوله يتّقي بها غضبه .. وتعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً .

ألا إن المحـاباة خلقٌ ذميم ... وأن أي إنسان إذا قلت له : يا محابي ... غضب منك حق ولو كان يعلم من نفسه فعلا انه محابٍ ، لأن صفة المحاباة صفة ذم .. فكيف ينسبونها لرب العالمين ويصفونه بها ... سبحان الله الملك القدوس له الأسماء الحسنى والصفات العلى، ولا يفاضل بين أحد من عباده إلا بالتقوى... لا من أجل نبيّ ولا ملك ولا أحد من خلقه .

٥ - يقول الأعرابي : [إن العرب إذا مات فيهم سيّدٌ ، أعتقوا على قبره. وإن هذا سيد العالمين ، فاعتقْني على قبره يا أرحم الراحمين] يريــد واضعو هذا الخبر ... أن يدسّوا على المسلمين هذا الدعاء ... فيدعوا به أملاً منهم أن يُسقطوهم في هوةٍ سحيقة من عدم معرفة حقّ الله عليهم وإليك البيان :

إذا قال أحد الناس لشخص آخر : إقتدِ بفلان ... فمعنى ذلك أن فلاناً في مكانة محترمة ويكلفه أن يقتدي بأعماله التي سوّدته ، وجعلته في تلك المكانة.. فمعنى ذلك أن المكلف بالاقتداء به دونه مكانة وإلاّ لما حرّضه على الاقتداء به.. إذن فُهِمَ أن المقتدَى به أعظمُ وأفضلُ من المقتدي . هذا مسلّم به ولا شك.

فتعالَ يا أخي ... ولنمعن في قول الأعرابي ... نرَ أنه يطلب من الله أن يفعل ما يفعله العرب إذا مات فيهم سيدهم من العتق على قبره بمعنى أن يقتدي بفعل العرب ويعتق الأعرابي على قبر رسول الله ﷺ .

فتعالَ يا أخي وانظر ... من هو المقتدي ... ومن المقتدَى بـه في هذا الدعاء ...؟ أليس المقتدي هو الله ... والمقتدَى بهم هم العرب ...؟

لا أستطيع أن أزيد على هذا البيان ولا كلمة واحدة إلاّ أن أقول : نعوذ

بالله من الكفر وسوء الخاتمة ، ونعوذ به تعالى من الزندقة المبرقعة في أثواب التقى الكاذب الخداع .

٦ً – كما أن العرب يعتقون العبيد على قبر سيدهم تقرباً إلى الله ... فكذلك يطلب الأعرابي من ربه أن يعتقه على قبر الرسول ﷺ ولكن تقرباً لمن ...؟ ألا إن شأن الله أعظم من أن يتقرَّب إلى أحدٍ وهو الغني عن العالمين .

٧ً – إن المعروف من قواعد التأدّب مع العظماء إذا كنتَ في حضرتهم ... لا يجوز أن تذكر أحداً بسيادة أو تعظيم من عبيدهم دونهم ... ولا شك أن محمداً ﷺ سيدنا ... ولكن لا ينبغي عندما نناجي السيد الأعظم وهو الله تعالى أن نذكر أحداً بسيادة أثناء دعائه ... ولذلك جاءت الصلوات الإبراهيمية خلوةً من التسييد لأنها دعاء لله تعالى في الصلاة على عبده ورسوله محمد . فالسيادة في موقف الدعاء ... كلها لله تعالى فهو السيد الأعظم تبارك وتعالى وتقدس . وليس من التأدّب مع الله اثناء دعائه أن نذكر عبده محمداً بأنه سيد العالمين وإن كان هو كذلك .

٨ً – الأعرابي كما تبين تكلم بكلمات فيها طامّات وأباطيل وتشكيكات ظهرت لك يا أخي بيِّنةً واضحة ، وهو كما علمت مجهول الهوية بل هو شخصية موهومة اخترعها واضعو هذا الخبر ... فلو فرضنا أن ليس في أقواله شيء يؤاخذ به عليه ، وأنه معروف الهوية مثلاً ... فليس هو حجّة حتى تتّبع أقواله ... وليس في أقواله أية حجـــة على المطلوب فكيف إذا كانت أقواله من الكفر والزندقة على شيء عظيم ..؟

٩ً – لقد أثبتنا أن أقوال الأعرابي على جانب عظيم من الانحراف عن أساس ما جاء به القرآن الكريم ، فلو عرضناها بنداً بنداً وجملة جملةً ، وكلمة كلمة .. على القرآن والسنة ... لوجدنا فيها تجافياً كبيراً عما جاء فيهما من الحق . فإذا كان الأمر كذلك ... فأي حجة في هذا الخبر على المطلوب من أنه يجوز التوسل بذوات المخلوقين ... وهل من دليل أقوى إثباتاً وحجة على بطلان (دعوى القوم ...) من هذا الخبر ... وأي حجة قامت به على صحة دعواهم ... اللهم

إلا ما انفضح من طوايا واضعيه وما انكشف من مخبــآت زندقاتهم الفاجرة الكافرة .

١٠ – إن واضعي هذا الخبر الباطل .. لم يكتفوا بما دسوا فيه من بلايا على لسان الأعرابي المزعوم . . بل اخترعوا له شاهد زور !!؟ يشهد لدعائه بأنــه دعاء حسن ... وكان سبباً في مغفرة الله للأعرابي ! وشهود زور آخرين... أقروا بسكوتهم شهادة الذي تألـى على الله وقال : [يا أخا العرب ... إن الله قد غفر لك بحسن هذا السؤال ...!]

وإننا نناقش شهادة شاهد الزور في مسألتين :

الأولى : من أين علم أن الله قد غفر للأعرابي ...؟ أ أوحي إليه !!؟ أم أنه يتألـى على الله.. ؟ إن مغفرة الله لعبده من أمور الغيب... ولا يمكن القطع بها لأحد قط ... إنما ترجى له من الله رجاءً ودعاء ...فالقطع والجزم بها ، على الشكل الوارد في الخبر ... إنما هو كذب وجرأة على الله ... أو ادّعاء منه بأنه يعلم الغيب ، ولا يعلم الغيب إلاّ الله (**عالم الغيب فلا يُظهر على غيبه أحداً إلاّ من ارتضى من رسول ...**)

الثانية : أي حسن في سؤال الأعرابي ودعائه من أوله إلى آخره ...؟ وإنه مليء بالكفر والزندقة كما ثبت ذلك آنفاً ..؟ ثم ان سكوت الحاضرين ... على شهادة شاهد الزور ... إقرار لشهادته الكاذبة الكافرة ... إذا كان هناك واقع لكل ما ذكر ... أمــا الحقيقة ، فليس هناك أعرابيٌّ ولا دعاءٌ ولا سؤال ... ولا حاضرون ولا غائبون ... إنّما هو خـــبر ملفّق من أساسه ... موضوع مكذوب مصنوع مختلق ...! وضعه الزنادقة الكفرة الفجرة ... وتلقّفه (القوم ...) دونما تمحيص أو تدقيق ... وذلك على عادتهم في كل ما أوردوه إلى الآن من أحاديث وآثار وأخبــار ... بلا رويّة ولا فهم هدانا الله وإياهم .

١١ – وعلى فرض أن الخبر واقع ... فليس فيه حجة على دعوى القوم ... ولا علاقة ولا ذكر ولا بيان لجواز صحة التوسل بذوات المخلوقين وليس له أي ذكر أو مناسبة وكل ما يدل عليه الخبر... أن الأعرابى طلب المغفرة من الله..

وهدد ان لم يحصل عليها ... بغضب رسول الله والعياذ بالله ... فأين الدليل في هذا الخبر-إن كان ملفقاً أو واقعياً-على صحة ما أدّعاه (القوم ...) من جواز التوسل بذوات المخلوقين ...؟ إنهم تبنوا هذا الخبر وحملوا وزره أملاً أن يكون لهم حجة على صحة دعواهم ... فلم يفلحوا بالحصول على الحجة ... وباءوا بحمله وتبنّيه وعادوا بخفي حنين متحمّلين أعباء الخبر الذي لم يكن إلا عبـــارة عن طامّات وجهالات وظلمــات بعضها فوق بعض ... فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

الكلام على سند هذا الخبر

لا كلام على سند هذا الخـــبر .. لأنه لا سند له !!! ولا زمام ولا خطام ، وليس له ذكر في أيٍّ من كتب الحديث ... فما دام هذا الخــــبر ... في هذا الدرك الأسفل ... من عدم وجــود سند له يدل على صحته ... فضلاً عن متنه المكذوب الملفق وما حوى من المشاكل والأباطيل . فهو حديث باطل لا وجود له إلا في أدمغة من اخترعوه ووضعوه وصنعوه ... و(صدّقوه !!؟) فكيف يصلح للاحتجاج به على ما يزعـــم (القوم ..) ولكن ما العمل ... وهذا شأنهم ... وهذا سبيلهم ... وهذا منهجهم ... يتكرّر دائماً وأبداً في كل حديث أو خبر يحتجّون به ... ألا إن هذا الخبر ، أقل ما يقال في واضعيه أنهم زنادقة كفرة ... وأقل ما يقال في مصدقيـــه والمحتجين به انهم سخفاء أغبياء أغرار جاهلون ، بَلَـهٌ مغفلون ...

وأخـــيراً ...

أرأيتَ يا أخي ... كيف ينسج الوضّاعون بضاعتهم الكاذبة المفتراة ...؟ أرأيت كيف يحاولون حبكها ... !!! أملاً ، أن يغترَّ بها البسطاء والمغفلون .. ولكن الله جل جلاله وله الحمد ، أظهر ما كانوا يبطنون ... وكشف مـا كانوا يضمرون من المقاصد الهدامـة ... فسفّه أحلامهم ، وفضح أسرارهم ، وأفصح عن نواياهم الخبيثة الماكرة ... حتى أصبحت عريانـة أمام الجميع ... لا تخفى منها خافية ، على كل ذي بصر وبصيرة .

والحمد له تعالى على ما وفقنا اليه من العمل بما اوهن كيدهم، ودحض أباطيلهم. فأحق الحق ، وأزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقا . والحمد لله ربّ العالمين .

١٤ ـ أبيات الاعرابي ..

روى البيهقي عن أنس رضي الله عنه ، [أن أعرابياً ... جاء الى النبي ﷺ يستسقي به ، وأنشد ابياتاً اولها :

أتيناك والعذراء يدمى لبانها وقد شغلت أم الصبيّ عن الطفل

إلى أن قال :

وليس لنا إلاّ إليك فرارنا وأنىْ فرار الخلق إلاّ إلى الرسل

فلم ينكر ﷺ هذا البيت ... بل قال أنس: لمّا انشد الأعرابي قام ﷺ يجر رداءه .. حتى رقى المنبر فخطب ودعا لهم فلم يزل يدعو حتى أمطرت السماء].

الكلام على متن هذا الحديث

إن القوم ... هداهم الله ، من كثرة تعلقهم بهذه القضية أي بالتوسل بذات المخلوقين ... فان هوَساً أصابهم في التفتيش عن حجة يتعلقون بها ويتمسكون بأهدابها لعلهم يجدون فيها دليلاً ينصرهم في دعواهم ... لدرجة أصبحوا يؤوّلون مفاهيم اللغة ولا يرون بأساً في تحميلها من المعاني ما لا تحتمله ... حتى وقعوا بمشاكل كانوا متعافين منها ... فجرّوا على أنفسهم متاعبَها، ويا ليتهم في الأخير نجحوا فيما يؤملون ... بل على العكس زادوا خصومهم قوة على قوة . لأنهم هداهم الله لا يرعوون من خيبتهم في المرة الأولى من تشبثاتهم تلك .. بل أعادوا الكرة ثانية وثالثة ورابعة،وكان نصيبهم من الخيبة والخذلان يتكرر في كل مرة.

إن المفاهيم التي اضفوها على بعض الألفاظ اتفقوا فيا بينهم أنها تعطي المعاني المعينة التي اتفقوا عليها ... ولكن هذه المفاهيم بقيت على معانيها اللغوية الأصيلة عند الناس وهي التي تخالف المعاني للمفاهيم الجديدة التي اصطلحوا عليها.. ولذلك ترى الناس لا يقرونهم على مفاهيمهم وتبقى القضية مستعصية الحل ... وخذ مثلاً على ذلك ما جاء في هذا الحديث . .

١ً – يقول لفظ الحديث هذا : [أن اعرابياً .. جاء إلى النبي ﷺ يستسقي به ...] ففهموا منها أي من كلمة [يستسقي به] أي يستسقي بذاته أو بجاهه ... !!! وذلك حسب المفاهيم المصطلحة عندهم ... على أن هذه المفاهيم لم يعمموها بين الناس انما بقي الناس على المفاهيم الأولية ففهموا منها : ان الاعرابي جاء إلى النبي ﷺ ليدعو الله لهم بأن يسقيهم الغيث ، وإلاّ ... لبقي الاعرابي في منزله واكتفى أن يقول – وهو في بيته – : اللهم اسقنا الغيث بجاه نبيك أو بذات نبيك ولما تجشم عناء المجيء من أهله وبيته إلى النبي ﷺ في المدينة ولكنه لم يفعل ذلك بل أتى إلى النبيّ ليدعوَ لهم بأن يسقيَهم الله المطر والغيث.. ويدل على هذا القصد قول أنس رضي الله عنه في آخر الحديث : [... فخطب ودعا لهم فلم يزل يدعو حتى أمطرت السماء] فلولا أنه طلب الدعاء منه لم يدع لهم ...

٢ً – وكذلك فانهم تمسكوا ببيت الأعرابي الذي أنشده أمام النبي ﷺ :

[وليس لنا إلاّ إليك فرارنا وأنّى فرار الخلق إلاّ إلى الرسل]

وفهموا منه جواز الفرار إلى رسول الله في النائبات والاستغاثة به وبالرسل عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام مع أن واقع الأعرابي يخالف مفاهيمهم ... ولو أن مفاهيمهم تلك ... تفضلوا وعمّموها على الناس ... وتبنّت مجامع اللغة العربية في كل بلاد العرب مفاهيمهم ، وأصدرت هذه المجامع اللغوية قرارات بذلك لقلنا والله لهم الحق في فهمهم الجديد ... ولغيّر الناس أيضاً مفاهيمهم طبق مفاهيم القوم الجديدة للكلمات والألفاظ ... وإلى الآن لم تتغير المفاهيم والناس هم على ما هم عليه من فهم صحيح للغتهم التي وسعت كلام الله تعالى ... والمجامع

العلمية للغة العربية لم تتخذ بعد تلك القرارات !!! فمن أين لهم الحق بإلزامنا بمفاهيم مغلوطة خاطئة. وعلى فرض أن الناس غيروا مفاهيمهم إلى مفاهيم القوم.. فإن الأعرابي كان وجوده قبل تغيير المفاهيم القديمة إلى مفاهيم جديدة ... وما كان ليدري أن لغة العرب سيطراً على مفاهيمها هذا «التحسن الجديد ... !!!» وبناء على ذلك علينا أن نفهم كلامه مجرداً عن مفاهيم القوم الحديثة ... أي كما كان العرب يفهمون معاني الألفاظ والكلمات بحسب المدلولات العربية في عهدهم.

وعلى هذا الأساس نفهم كلام الأعرابي أو معنى بيته الشعري: أن الناس كانوا يقاسون القحط والجفاف والجوع حتى ذهلت أم الطفل عن طفلها. وها نحن قد فررنا اليك يا رسول الله لتدعو لنا ربك أن يسقينا الغيث، فإن دعاءك ليس كدعائنا فأنت رسول الله ومستجاب الدعوة فأعنا على القحط والجوع بدعائك. فدعا لهم فأمطروا ويدل على هذا الفهم البيت الذي قبله وهو:

أتيناك والعذراء يدمي لبانها   وقد شغلت أم الصبيّ عن الطفل

أي افتتح الأعرابي شكواه بهذا البيت ثم اختتمه بالبيت الاخير:

وليس لنا إلا اليك فرارنا   وأنّى فرار الخلق إلاّ إلى الرسل

أي لا سبيل إلى نزول المطر والغيث إلاّ بدعائك لنا الله أن يغيثنا ويمطرنا... فصعد الرسول المنبر ودعا لهم فلم يزل يدعو حتى أمطرت السماء ...

فأي حجة لكم بهذا الحديث على جواز التوسل بذات الرسول ﷺ وقلنا آنفاً لو أن الأعرابي منصرف النية إلى التوسل بذاته ﷺ لتوسل بذلك وهو في داره وبين أهله، ولما أتى رسول الله من أهله إلى المدينة إنما قصده لدعائه ﷺ ... وقد فعل عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم وأزكى التحية.

وإن هذا أي فعل الأعرابي بتكليف الرسول أن يدعو لهم، جائز ولا شك وهذا من نوع التوسل بدعاء المؤمن لأخيه المؤمن الذي نوهنا عنه سابقاً في تقسيم أنواع التوسل. وأقررنا مشروعيته فليرجعْ اليه من شاء. وعلى هذا فإن متن الحديث – إن صح سنداً – فليس فيه أية حجة لكم أو دليل على جواز ما

تذهبون اليه من توسل المخلوق بذات المخلوق أو بجاهه. وإن قصدكم هذا ...لم يمر ببال الأعرابي ولا طرأ على خاطره ... لأنه بعد ... لم تتح له الأقدار أن يبقى حياً ليطلع على (مفاهيمكم الجديدة)فهو معذور إذا لم يفهم فهمكم، ولم يقصد قصدكم فتفضلوا بالعفو عن مفهوم الأعرابي وقصده ... والعفو من شيم الكرام . .

لقد بيّنا لك يا أخي أن متن الحديث ...لا يساعد القوم على اتخاذه دليلا لهم على صحة دعواهم . وهاك الآن سند هذا الحديث :

الكلام على سند هذا الحديث

لا شك أن متن هذا الحديث صحيح المعنى على الشكل الذي نفهمه ...والذي يوافق مفهوم الصحابة له ... ويوافق اللغة العربية ، وإن سياقه يدل دلالة صريحة على أن الأعرابي ما جاء يتوسل بذات أو جاه الرسول ﷺ ، إنما جاء ليتوسل بدعائه إلى الله أن يغيث قومه وبلاده وقلنا أنه لو كان قصده الذات والجاه لكان يكفي أن يتوسل بهما وهو في أهله ... لا سيما وإن نص البيتين يفيد ذلك . نعم ان هذا الحديث صحيح المعنى ، ولكن ليس كل حديث صحيح المعنى يكون في نفس الوقت صحيح السند وأن رسول الله قاله فعلا ... كقولنا مثلا : العسل طعام لذيذ نافع فهل يجوز أن نعزي هذا القول إلى رسول الله ﷺ ، فنقول : قال رسول الله : العسل طعام لذيذ نافع ...؟!! كلا لا يجوز ونكون قد كذبنا عليه ﷺ وإن كان في واقعه كلاماً صحيحاً .

وهكذا فقد اتضح لنا انه ليس كل كلام صحيح ، يجوز أن نعزوه لرسول الله ﷺ . وهذا الحديث الذي نحن بصدد الكلام على سنده من هذا النوع تماماً فهو كلام صحيح المعنى ولكنه واهي السند وانظر ما قال العلماء الأعلام فيه :

إن في سند هذا الحديث ... (مسلم الملائي) وهو واه جداً . قال الفلاس : متروك . وقال أحمد : لا يكتب حديثه . وقال يحيى : ليس بثقة . وقال البخاري : يتكلمون فيه . وقال يحيى أيضاً : زعموا انه اختلط . وقال النسائي وغيره : متروك . وقال الذهبي : إنه روى حديث الطائر الذي أهدته

أم أيمن لرسول الله ﷺ . وحديث الطائر موضوع عند أهل الحديث . وانفرد بتصحيحه الحاكم . واعترض على الحاكم أكثر أهل العلم ومن أراد المزيد فلينظر ترجمة الحاكم في النبلاء .

إذاً فالحديث واهي السند لا يحتج به ... وإن كان متنه صحيح المعنى على الشكل الذي نفهمه أما إذا كان (القوم ...) لا يزالون – رغم توضيحنا – يفسرونه بأنه توسل بالذات ... فيكونون قد جانبوا الحق ، وحمّلوا ألفاظ الحديث ما لا تحتمل... هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإنه واهي السند كما أثبتنا ذلك آنفاً والله الموفق للصواب .

١٥ ـ حديث الأعرابي

وفي صحيح البخاري : [أنه لما جاء الأعرابي وشكا للنبي ﷺ القحط فدعا الله فانجابت السماء بالمطر . قال صلى الله عليه وسلم : « لو كان أبو طالب حياً لقرت عيناه . من ينشدنا قوله ؟ » فقال علي رضي الله عنه يا رسول الله : كأنك أردت قوله :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى ، عصمة للأرامل]

فتهلل وجه الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولم ينكر إنشاد البيت ولاقوله يستسقى الغمام بوجهه ولو كان ذلك حراماً لأنكر ولم يطلب إنشاده .

عجيب والله أمر هؤلاء (القوم !!!) إنهم يتعمدون تحريف الأحاديث لمصلحتهم التي يزعمونها ... مع أن هذا العمل ليس من مصلحتهم في شيء ...فإن التحريف والتبديل لا ينفعان أحداً .. ولو نفعا في شيء لنفعا اليهود والنصارى عندما بدلوا ما بدلوه من آيات في التوراة والانجيل تبعاً لأهوائهم... ولا أدري لماذا يلجأ القوم لمثل هذه الأعمال التي ليست من هدي هذه الأمة المحمدية .
أن التحريف لا شك ولا ريب يدل على أنهم علموا الحق وبدلوه بعدما علموه .. وهذا من خُلق اليهود الذي من أجله غضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم عذاباً أليماً .

ان حديث الأعرابي الذي يعزوه الشيخ دحلان إلى البخاري بلفظه أعلاه... ليس في البخاري قطعاً بهذه الرواية !!! وهنا نترك الكلام والرد للشيخ بشير السهسواني رحمه الله وغفر له قال في كتابه : (صيانة الانسان عن وسوسة الشيخ دحلان) ما يلي: ويروي الدحلان في كتابه (الدرر السنية في الرد على الوهابية):

(وفي صحيح البخاري (وذكر الحديث إلى قوله: عصمة للأرامل) وقال : فتهلل وجه الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولم ينكر إنشاد البيت ولا قوله : يستسقى الغمام بوجهه ولو كان ذلك حراماً أو شركاً لأنكره ، ولم يطلب إنشاده .

ليس في صحيح البخاري هذه الرواية ، إنما ورد من حديث أنس قال :

[جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : هلكت المواشي وتقطعت السبل فدعا فمطرنا من الجمعة إلى الجمعة . ثم جاء فقال : تهدمت البيوت وتقطعت السبل وهلكت المواشي فادع الله يمسكها فقال: « اللهم على الاكام والظراب والأودية ومنابت الشجر » فانجابت عن المدينة انجياب الثوب] .

وقد روى البخاري حديث أنس هذا .. من طرقٍ ، وليس في واحدة منها « قال ﷺ : ولو كان أبو طالب حياً لقرت عيناه ... الخ »

والصواب : ان راوي الحديث هو البيقهي لا البخاري وفي سنده مسلم الملائي . وهو متروك يروي الموضوع . فانظر إلى تحريف الدحلان ، عدا عن أغلاط لغوية يجلُّ عنها رسول الله ، وهو أفصح العرب . وذلك من وجوه :

١ً – إن كلمة (لما) لا يدخل في جوابهـا في مثل هذه المواضع لفظة : (الفاء) في قوله الله (فدعا الله ...)

٢ً – إن لفظ (شكا) متعد بـ (إلى) لا بـ (اللام) قال الله تعالى (انما أشكو بثي وحزني إلى الله) وفي رواية اسحق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك عند البخاري: [ان رجلاً شكا إلى النبي ﷺ : هلك المال وجهد العيال .]

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : [اشتكت النار إلى ربها] متفق عليه .

وعن خباب قال : [أتينا رسول الله ﷺ فشكونا إليه حرَّ الرمضاء فلم يشكنا] رواه مسلم .

وعن عائشة رضي الله عنها عن البخاري في كتاب التيمم : [فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ] ... وقد جاء تعدية (شكا) بـ (إلى) في غير واحد من الأحاديث الصحيحة . وقال في القاموس : شكا أمره إلى الله .

٣ً – إن قوله : فانجابت السماء بالمطر ، لا معنى له فـإنه (انجابت) بمعنى انكشفت وانكشاف السماء بالمطر لا محصل له .

٤ً – ان الانجياب يدل على انقطاع المطر في الحديث [فانجابت عن المدينة انجياب الثوب] وانقطاع السحاب بعد دعاء السقي يدل على عدم إجابـة دعاء النبي ﷺ ، وهذا باطل بالبداهة بدليل أن الروايات كلها دالة على أن دعاء النبيّ ﷺ في هذه الواقعة قد أجيب بلا مرية .

٥ً – إن انقطاع السحاب قبل ظهوره محال .

٦ً – إن صلة الانجياب بـ / عن / كما في حديث أنس لا بـ / الباء / .

وبالجملة : فمصدر ما عزاه إلى البخاري أعني قوله : [لما جاء الأعرابي وشكا للنبي ﷺ . . إلى قوله بالمطر ...] ليس في البخاري ولا البيهقي ولا في غيره من الكتب الحديثية فيما أعلم إذن انما هو اختلاق الدحلان نفسه اهـ)

أرأيت كيف يحرفون الكلم عن مواضعه ... أرأيت كيف أنهم ينسبون الحديث للبخاري وهو ليس فيه ...؟!! فإن كان ذلك عن جهل ... فلمَ يقولون ما لا يعلمون؟ وإن كان عن علم .. فلمَ يحرفون الكلم عن مواضعه وهم يعلمون ..؟ وكل ذلك يفعلونه ... من أجل أن يؤيدوا قولاً باطلاً تبنّوه !!! ألا يعلمون انهم إلى الله يحشرون ، وسيسألهم عما كانوا يعملون ...؟ وهل أعدوا أنفسهم إلى ذلك اليوم المعلوم ...؟ (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) .

١٦ ـ حديث سواد بن قارب

روى الطبراني في الكبير : أن سواد بن قارب رضي الله عنه ، أنشد الرسول ﷺ قصيدته التي فيها التوسل . ويقول الدحلان : ولم ينكر الرسول عليه . ومنها قوله :

وأشهد أن الله لا رب غيره * وأنك مأمون على كل غائب
وأنك أدنى المرسلين وسيلةً * إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايب
فمرنا بما يأتيك يا خير مرسل * وإن كان فيما فيه شيب الذوائب
وكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعةٍ * بمغنٍ فتيلا ، عن سواد بن قارب

الكلام على متن هذا الحديث

إن هذه الأبيات الأربعة التي استشهد بها الشيخ دحلان على جواز التوسل بذات رسول الله ﷺ ، ليس فيها من معاني التوسل الذي يعنيه وبخاصة في البيت الثاني ، وهو قوله :

وإنك أدنى المرسلين وسيلة * إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايب

تقدّم معنا في أول الكتاب في تعريف الوسيلة لغة وشرعاً أن الوسيلة هي القربة إلى الملك . ووسّل إلى الله وسيلةً وتوسل اليه بوسيلةٍ أي تقرب اليه بعمل. ولا شك ولا ريب ان العمل الذي عمله رسول الله ﷺ أعظم من أعمال الأنبياء فصار بذلكِ أوفى المرسلين إلى الله وسيلة أي قربة ومنزلة ... فأيّ معنى من معاني التوسّل بذوات المخلوقين موجود في هذا البيت ...؟ الجواب : ليس فيه أي معنى من معاني التوسل بذوات المخلوقين ... إنما معناه هو ما قلناه آنفاً : إن أعمال رسول الله ﷺ هي أعظم أعمال الأنبياء والمرسلين فصار بذلك أدناهم

وأقربهم إلى الله تعالى .

كما أن الوسيلة معناها كما فسرها رسول الله ﷺ في قوله :

[إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلما يقول ، ثم صلوا عليّ فمن صلى عليّ مرةً ، صلى الله عليه بها عشراً ، ثم سلوا لي الله الوسيلة فإنها درجة رفيعة في الجنة ... لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو .]

وهذا المعنى أيضاً لا يخرج عن المعنى الأول وهي الوسيلة والقربة من الله تعالى فهل في ذلك ما يفيد جواز التوسل بذات المخلوق ...؟

وهذا ما يقصده سواد بن قارب رضي الله عنه في أبياته التي يمدح بها رسول الله ﷺ . ولعل الدحلان يقصد أيضاً ما جاء في البيت الأخير :

وكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعة * بمغن فتيلاً عن سواد بن قارب

وكذلك ليس في البيت الأخير ما يعين الدحلان على مراده البتة ، لأن سواد بن قارب يخاطب رسول الله ﷺ ويرجوه أن يدعو الله تعالى أن يكون له شفيعاً يوم القيامة والخطاب هـذا ولا شك كان في حياته صلى الله عليه وسلم ، وطلب الشفاعة منه حال حياته لا بأس به ، لأنه طلب لدعائه صلى الله عليه وسلم لأن يكون سواد في جملة من يشفّعه الله بهم يوم القيامة ، أي يأذن له بالشفاعة فيهم ، فما الذي في هذا البيت من معاني التوسل إلى الله بذوات المخلوقين ..؟! اللهم إلاّ إذا كان الدحلان يريد أن يحمّل الألفاظ ما لا تحتمل ليستقيم مراده...!! فهذا شيء آخر ... إنما لا يُقَرُّ على ذلك ... فإن اللغة العربيـة التي خلق الله مفاهيمها ومدلولات ألفاظها ... لا تخضع إلى مراد الدحلان . فقواعـــد اللغة ثابتة ومعانيها فرغ منها ، فلا يطمع أحد في تغييرها على ما يحب ويهوى .

والخلاصة : ليس في متن هذا الحديث أي معنى من معاني التوسل المعروف عند الدحلان ... ومن البدهي بعد ذلك ... أن لا يصلح هـذا الحديث حجة ولا دليلاً على مراد التوسل بذوات المخلوقين فسقطت حجة الاستدلال بـه على ذلك متناً . أما سنداً فإليك تفصيل ذلك :

الكلام على سند هذا الحديث

تبين لك يا أخي القارىء المسلم الكريم: أن هذا الحديث ... ليس في صيغة متنه، ما يفيد قيام أية حجة على صحة ما يجهد (القوم ...) ويحاولون ... من إثبات جواز التوسل بذوات المخلوقين ...!!

وحتى لو صح هذا الحديث سنداً ... ليس في متنه حجة لهم ... بل هو ولا شك حجة عليهم كما أثبتنا ذلك آنفاً ... فكيف وإنَّ سندَه ضعيفٌ ...!!! فقد ذكر الحافظ ابن حجر الهيثمي في كتابه «مجمع الزوائد» انه حديث ضعيف. كما ثبت أن كافة طرقه ورواياته التي ورد فيها .. ضعيفة واهية، واليك البيان:

١ً - رواية البيهقي وهي عنده : فيها زياد بن يزيد بن بادويه، ومحمد ابن نواس الكوفي . قال الذهبي : هذا حديث منكر بالمرة، ومحمد بن نواس وزياد، مجهولان، لا تقبل روايتهما . وأضاف : وأخاف أن يكون موضوعاً أبي بكر بن عباس[١] .

٢ً - رواية أبي يعلى : وقد رواها ابن كثير في (السير-المطولة)ص ٣٤٤-٣٤٦ وقال : هذا منقطع من هذا الوجه .

وقد أوضح الحافظ الذهبي في الجزء الأول من / تاريخ الإسلام الكبير / ص ١٢٤ علة هذه الطريقة، فقال : أبو عبـــد الرحمن : اسمه عثمان بن عبد الرحمن الوقاص متفق على تركه . وعلي بن منصور فيه جهالة . مع أن الحديث منقطع .

٣ً - رواية ابن عدي : قال الذهبي : فيه سعيد، يقول : أخبرني سواد بن قارب . — وبينهما انقطاع — وعباد ليس بثقة يأتي بطامات .

٤ً - رواية محمد بن السائب الكلبي : قال ابن كثير في / السيرة المطولة/ ج١ ص ٣٤٨ - ٣٤٩ : محمد بن السائب الكلبي، متهم بالكذب ورمي بالرفض، كما في التقريب .

٥ً - رواية أبي بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي في كتابه الذي جمعه

---

(١) هو أحد رجال سند الحديث .

في هواتف الجان وهي عند ابن كثير في / السيرة المطولة / ص ٣٤٦ وفيها الشعر ما سوى : (وكن لي شفيماً) .

٦ً – **رواية الفضل بن عيسى القرشي** : عن العلاء بن يزيد .

قال السيوطي في شرح / شواهد المغني / ج٢ ص ٢٥٥ : والعلاء ابن يزيد قال المديني : كان يضع الحديث . وقال البخاري وغيره منكر الحديث . وقال أبو حيان : روى نسخة موضوعة . وأورد له الذهبي في / الميزان / عدة مناكير .

٧ً – **رواية الحسن بن سفيان** : في مسنده ، من طريق الحسن بن عمارة . قال السيوطي في شرح شواهد المغني ص ٢٥٥ : والحسن بن عمارة ضعيف جداً[1].

أرأيت يا أخي القاريء الكريم ... تهافت هذا الحديث ، وعدم صلاحه للاحتجاج به ... لامتنا ، ولا سنداً ... !!!؟

فبينما يريدون في إيراد متنه ... حجة لهم ... في إثبات وجهة نظرهم على صحة التوسل إلى الله بذوات المخلوقين ... إذا بهم ، بدافع من بلاهتهم ... واوافر من حمقهم ورعونتهم ... يمطون خصومهم – بإيرادهم هذا الحديث – سلاحاً صالحاً لتوجيهه ضدهم ... في الوقت الذي يشهرونه زاعمين نصرتهم به .. فالحديث لا يبحث في جواز التوسل بذوات المخلوقين ... لا في قليل أو كثير .. بل على العكس يثبت جواز توسل المؤمن بدعاء أخيه المؤمن له ، الذي يؤيده خصومهم ويدعون إليه .

وهكذا ... فإن حديثهم هذا ... كان حجة عليهم ، والفضل في ذلك ... يعود إليهم ، لأنهم هم الذين أعطوا خصومهم هذا السلاح ... !!! فرجعوا بذلك مأزورين غير مأجورين ، ولا مشكورين ، لأنهم لا نية لهم ولا قصد ولكنهم ضربوا سهماً فعاد إليهم مخترقاً مقاتلهم .

أما السند ... فلا أزيدك يا أخي معرفة به ... بعد أن وضعتُ أمام ناظريك صورة صحيحة ، عن مختلف طرقه ورواياته ، الضعيفة ، الواهنة ،

---

(١) هذه التخاريج من الروايات السبعة لهذا الحديث وافانا بها فضيلة الاخ الكريم الشيخ اسماعيل الانصاري جزاه الله خيراً .

الواهية ... وبعد أن علمت أن رجاله مجموعة من الرجال المتهمين بالضعف الشديد والنكارة ... وحق الكذب ... !!!؟

أسانيد ... كهذه الأسانيد ... الموصوفة بتلك الصفات . . نضع الحكم على الحديث الموصوف بها ، وأهليته للاحتجاج به ، من قبل القوم على صحة وجهة نظرهم ... بين يدي القارىء المسلم الكريم واثقين من حكمة العادل المنصف ...

١٧ – حديث : اللهم رب جبرائيل وميكائيل ...

روى النووي في الأذكار : [ان النبي ﷺ أمر أن يقول العبد بعد ركعتي الفجر ثلاثاً : اللهم رب جبرائيل ومكائيل واسرافيل ومحمد ﷺ أجرني من النار] .

الكلام على متن هذا الحديث

هكذا ... يرويه الشيخ دحلان في كتابه : / الدرر السنية في الرد على الوهابية / ويعزيه بهذا اللفظ تماماً إلى النووي في كتابه / الأذكار / ويستدل الدحلان بهذا الحديث ... على جواز التوسل بذوات المخلوقين ... كما يعزي الحكم بجواز ذلك أيضاً إلى الشيخ ابن علاّن شارح /الأذكار / ويقول نقلا عن ابن علان :

« خص هؤلاء بالذكر ... للتوسل بهم في الدعاء : وإلا ... فهو سبحانه رب جميع المخلوقات فافهم ذلك أنه من التوسل المشروع » اهـ .

قلت : نحن لم نرَ في هذا الحديث ... إن صح أو لم يصح – ما يشير إلى بحث التوسل إطلاقاً مشروعاً كان أو ممنوعاً . ولا أدري كيف أستدل به الدحلان ، على جواز التوسل ؟

لفظ الحديث يدعو إلى الدعاء ، لأن يجيره الله من النار . ونحن ندعوا به أيضاً ، ليجيرنا الله من النار . إنه دعاء لا بأس به ، وليس فيه مانع من الدعاء به ، فكيف يورده علينا الدحلان حجةً ... ونحن متفقون على الدعاء به ؟

يا ناس... نحن مختلفون مع القوم...في جواز التوسل إلى الله تعالى بذوات المخلوقين ... فأي توسل بذلك في لفظ هذا الحديث ...؟ اللهم إلا إذا كان الدحلان يفهم من إضافة أسماء جبرائيل وميكائيل وإسرافيل ومحمد صلوات الله عليهم وسلامه الى الرب ... وأن هذه الإضافة تفيد التوسل بهم ...!!! فإذا كان الامر كذلك... فيكون فهمُ الدحلان فهماً جديداً... وفريداً مِن نوعه.. لم يسبقه إليه أحد !! حتى ولا مـن أشد الغلاة في الدعوة إلى التوسل بذوات المخلوقين...!!!

ولعلك يا أخي القارىء المسلم الكريم تقول : إن الدحلان يقول إنه نقل هذا الجواز عن ابن علاّن شارح الأذكار . فكيف تقول:إن الدحلان لم يسبقه أحد في هذا الفهم ...؟

فنقول وبالله المستعان :

١ً – إن لفظ الحديث لا يفيد لا من قريب ولا من بعيد،أيَّ معنى من معاني التوسل إنّما يفيد – إن صحَّ – بأن إضافة هذه الأسماء إلى اسم الرب سبحانـه تشريفٌ لهم وتكريم من قبل الله تعالى لا توسّلٌ بهم ..

وهذا ولا شك معروف عند الجميع ، وإنه من البدهيات المسلّمات عند كل مسلم . أما أنّ لفظ هذا الحديث يفيد التوسل بهم فعلى قائلي هذا القول الدليل... فإن أثبتوا قولهم بالدليل من الكتاب والسنة فعلى الرأس وإلاّ فكلامهم مردودٌ عليهم .

٢ً – إن الله سبحانه وتعالى ذكر في القرآن أنه : (ربُّ الشعرى)و(ربُّ العرش العظيم)و(وربُّ السموات والأرض) و(وربُّ كل شيء) و(ربُّ المشرقين ورب المغربين) فهـل معنى هذا ... أنه يجوز التوسل بكل هـذه المخلوقات ...؟!!!

الظاهر أن الجماعة الذين يقولون بجواز التوسل بكل هذه المخلوقات ! بدأوا يلهثون من التعب في إيراد الأدلة التي لم تتقدم في شيء ... حتى وصلوا إلى حـدّ الخلط ... فياليتهم يستريحون قليلاً ... من هذا العناء . ويريحون عقولهم التي

أتعبوها ، في الكد وراء إيراد المعاني التي لا تليق بالألفاظ التي يوردونها على صحة دعواهم ... أو يسلمون للحق ويرفعون أيديهم علامة الاستسلام ... ولئن فعلوا فسيجدون الله تواباً رحيماً ... ولكن ما زالوا يكدّون في ميدان الباطل رغم أنهم رأوْا بأم أعينهم مصارعَ الباطل ، مصرعاً مصرعاً . . ولم يتّعظوا ...

٣ً ــ أما قول الدحلان : أن النوويَّ يروي في الأذكار : [أن النبيَّ ﷺ أمر أن يقول العبدُ بعد ركعتي الفجر : اللهم ربَّ جبرائيل ...] الحديث ... فإن الدحلان يفتري على النووي فإن لفظ:[أن النبيَّ أمر]ليس موجوداً في لفظ الحديث في الأذكار وإننا ننقل عن الأذكار هذا الحديث ... على الشكل الآتي: (روينا في كتاب ابن السني عن أبي المليح واسمه عامر بن أسامة ،عن أبيه رضي الله عنه : أنه صلّى ركعتي الفجر وان رسول الله ﷺ ، صلى قريبـــاً منه ركعتين خفيفتين، ثم سمعه يقول وهو جالس: [«اللهم رب جبرائيل وإسرافيل وميكائيل ومحمدٍ النبيّ ﷺ أعوذ بك من النار ثلاث مرات] .

هذا الذي رواه النوويّ في الأذكار ليس فيه [أمر النبي ﷺ أن يقول العبد بعد ركعتي الفجر: اللهم ربّ جبرائيل ..] الحديث ثم ليس فيه أيضاً قوله: [اللهم أجرني من النار] إنما قـــال : [أعوذ بك من النار] . أرأيت يا أخي كيف يبدل الدحلان ويغيّر من لفظ الحديث ؟ وهل التبديل والتغيير من صفات الأمة المحمدية ...؟انما هو من خلق غيرها من الأمم الذين وصفهم الله سبحانه في الفاتحة : بالمغضوب عليهم والضالين . اللهم لا تجعلنا منهم ولا تجعلنا نعمل مثل أعمالهم .

٤ً ــ أما قول الدحلان : (قال العلامـــة ابن علان في شرح الأذكار:خصَّ هؤلاء بالذكر للتوسل بهم في قبول الدعاء، وإلا فهو سبحانه رب جميع المخلوقات) إن هذه العبارة ليس لها ذكر أو أثر في شرح الأذكار فهي من اختلاق الدحلان نفسه ، والدليل على ذلك ... اننا نضع يا أخي بين يديك عبارة ولفظ ابن علان وهو : (... إنما خصهم بالذكر وإن كان تعالى رب كل شيء بما تكرر في القرآن والسنة من نظائره من الإضافة إلى كل عظيم المرتبـــة ، وكبير الشأن ،

دون ما يستحقر ويستصغر فيقال له سبحانه : رب السموات والأرض ، ورب العرش العظيم ، ورب الملائكة ، ورب المشرقين ورب المغربين ونحوه مما هو وصف له بدلائل العظمة ، وعظمة القدرة والملك ، ولم يستعمل فيما يستحقر ويستصغر ، فلا يقال رب الحشرات وخالق القردة والخنازير ، وشبهها على سبيل الافراد وإنما يقال خالق المخلوقات ، وحينئذٍ تدخل هذه في العموم) اهـ .

وهكذا فإن عبارة ابن علان ليس فيها ما يدعيه على لسانه الدحلان حينما قال في كتابه (الدرر السنية في الرد على الوهابية) : (قال العلامة ابن علان في شرح الأذكار : خص هؤلاء بالذكر للتوسل بهم في قبول الدعاء ، وإلا فهو سبحانه رب جميع المخلوقات) .

إذاً فإن الدحلان يكذب على ابن علان وابن علان بريء مما نسبه إليه الدحلان ؛ كما كذب على النووي في تحريف لفظ الحديث وهو في نفس الوقت تحريف لقول الرسول ، والرسول لم يقل الذي قاله الدحلان !!! فتأمل ...

أبهذه الأساليب الوضيعة الدنيئة ...!!! يثبتون مزاعمهم ، وهل هذه الأساليب تشرفهم في شيء ... ومتى صارت الأكاذيب والتحريفات والتبديلات حججاً وأدلة ؟ اللهم إننا نخافك فقنا شرَّ عبادك الكذابين .

الكلام على سند هذا الحديث

١ً – اما الحديث نفسه فقد صححه الحاكم ... ولكن قال ابن حجر إنه حسن . وقال : وجدت له شاهداً بسند ضعيف عن عائشة ، في سنده من هو متروك ومن فيه مقال . قال : أبو مليح إن كان هو ابن أسامة المذكور ، فقد اختُلِفَ عليه في إسناده ، وإن كان غيره فهو مجهول .

إن قول الحافظ ابن حجر : فإن كان ابو مليح هو أبو أسامة فقد اختُلِف عليه في إسناده . فيكون الحديث مضطرباً ، وإن كان غيره فهو مجهول . وعلى كلا التقديرين ... يكون الحديث ضعيفاً .

٢ً – إن في سنده مبشّراً . فإن كان هو ابن عبيد الحمصي فهو واهٍ جداً

ضعفه الذهبي ، وأحمد ، والبخاري ، والحافظ ، ورماه أحمد بالوضع ، وإن كان غيره ... فلا بد من تعيينه وتوثيقه .

٣ - إن فيه عباد بن سعد . قال عنه الذهبي لا شيء ولا عبرة لتوثيق ابن حبان له . لأن توثيق ابن حبان لا يعارض قول الذهبي فيه (لا شيء) لأن ابن حبان معروف بالاحتجاج بمن لا يعرف .

قال ابن عبد الهادي في الصارم المنكي : (وقد علم أن ابن حبان ذكر في كتابه الذي جمعه في الثقات عدداً وخلقاً عظيماً من المجهولين الذين لا يعرف هو ولا غيره أحوالهم . . . وقال هو عنهم انه لا يدري من أبناء من هم ؟ وقد ذكر ابن حبان خلقاً كثيراً على هذا النمط ويجب أن يعرف أن توثيق ابن حبان للرجل بمجرد ذكره في هذا الكتاب من أدنى درجات التوثيق .

وروي هذا الحديث من طريق أخرى عن عائشة . رواه أبو ليلى وفيه عبد الله بن أبي حميد أبو الخطاب عن أبي مليح الهذلي . ضعفه محمد بن المثنى ، والبخاري ، والنسائي وأحمد .

١٨ ـ خبر : لولا عبادٌ ركّع ...

[لولا عباد ركّع ، وصبية رضّع ، وبهائم رتع ، لصب عليكم البلاء صبًّا .]

الكلام على متن هذا الخبر

لا شك أن للعباد الركع فضلاً ولهم مقام عند الله تعالى ، والصبية الرضع لم يقترفوا إثماً بعد ... فهم برآء من السوء ، والبهائم الرتع إنها بهائم غير مسؤولة ، وليست عاقلة ... أمـــا العذاب على المستحقين فلا يمنعه وجود هؤلاء ... فالله غالب على أمره . إن شاء منع العذاب رحمة بهولاء . أو شاء صب العذاب على الجميع بما فيهم هؤلاء أيضاً ويحاسب كل على عمله وبقدره .

فلا نستطيع أن نجزم بأن وجود هؤلاء مانع لوقوع العذاب قال الله تعالى : (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة /٢٥/ الأنفال)ومعنى هذا ... يمكن أن يوقع الله عذاباً عاماً في الأمة جمعاء ، ويحشر المتقين إلى جنات عرضها السموات والأرض ويساق المجرمون إلى جهنم زمراً ...

وهذا مما يدل على أن هذا الخـبر ، ليس صحيحاً على إطلاقه ... وعلى كل الأحوال ... ليس فيه معنى التوسل بالعبـــاد الركع والصبية الرضع والبهائم الرتع ... إنما يدل على أن وجود هؤلاء قد يرحم الله من أجلهم الأمة فلا ينزل عليها عذاباً ... وقد ... وقد ... ولكن هل يجوز أن نتوسل بهم إلى الله ... فهذا مايستلزم إيراد الدليل عليه . ومع ذلك فلننظر في سنده . واليك البيان:

الكلام على سند هذا الخبر

قال الذهبي : ضعيف وفيه مالك بن عبيدة وأبوه ـ عبيدة ـ مجهولان .

والحديث إذا كان فيه مجهول واحد يسقط الاستدلال به لأنه يكون ضعيفاً والضعيف لا يصلح أن يكون حجة ... فكيف إذا كان فيه مجهولان فتكون المصيبة به أعظم .

لذلك فان هذا الخبر ضعيف لا تقوم به حجة على المطلوب لا في متنه ولا في سنده والحمد لله رب العالمين .

١٩ ـ حديث السؤال بمحمد والأنبياء ...

يروى عن عبد الملك بن هارون بن عنترة عن أبيـــه عن جده أن أبا بكر الصديق أتى النبي ﷺ فقال : إني أتعلم القرآن ويتفلت مني . فقـال رسول الله ﷺ : [قل : اللهم اني أسألك بمحمد نبيك ، وابراهيم خليلك ، وبموسى نجيك وعيسى روحك وكلمتك، وبتوراة موسى، وانجيل عيسى ، وفرقان محمد وبكل وحي أوحيته وقضاء قضيته ...]

الكلام على متن هذا الحديث

تأكد لنا مما علمناه من هــذا البحث وأعني بحث التوسل إطلاقاً،أن التوسل ينقسم إلى قسمين : توسل مشروع حض عليه الله ورسوله وعمله الصحابة والقرون الخيرة إلى يومنا هذا ... وهذا مؤيد بالكتـاب والسنة وسيرة السلف الصالح ، والتوسل المشروع كما ذكرنا في أول الكتاب ، إمـا أن يكون توسلاً بأسماء الله وصفاته وذاته ، أو توسلاً بأعمال المتوسِّل الصالحة أو بتوسل المؤمن بدعاء أخيه المؤمن له، ودللنا على ذلك بالنصوص العديدة من الكتاب والسنة ولما كان التوسل

بذوات المخلوقين لم يحض عليه الكتاب ولا السنة ولا فعله الصحابة ولا القرون الخيرة . . .
إنما فعله الجاهليّون فقالوا : (**ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى** /٣/ الزمر)
فهم أن هذا النوع من التوسل هو توسل ممنوع لأن الله لم يقبل من الجاهلين قولهم ، ومن أجل ذلك أرسل الأنبياء والرسل ليحولوا دون هذا التوسل الذي لا يرضاه الله تعالى فكيف والحالة هذه . . . يوصي به رسول الله ﷺ أبا بكر بأن يتوسل بمحمد والأنبياء !؟ هذا مما لا يمكن أن يصح عنه ﷺ ومن المستحيل أن ينهى الرسول عن شيء من جهة ثم يخالف هو نفسه ما نهى عنه ، ويأمر أمته أن تفعل ما حرمه الله ورسوله. قال الله تعالى في كتابه العزيز حكاية عن هود عليه السلام (**وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه** /٤٨/) هود . ولا شك أن الرسالات واحدة من حيث الدعوة فكما أن هوداً عليه السلام لا يجوز أن يخالف قومه فيما ينهاهم عنه فكذلك لا يجوز لمحمد ﷺ أن يخالف أمته فيما ينهاهم عنه فكيف يقول لأبي بكر [قل: اللهم إني أسألك — بمحمد نبيك وابراهيم خليلك . . .] الحديث . . . هذا ولا شك مستحيل في حقه ﷺ لأنه عمل بخلاف ما نزل عليه من الوحي والله سبحانه وتعالى يقول : (**ولو تقوّل علينا بعضَ الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين** /٤٦/) الحاقة . إذاً فإن محمداً ﷺ من المستحيل أن يقول لأبي بكر ما جاء في هذا الحديث مما يدل على كذبه ووضعه . . .
هذا من ناحية متنه أما من ناحية سنده فإليك البيان :

الكلام على سند هذا الحديث

قال ابن تيمية رحمه الله : هذا الحديث ذكره رزين بن معاوية العبدري في جامعه . ونقله ابن الأثير في جامع الأصول ، ولم يعزه لا هذا ، ولا هذا إلى كتاب من كتب المسلمين . لكنه رواه من صنّف في عمل يوم وليلة كابن السنّي ، وأبي نعيم . وفي مثل هذه الكتب أحاديث كثيرة موضوعة ، لا يجوز الاعتماد عليها في الشريعة باتفاق العلماء . وقد رواه أبو الشيخ الأصبهاني في كتاب فضائل الأعمال . . . وفي هذا الكتاب أحاديث كثيرة كذب وموضوعة .

ورواه أبو موسى المديني من حديث زيد بن الحباب عن عبد الملك بن هارون ابن عنترة . وقال : هذا حديث حسن مع أنه ليس بالمتصل . قال أبو موسى : ورواه محرز بن هشام عن عبد الملك بن هارون عن أبيه عن جده عن الصّديق رضي الله عنه . وعبد الملك ليس بذلك القوي . وكان بالري وأبوه وجده ثقتان . قلت – يعني ابن تيمية : عبد الملك بن هارون بن عنترة من المعروفين بالكذب . قال يحيى بن معين : كذاب . وقال السعدي : دجال كذاب . وقال أبو حاتم بن حبان : يضع الحديث . وقال النسائي : متروك . وقال البخاري : منكر الحديث . وقال أحمد بن حنبل : ضعيف. وقال ابن عدي : له أحاديث لم يتابعه عليها أحد . وقال الدارقطني : هو وأبوه ضعيفان . وقال الحاكم في كتاب المدخل : عبد الملك بن هارون بن عنترة الشيباني ، روى عن أبيه أحاديث موضوعة ، وأخرجه أبو الفرج بن الجوزي في كتاب الموضوعات. وقول الحافظ أبو موسى (هو منقطع) يريد أنه لو كان رجاله ثقات فإن إسناده منقطع .

وهكذا تأكدنا من أن هذا الحديث موضوع المتن والسند، ولا تقوم به حجة ، وتبقى القضية المختلف عليها مجرد دعوى ولم تثبت بدليل يعتمد عليه ، أو يحتج به رغم ما قدموا من حجج على زعمهم . إنما حججهم كانت أصفاراً على الشمال ليس لها أية قيمة لأنها جميعاً كانت لا شيء . نقول هذا لا بدافع الخصومة العلمية القائمة ... إنما بدعم من شهادات أهل العلم المتفق على عدالتهم بين الطرفين المتخالفين ؛ كما ثبت ذلك من عرض تلك الأحاديث على ميزان الحق الذي تزان به تلك القضايا المتخاصم عليها ذلك الميزان الذي يحكم بالعدل وينطق بالحق الذي ما بعده إلا الضلال .

٢٠ ـ حديث دعاء حفظ القرآن

ذكره : موسى بن عبد الرحمن الصنعاني صاحب التفسير ، باسناده عن ابن عباس مرفوعاً أنه قال : من سرّه أن يوعيَه الله القرآن ، وحفظ أصناف العلم ، فليكتب هذا الدعـــاء ... في إناء نظيف ، أو في صحف من قوارير ، بعسل وزعفران وماء مطر ... وليشربه على الريق ، وليصم ثلاثة أيام وليكن إفطاره عليه ويدعو به في أدبار صلواته : اللهم إني أسألك بأنك مسؤول لم يسأل مثلك ولا يسأل . وأسألك بحمد نبيك ، وابراهيم خليلك ، وموسى نجيبك ، وعيسى روحك وكلمتك ووجيهك ... وذكر تمام الدعاء .

الكلام على متن هذا الحديث

١ ً ــ مما هو معلوم لدى النـــاس أن حفظ القرآن ، أو حفظ أي شيء من العلوم المتنوعة وعدم تفلّتها ... لا يكون إلا بدوام التكرار والمراجعـة ... فالمداومة على ذلك يجعل العلوم محفوظة ، وتستوعبها الذاكرة فلا تتفلت منها .

ولا شك أن الله تعالى جعل هذه المداومة سبباً من أسباب عدم تفلُّتها، وهو تعالى الذي أعـان على ذلك ... ولولا معونة الله وإمداده ما حفظ حرف من القرآن ولا غيره .

ومَثَل ذلك مثل الدواء فانه سبب الشفاء والله هو الشافي .. وكذلك الحفظ فالمداومة على التكرار والمراجعة كانت سبب الحفظ . والله هو الذي يمد ويعين على الحفظ. وعلى هذا .. راجع وكرر يعنك الله على بقاء ما حفظت في ذاكرتك أما الشكل الذي ورد في هذا الحديث من كتابة هذا الدعـــاء في إناء نظيف بعسل وزعفران وماء مطر .. وشربه على الريق، والصيام ثلاثة أيام والإفطار عليه ، ويدعو به أي بالدعاء المذكور ... فهذا مما لم نجده في حديث صحيح عن المعصوم عليه الصلاة والسلام ... ولو صح لوجب الاعتقاد والعمل به ولكن لم يصح... أما كتابة الدعاء على إناء على الشكل المتقدم ... هذا ما يفعله المشعوذون وكتّاب الأحجبة ، والمسترزقون بأكل أموال الناس بالباطل . . وهو السحت

بمينه. وإذا شئت ألا يتفلّت القرآن أو أي علم سواه منك فداوم على التكرار والمراجعة ، ثم ادع الله تعالى مع هذه المداومة .. يعنك على مرادك . ولا حاجة للعسل ولا للزعفران .

٢ً – أما الدعاء الوارد في هذا الحديث ففيه من البلايا ... ما يؤكد وضع هذا الحديث وكذبه ... ولا أدري كيف خفي ما فيه على الذين اتخذوا من هذا الحديث حجة لهم على صحة دعواهم ...!!!؟ أكانوا غافلين أم متغافلين ...؟!

يقول الدعاء : [اللهم إني اسألك بأنك مسؤول لم يسأل مثلك ولا يسأل] فقف يا أخي عند قوله : [... لم يسأل مثلك ولا يسأل] ففيه دسة خبيثة ماكرة كافرة ما وضعها إلاّ كافر ماكر خبيث ... وهي قوله : [مثلك] ولكن دغمها في قوله : [اللهم إني أسألك بأنك أنت المسؤول لم يُسأل مثلك ولا يسأل .] يخفيها في جملة الكلمات فتمر ... دون أن يشعر بها أحد ، ويحمل ألسنةَ الناس ترددها عن حسن نية فلا يفحصونها ذلك الفحص الدقيق لتظهر لهم ... ثم من هـذا الذي هو مثل الله فلم يسأل ولا يسأل ...!!!؟ إن قَصْدَ واضع الحديث أن يحمل الناس يردّدونها عن حسن ظن ... فيتلفظون بالكفر وهم لا يشعرون ولا يستغفرون .. ويلقون الله على ذلك. وقصد الكذاب أن يضع المثليةَ لله ... بأن لله مثيلاً ولكن لا يسألونه .. بل يسألون الله ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير/١١/الشورى) فدسّ الكذاب المثلية في الدعاء وتلقفها الغافلون ... ودعوا بها ... بل حتى احتجوا بالدعاء كدليل لهم على صحة دعواهم...!!!! أرأيت كيف يمكر الوضاعون والكذابون ... بالمغفلين وهم لا يشعرون ...؟ ثم مرروها على الذين يحبون أن يتوسلوا بذوات المخلوقين .

٣ً – أما قولهم في الدعاء : [وأسألك بمحمد نبيك ، وابراهيم خليلك ، وموسى نجيك ، وعيسى روحك وكلمتك ووجيهك ...]

فإن هذه التوسلات تقصّد الوضّاعون وضعها لغرَضَيْن :

١ً – حتى يتسنّى لهم تمريرُ (المثلية) في الدعاء وتمشيتها بسلام .

٣ً – ثم أعقبوها بهذه التوسلات ... التي يفرح بهـا القائلون بجواز التوسل بذوات المخلوقين ... فألهوهم بها عن الانتباه إلى (المثلية) التي هي مقصودهم من وضع الدعاء ...

٤ – (الدسة) والله أعلم ... (نصرانية) حتى يدخلوا مثليـــة عيسى لله تعالى وذلك ظاهر من قولهم : وعيسى روحك وكلمتك ووجيهك فلم يقولوا من روحك بل قالوا روحك حتى تتم المثلية التي دسوها .

٥ – أعطوا لعيسى أوصافاً ثلاثة : روحك وكلمتك ووجيهك ليرفعـــوا عيسى عن مستوى المذكورين قبله الذين ذكروا بوصف واحد ، فتثبت الأفضلية لعيسى على من ذكروا قبله ...وذلك باعتراف الرسول ﷺ الذي وضعوا الحديث باسمه وكذباً عليه حتى يكون إقراراً منه بأفضلية عيسى عليـه وعلى سائر من ذكروا قبله .

٦ – غير خاف على القارىء المسلم تلك الركاكة الإنشائية التي كتبت بهـــا صيغة لفظ الحديث مما يجلُّ عن مثله كاتب عربي يتذوق الأسلوب العربي الصحيح فضلاً عن أفصح من نطق بالضاد ... ﷺ هذا عدا عن نواقض التوحيد الواردة في لفظ الحديث ... مما يدع القارىء أن يجزم جزماً قاطعاً، بوضع هذا الحديث من قبل زنادقة كفرة فجرة لا يرعون لله وقاراً .

هذا ما ظهر لنا من متن هذا الحديث من الطامَّات ... فكيف اذا كان سنده أيضاً لا يقل عن متنه وضعاً وكذباً ... وإليك البيان والبرهان .

الكلام على سند هذا الحديث

قال ابن تيمية رحمه الله :

وموسى بن عبد الرحمن هذا ... من الكذابين . قال أبو أحمد بن عـــدي فيه : منكر الحديث . وقال أبو حاتم بن حبان : دجال يضع الحديث . وضع على ابن جريج عن عطاء ابن عباس كتاباً في التفسير جمعـــه من كلام الكلبي

ومقاتل [1] .

وهكذا ... فقد تبين لك يا أخي المسلم أن هـذا الحديث مكذوب المتن والسند كباقي ما سبقه من الأحاديث التي احتج بها القوم ... على صحة دعواهم من جواز التوسل بذوات المخلوقين .. كنا نتمنى أنهم أتوا ولو بحديث صحيح واحد يؤيدهم بحق على صحة دعواهم ... وتمنّينا هذا نقوله... خجلاً مما مُنوا به من الفشل المتصل المتواصل عن إثبات دعواهم ... كأنهم لا يحفظون إلاّ كل حديث مكذوب موضوع ، ولا يحتجون إلا بكل قول يكشف سوآت مقاصدهم ... ليفتضح أمرهم حتى على أنفسهم ، ولعلهـــم يخجلون فيرجعون إلى الحق ... فتتصافح الأيدي ، وتتعاهــد على المضي في طريق الحق إلى أن نلقى الله وإياهم على ما يحب ويرضى .

(قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم /٥٣/ الزمر) .

---

(١) ولهذا فان كتاب التفسير المتداول المنسوب الى ابن عباس ليس موثوقاً ولا يعتمد عليه لانه مكذوب على ابن عباس .

٢١ - حديث استفتاح اليهود على المشركين بمحمد ﷺ

يُروَى عن عبد الملك بن هارون بن عنترة عن أبيه، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال [كانت يهود خيبر تقاتل غطفان ... فكلما التقوا هُزِمت يهود، فعاذت بهذا الدعاء : اللهم إنا نسألك بحق محمد النبي الأميّ الذي وعدتنا أن تخرجه لنا آخر الزمان إلاّ نصرتنا عليهم . فكانوا إذا دعوا بهذا الدعاء هزموا غطفان ... فلما بعث النبي ﷺ كفروا به فأنزل الله تعالى : **(وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ... /٨٩/)** البقرة .

الكلام على متن هذا الحديث

هذا الحديث ... حديث متصدع المتن منهار من وجوه :

١ً - إن هذه الآية : **(وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ...)** لم تنزل في يهود خيبر قط ... إنما نزلت في اليهود الذين هم مجاورون للمدينة من بني قينقاع وقريظة وبني النضير . وهذا باتفاق أهل التفسير والسير . فقد روى محمد بن إسحق عن عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري عن رجال من قومه قالوا: مما دعانا إلى الاسلام - مع رحمة الله وهداه - ما كنا نسمع من رجال يهود وكنا أهل شرك، وأصحاب أوثان . وكان أهل الكتاب عندهم علم ليس عندنا ... وكانت لا تزال بيننا شرور . فإذا نلنا منهم ما يكرهون قالوا لنا: (قد تقارب زمان نبيٍّ يبعث الآن ، فنقتلكم معه قتل عادٍ وإرم) كثيراً ما كنا نسمع ذلك منهم . فلما بعث محمد رسولاً من عند الله ... أجبنا حين دعانا إلى الله ، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به فبادرناهم اليه فآمنا به ، وكفروا بـه ...!!! ففينا وفيهم ... نزلت الآيات في البقرة : **(ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين /٨٩/)** البقرة .

٢ً – إن اليهود لم يحاربوا « غطفان » قط فكيف يقال نزلت في يهود خيبر وغطفان بل نزلت كما قلنا آنفاً في يهود المدينة ...؟!!! فإن هذا القول من كذاب جاهل لم يحسن كيف يكذب ، ومما يبين ذلك انه ذكر فيه انتصار اليهود على غطفان لما دعوا بهذا الدعاء.. وهذا مما لم ينقله أحد غير هذا الكذاب ، ولو كان هذا مما وقع ... لكان مما تتوفر دواعي الصادقين على نقله .

٣ً – التوراة ولا شك أقدم من حروب اليهود والعرب فإذا كان هذا الدعاء معروفاً عندهم وله هـذا الأثر في الانتصار فلماذا لم يدعوا به من أول مرة ... فيوفرون أرواح رجالهم وبنيهم فعدم الدعاء به وترك العرب يقتلونهم دليل على كذب الحديث .

٤ً – إن اليهود كانوا يعلمون من توراتهم أنه سيأتي نبي آخر الزمان...وكانوا يظنون أنه سيبعث منهم واليهود من أولهم إلى آخرهم لم يسموا أحداً منهم محمداً قط فكيف يقول راوي الحديث نقلاً عن اليهود في دعائهم الذي يقولون فيه : [اللهم إننا نسألك بحق محمد النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم...] ودليلنا انهم كانوا يظنون أنه سيبعث منهم ، قول أبي العالية وغيره : (كان اليهود إذا استنصروا بمحمد ﷺ على مشركي العرب يقولون : اللهم ابعث هذا النبي الذي نجده مكتوباً عندنا حتى نغلب المشركين ونقتلهم . فلما بعث الله محمداً ورأوا أنه من غيرهم... كفروا به حسداً للعرب وهم يعلمون أنه رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى هذه الآيات : (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) .

٥ً – ان كلا الروايتين : رواية محمد بن اسحق ورواية أبي العالية وغيره... ليس فيها ذكر اسم محمد ﷺ إنما ذكر نبي آخر الزمان ، مما يدل على أنهم لا لا يعرفون اسمه ... فكيف يذكرون اسمه صريحاً في الدعاء ..؟ مما يدل على أن الحديث المذكور الذي فيه اسم النبي صراحة هو موضوع لأن اليهود ما كانوا يعرفون اسمه ... ولا من أي القبائل هو ... فكيف يذكرون اسمه صريحاً في الدعاء ..؟ ولو علموا أن اسمه محمد لعلموا أنه من العرب ولما ظنوا أنه سيبعث منهم ... إذ لمّا بعث من العرب كفروا به حسداً منهم للعرب .

٦ً – وعلى فرض انهم كانوا يعلمون أنه سيبعث من العرب... وهم ينتظرونه بفارغ الصبر فلما بعثه الله من العرب كما كانوا يعلمون... لماذا لم يؤمنوا به ويكونوا معه ويحاربوا المشركين في صفه ... لينتقموا منهم ويثأروا لقتلاهم ...؟!!! بل سبقهم أخصامهم العرب وآمنوا به ... وقاتلوهم بل واستأصلوهم من جزيرة العرب إلى يومنا هذا...؟ لأنهم ما كانوا يعلمون انه سيبعث من العرب... بل يظنون أنه سيبعث منهم ... ولكن الحديث المكذوب يقول في دعائهم اللهم إنا نسألك بحق محمد ... وهذا دليل على وضع الحديث .

كل هذه البلايا ... والألغام في متنه ... فكيف إذا تأكدت يا أخي انه موضوع كذلك بالنسبة إلى سنده .. عندها تتفجر الألغام ويصبح أثراً بعد عين واليك البيان :

الكلام على سند هذا الحديث

إن هــذا الحديث رواه الحاكم في مستدركه وقال : أدت الضرورة إلى إخراجه وهذا ... مما أنكره عليه العلماء ...!!! فإن عبد الملك بن هارون من أضعف الناس وهو عند أهل العلم بالرجال متروك ، بل كذاب وقد تقدم ذكر حال عبد الملك بن هارون في الصفحة /٣٠٩/ وقال عنه ابن تيمية : عبد الملك ابن هارون بن عنترة من المعروفين بالكذب . وقال السعدي : دجال كذاب . وقال أبو حــاتم : يضع الحديث . وقال النسائي : متروك . وقال البخاري : منكر الحديث . وقال أحمد بن حنبل ضعيف . وقال ابن عدي : له أحاديث لا يتابعه عليها أحد . وقــال الدارقطني : هو وأبوه ضعيفان . وقال الحاكم في كتاب المدخل: عبد الملك بن هارون بن عنترة الشيباني روى عن أبيه أحاديث موضوعة . وأخرجه أبو الفرج بن الجوزي في كتاب الموضوعات .

هذا هو راوي الحديث ... وهذه شهادات علماء الرجال فيه بالإضافة إلى متنه المتصدع المنهار ... فهل تقوم به حجة على دعوى القوم ...؟!!! لقد صار الكذب والوضع والاختلاق شعارات الأحاديث التي يقدمها القوم... حججاً!!! على صحة دعواهم ... والله لا أدري ما أقول ... ولكن أترك تقدير النظر اليوم ... إلى نظر القارىء الكريم ... وفي هذه القدر كفاية لقوم يعقلون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

٢٢ ـ حديث « أنا فاعل »

روى الترمذي عن أنس بن مالك أنه قال : [سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة فقال : « أنا فاعل »]

الحديث غير صحيح السند كما سيأتي بيانه ... ولكن على فرض صحته ، ليس للمحتج به على جواز التوسل بذوات المخلوقين أية حجة ... وذلك من وجوه :

الكلام على متن هذا الحديث

لا يدل متن هذا الحديث على صحة دعوى القوم ... وإن صح فهو دليل لنا .. إذهو من قبيل توسل العبد إلى ربه بدعاء أخيه المؤمن له ثم :

١ً ــ قول رسول الله ﷺ « أنا فاعل » لا بد ان يكون له علم من الله بإذنه بالشفاعة لأنس . وهذا كقوله لعكاشة أنت منهم . ولولا أن يعلم رسول الله ﷺ مسبقاً أن عكاشة من جملة السبعين ألف الذين يدخلون الجنة بلا حساب . لما قال له :أنت منهم .

٢ً ــ لأن أنساً رضي الله عنه لما سأل رسول الله ﷺ أن يشفع له يوم القيامة كان حياً والرسول ﷺ كان حياً أيضاً وقال له « أنا فاعل » .

٣ً ــ طلب أنس من الرسول أن يشفع له يوم القيامة ، يفيد أن أنساً يقصد أن يدعو له الله تعالى أن يشفّعه به يوم القيامة أي يجعله في جملة الحد الذي يحدّه له فيشفع فيهم . فإذا دعا الله له بذلك فإن دعاءه ﷺ مستجابٌ فيكون أنس بذلك قد ضمن لنفسه شفاعته ﷺ وهذا حرصٌ من أنس على فوزه بالجنة بشفاعته ﷺ .

٤ً – قول رسول الله ﷺ « أنا فاعل » يحتمل أن يكون قد دعا له قبل أن يطلب منه ذلك ، فلما طلب منه قال « أنا فاعل » أي أنا فاعل ذلك قبل أن تطلب مني .

٥ً – هل إذا طلب أحدنا الآن من رسول الله ﷺ أن يشفع له يقول له الرسول « أنا فاعل » كما قال لأنس ...؟ فإن كان يمكن ذلك في ظنكم فما الفرق إذاً بين الحياة والموت ...؟! وهل طلب أحد من الصحابة من الرسول ﷺ بعد وفاته ذلك ...؟ حتى نتأسّى بفعله ...

وهكذا فقد ثبت في هذا النقاش أن عمل أنس لا غبار عليه .. ولا يفيد أنه توسل بذات رسول الله بل طلب اليه بأن يدعو له لأن يكون في جملة من يشفع بهم رسول الله ﷺ يوم القيامة فأية حجة للقوم في هذا الحديث على دعواهم ..؟

هذا على فرض صحة الحديث فكيف إذا كان الحديث هذا ضعيفَ السند ...؟ نعم وإنه لكذلك واليك البيان :

الكلامَ على سند هذا الحديث

قال الترمذي بعد أن أخرج هذا الحديث : حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه . لكن في سنده أبو الخطاب حرب بن ميمون ضُعّفَ ووُثّقَ فهو وإن وثّقه بعض المحدثين لكن ضعّفه آخرون. منهم شيخ المحدثين البخاري وإمام جليل من أئمة هذا الفن وهو : أبو زرعة وقال فيه / لين / وقال فيه الذهبي في ميزانه / صدوق يخطىء / وحسبك بذلك تضعيفاً للحديث وجرحاً له ... فكيف يحتجّون به ويتخذونه دليلاً على ما ذهبوا إليه من جواز التوسل بذوات المخلوقين !!!؟ اللهم علمنا العلم الذي لا جهل معه .

٢٣ ـ خبر مرثية صفية عمة الرسول ﷺ

يقول الشيخ دحلان : وكذا من أدلة التوسل : مرثية صفية رضي الله عنها عمة رسول الله ﷺ . فإنها رثته بعد وفاته ﷺ بأبيات فيها قولها :

ألا يا رسول الله أنت رجاؤنا ★ وكنت بنا براً ولم تك جافيا

ففيها النداء بعد وفاته مع قولها [وأنت رجاؤنا] وسمع تلك المرثية الصحابة رضي الله عنهم فلم ينكر عليها أحد قولها : يا رسول الله [أنت رجاؤنا] .

الكلام على خبر هذه المرثية

١ ـ قيل أن هذه القصيدة ، ليست لصفية رضي الله عنها ... ولم يذكرها ابن هشام في سيرته في جملة المراثي التي قيلت في رسول الله ﷺ .

٢ ـ إن في هذا البيت الذي استشهدوا فيه ... تحريفاً عن أصله فقد ذكر الحافظ الهيثمي في كتابه : مجمع الزوائد ج ٩ ص ٣٩ في باب وداعه ﷺ قال : روى الطبراني بإسناد حسن عن عروة بن الزبير قال : قالت صفية بنت عبد المطلب ترثي رسول الله :

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا ★ وكنت بنا براً ولم تك جافيا

هكذا رواية الطبراني...ولكن الدحلان حرّف بيت الشعر وذكره في كتابه : « الدرر السنية في الرد على الوهابية » ، حيث كتب [أنتْ رجاؤنا] بدلاً من [كنت رجاءنا] ليدل هذا اللفظ أن رسول الله ﷺ رجاء في الحياة وبعد الممات ، فصار مصداقاً لقوله تعالى : (فبدل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذ قيل لهم /٢٦٢/) الشعراء .

وذكره الشيخ محب الدين الطبري « ذخائر العقبى في مناقب القربى » أي [كنت رجاءنا] لا [أنت رجاؤنا] وهذا التحريف ظاهر لا خفاء فيه ... فلماذا يا ترى ...؟ ومتى كان الكذب والتحريف والتبديل حجة أو دليلاً ...؟ نعم ان هذه الصفات حجة ودليل من لا خلاق لهم . وقول صفية الصحيح أعني غير المحرّف ردّ صريح عليهم . وذلك أنها فرقت بين الحياة والموت فقالت : [كنت رجاءنا] تعني رضي الله عنها أنه ﷺ ... يوم أن كان حياً بين أظهرهم يرجعون اليه إذا أشكلت الأمور .. وتعقدت ، ليدعو الله لهم ، ويبين لهم ما يحتاجون اليه من الهدى في الدين والدنيا . نعم كان ﷺ رجاءهم ، فيرجعون إلى الوحي المنزل عليه فيحل الإشكال . وليس معنى هذا ... أنه كان رجاءهم في الخلق والرزق وتيسير الأمور ، وتفريج الكروب ، وهداية القلوب .

وكأن تحريفَهم هذا ... لجأوا اليه ليثبتوا به مرادهم من جواز التوسل بذوات المخلوقين، مع أن القضايا العلميـة لا تثبُت بالتحريف ... والإصرار على الباطل . لأن هذا لا ينفعهم في شيء ، بل على العكس تماماً ... فإنه لا ينفعهم إلا الحق والصدق والعلم القويم والنقل السليم والأمانة في نقل الأخبار،أمّا الباطل فلا يُبقي حتى ولا على نفسه ... فضلاً عن أهله وذويه .

وهكذا فقد تبين لك يا أخي ... أن متن خبرهم ذاك محرّف ... وذلك عن عمد وتقصّد وإصرار وهم يعلمون . أما سنده فهو سند منقطع مرسل ... ولا أعني أن الخبر الذي أتوا به هم ... فذلك محرّف موضوع ... أما السند المنقطع والمرسل فهو للخبر الذي ورد عن عروة ابن الزبير الذي تكون صفية بنت عبد المطلب جدته لأبيه وإليك البيان :

الكلام على سند هذا الخبر

هذا الخبر ... في سنده انقطاع بين عروة بن الزبير وبين صفيّة جدته لأبيه فقد ولد سنة ٢٩ كما في التهذيب ونحوه أي بعد وفاته ﷺ بتسع عشرة سنة ولما كانت مرثية صفية عقب وفاته ﷺ فتكون ولادته بعد القصيدة بتسع عشرة

سنة. وصفية رضي الله عنها ماتت سنة /٢٠/ أي قبل ولادة عروة بتسع سنين .. ولهذا فإن عروة لم يدرك جدته صفية وإن روايته عن أبيه الزبير مرسلة فكيف عن أم أبيه فإنها أيضاً منقطعة ومرسلة .

وهكذا فإن هذا الخبر ... أي خبر المرثيّة غير المحرفة ... ضعيف لا تثبت به حجّة ... وذلك على فرض عدم التحريف والتبديل ... أمـــا الخبر الذي أوردوه حجةً على جواز توسل العبد بذوات المخلوقين فإنه محرّف المتن ومرسل السند ومنقطعه، وحري بهـذا الخبر المحرّف المنقطع المرسل، أن يكون ضعيفاً لا تثبت به حجة ولا ينهض به دليل على صحّة دعوى القوم ...

٢٤ ـ رؤيا الترمذي

ذكر طاهر بن محمد بن هاشم باعلوي في كتابه المسمى : مجمع الأحباب في ترجمة الإمام أبي عيسى الترمذي صاحب السنن أنه رأى في المنام رب العزة، فسأله عما يحفظ عليه الإيمان حتى يتوفاه عليه قال: فقـال لي: قل : إلهي بحرمة الحسين وأخيه ، وجده وبنيه ، وأمه وأبيه، نجّني من الغم الذي أنا فيه. يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام أسألك أن تحيي قلبي بنـور معرفتك يا الله يا الله يا الله يا أرحم الراحمين .

هذه الرؤيا أثبتها الدحلان في كتابه « الدرر السنية في الرد على الوهابية » وكأنه آلى على نفسه أن يحشر في كتابه كل خبر يراه مؤيداً لوجهة نظره دون النظر والتثبت من صحته وهذه الرؤيا من هـذا النوع الذي لا زمام له ولا خطام ... ولو أن غيره أتى له برؤيا يحتج فيها على أمر ما ... ليس له فيـه غرض ، فكان يقيم الدنيا عليه ويقعدها لوماً وتأنيباً لأنه احتج برؤيا ... وكان يقول له مثلاً : يا أخي ومتى كانت الرؤى حججاً وأدلة ...؟ألا تعلم أن الرؤيا لا يثبت بها شيء وأن الدين لا يؤخذ عن الرؤى والمنامات ... فكان لا ينظر لرؤياه أي اعتبار . ولكن عندما يرى حجة فيما يزعم في حكاية خرافية أو منام أو رؤيا ، فإنه يسرع إلى الأخذ بهـا ... ويجعلها حجة ودليلاً وبرهاناً ؟!! كما فعل هنا بهذه الرؤيا التي رآها في كتابٍ ما ... فأعجبته لأن فيها ما يؤيـد مذهبه الباطل . مع أن الرجل يذكر بعلم بين الناس وقيل أنـه تولى قضاء مكة في يوم من الأيام .

ولكن يجب على الذي أنعم الله عليه بالعلم أن يشكر الله على ذلك بأن يعطي العلم حقه ومستحقه من الفهم والدراية ، واتباع النصوص الشرعية وعدم العدول عنها إلى خرافات وترهات فإن فعل ذلك وتمسك بالحبل المتين والعروة الوثقى ، يكون قد شكر الله على ما أفاء عليه من نعمة العلم والفهم ... أما أن يحرف أو يبدل أو يخرف ويعزف عن النصوص إلى هواه ، فهذا ليس شأن العلم والعلماء ولا طريق أهل الإيمان. وعلى كل فإن الرجل لاقى ربّه ونرجو أن يكون قد تاب إلى الله قبل الموت وأحسن العمل .

ولنعد إلى النظر في هذه الرؤيا المعزوة إلى الإمام الترمذي رحمه الله .

١ً – ليس لهذه الرؤيا سند متصل صحيح بالترمذي لينظر فيه .

٢ً – ليست الرؤى حججاً شرعية ولا أصلاً من أصول الدين لا سيما إذا كانت مخالفة لنص الكتاب والسنة .

إننا نجلّ هذا الإمام الجليل عن الأخذ بمثل هذه الرؤيا ... وهو من رجال السنة العظام الناصرين لهذه السنة النبوية المطهرة فلا يعقل البتة أن ينصر مثل هذه الترهات وإن الكذابين والوضاعين ، يستفيدون من سيرة أمثال هؤلاء الأفذاذ ... وينسبون اليهم أقوالاً هم بريئون منها ... ولكن حتى يوهموا العامة أن ما نسب إلى مثل هؤلاء الجبال من العلم صحيح فالعامة ولا شك ليس عندهم الفقه اللازم والعقل الكامل المستنير ليفحصوا مثل هذه الأخبار الملفقة فينظروا إلى من هي معزاة ، فإن كان عزوها إلى عالم جليل معروف اطمأنوا اليها وأخذوها بالقبول ... فإذا تقادم عليها العهد ... فقد يأخذ بها بعض الخاصة أيضاً ...

وهكذا كان تسرب مثل هذه الأكاذيب إلى الناس ... وهذا سبيل الكذابين الوضاعين ، الذين لا يخافون الله .

إذاً فالإمام الجليل أبو عيسى الترمذي صاحب السنن بريء من هذه الرؤيا المعزوة اليه . إننا نتهم أولئك الكذابين بجريمتهم هذه ونتحداهم أن يأتوا بسند صحيح متصل إلى الإمام الترمذي .

إن الله تعالى أنعم على هذه الأمة بأن تولى لها حفظ دينها ، وأكمله لها وأتمّ

عليها به النعمة ورضيه لها ديناً فما لم يكن يومئذ ديناً لا يكون اليوم ديناً (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً)٣/المائدة. فلسنا محتاجين بعد هذا إلى رؤى ومنامات تنقض لنا ديلنا .

وعلى فرض صحة وقوع مثل هذه الرؤيا ... فصحة وقوعها شيء ، وصحة ما يترتب عليها من أحكام شيء آخر. إلا إذا كانت مؤيدة لما في الكتاب والسنة من إحكام ولا تخالف أصلاً من أصول الدين فإن هنـــاك علماء بتفسير الأحلام يفسرون لمن رأى حلماً ... لماذا يرمز حلمه ... إلى آخر ما هنالك ... ومـا نحن بتفسير الأحلام بعالمين .

قد يكون للشيطان دخل بمثل هذه الرؤى والمنامات ... فكثيراً ما يدخل الشيطان على ضعاف الأحلام والجهال بأن يتمثل لهم بأشكال مختلفة ويضلهم عن سواء السبيل ولكن الإمام الترمذي الجليل هو أجل من أن تمشي عليه أحابيل الشيطان فلا يعقل أن تدخل عليه مثل هــذه المنامات وهو يعلم انها مخالفة للشرع ... لأن الله تعالى لا يقبل واسطة أحد بينه وبين خلقه إلا فيما اختار من عباده من الأنبياء والرسل ، ليكونوا واسطة تبليغ الوحي فقط .

ان هذا الدعاء الوارد في هذه الرؤيا الموضوعة ... تظهر عليه مسحة الصنعة ظاهرة جلية . وان صنعة السجع الظاهرة عليه هي من جملة الأسباب التي كشفت وضع الرؤيا وكذبها . فإن ضرورة السجع الذي يلجأ اليهـا بعض الكذابين في حياكة الفاظهم يتخذونها وسيلة من الوسائل للتأثير على الأسماع واستحسانها لفظاً...فيؤثرهذه الاستحسان اللفظي، على استحسانها معنى، وهذا غالباً مايكون تأثيره على العامة ... فأمـا الذين نوّر الله أبصارهم وبصائرهم يعرفون صحتها من زيفها ... هم الذين يكشفون هذا الزيف ، فخذ مثلاً هذه الرؤيا فقد اضطر من حاك ألفاظها أن يجره السجع ، إلى مخالفـة مراتب الأشخاص الواردة أسماؤهم في الرؤيا ...

إنه يقول : (إلهي بحرمة الحسن وأخيه ، وجدّه وبنيه وأمّه وأبيه) . فحتى ينتظم السجع قدم الحسن وأخاه الحسين على جدهمـا الرسول ﷺ ثم قدم ذرية

الحسن بالمقام على أمه وأبيه كل ذلك لضرورة السجع .

هذا عدا عن أن الله لا يأمر بشيء في المنام يكون قد حرمه في الدين ... مما يدل على انكشاف بواطن الوضاعين ومقاصد الكذابين ، ونوايا الحاقدين حتى يعرف كذبهم وحقدهم .

وهكذا ... فقد خاب فأل هؤلاء الضالين المضلين الذين يختلقون الأكاذيب، والأخبار الملفقة ... وإن عتبنا على أحد ... فلا نعتب إلا على أمثال الشيخ الدحلان، كيف تدخل عليه مثل هذه التلفيقات والترهات والأباطيل ... لاسيما وهو عالم كبير من علماء مكة فيما مضى من الزمن ، فيحشو في كتابه كل غث وباطل ... إلا أن يكون كتابه « الدرر السنية في الرد على الوهابية » ملفقاً عليه أو مدسوساً ... وإلا ... فإنه لمسؤول مسؤولية كبرى ، أمام الله تعالى عما ورد في كتابه جملة وتفصيلاً (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب /٨/ آل عمران) .

٢٥ ـ توسل الشافعي بآل البيت

ذكر ابن حجر المكي في كتابه المسمّى (بالصواعق المحرقة لاخوان الضلال والزندقة) : أن الامام الشافعي رضي الله عنه توسل بأهل البيت النبوي حيث قال :

آل النبي ذريعتي ★ وهمُ اليه وسيلتي
أرجو بهم أعطى غداً ★ بيدي اليمين صحيفتي

الكلام على هذا الخبر

من السهل جداً على كل إنسان، أن يلصق أية تهمة بأي إنسان آخر... ولكن المعلوم أن مجرد الإتهام بدون إثبات لا يفيد صاحبه في شيء ويبقى اتهامه مجرد دعوى ... والدعوى العارية عن الاثبات ، دعوى لا قيمة لها . . ويبقى المتهم بريئاً إلى أن يدان .. لا سيا إذا كان المتهم من أجلّ الناس قدراً ، وأكبرهم مقاماً وأعزهم منزلة ، وأملأهم علماً ، وأغزرهم معرفة بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وأشدهم ورعاً وتقى ... فليس من السهل اتهامه ، فضلاً عن اثبات التهمة عليه .

الشافعي رضي الله عنه ، الذي كان أشد العلماء تمسكاً بالسنة ونصراً لها ... وحرصاً على حمايتها من البدعة ... لا يعقل بشكل من الأشكال أن ينسب اليه خرقٌ للسنّة لا فعلاً ولا قولاً ولا إقراراً .. ومع ذلك فإننا نتحدّى (القوم...) أن يثبتوا بالنقل الصحيح أن الشافعي قال هذين البيتين من الشعر ... حاشاه رضي الله عنه من ذلك .

صحيح أن الشافعي محب جداً لآل البيت... لكنه حب محدود ولا شك بالحب لا يخرج عن هدي الكتاب والسنة. وهو من أحرص أهل زمانه قاطبة على ذلك وقد علمتَ يا أخي أن التوسل بذوات المخلوقين، لم يأتِ به شرع، بل هو شعار من شعارات الجاهلية ... التي يترفع ويجل عنها مقام الشافعي الكريم وإننا لمنتظرون أن يثبت القوم، بالنقل الصحيح عن الشافعي رضي الله عنه ما عزي اليه من قول، أقل ما يقال فيه أنه الافتراء المحض ... نعم إننا لمنتظرون ... ولكن هيهات هيهات ... وألف ألف هيهات ...

أما سند هذا الخبر ... فمعدوم ولا وجـود له، إلا في مخيلة من أخترعوه، ووضعوه واقترفوا فيه جريمة الافتراء والكذب.. فهو إذاً خبر باطل لا أصل له.

وليس الشافعي رحمه الله ورضي عنه أول من كذِب عليه . . بل كذب على من هو أعظم وأجل منه فقد كُذِب على رسول الله ﷺ ... فالذي يجرأ أن يكذب على سيد الخلـق، لا يتورع أن يكذب على الشافعي رضي الله عنـه وأرضاه .

٢٦ ـ توسل الشافعي بأبي حنيفة
رضي الله عنهما

قال ابن حجر المكي في كتابـــه المسمى « الخيرات الحسان » في مناقب أبي حنيفة النعمان في الفصل الخامس والعشرين أن الإمام الشافعي أيام هو ببغداد كان يتوسل بالإمام أبي حنيفة رضي الله عنه يجيء إلى ضريحه يزورهُ فيسلم عليـــه ثم يتوسل إلى الله به في قضاء حاجاته .

الكلام على متن هذا الخبر

من المعلوم أن معنى التوسل هو القربى ... والمتوسّل، عليـــه ولا شك أن يتحرى في توسله أن يكون هذا التوسل من النوع الموافق لعقيدة هذا المتوسَّل به، فإذا كان الذي يريد أن يتوسل به، يكره ويحرم هذا النوع من التوسل، فكيف يعقل من أحد أن يقدم على عمل هو مكروه عند المتوسل به ...؟ لأنه موقن بأن المتوسل اليه به لا يقبل قطعاً هذا التوسل لا سيا وقد منعه منعـــاً باتاً على ألسنة رسله من لدن آدم إلى محمد ﷺ ... فإن أبا حنيفة رضي الله عنه كان لا يجيز التوسل إلى الله بأحدٍ من خلقه فقد ثبت عنه أنه قال : « لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلاّ به . وأكره أن يقول : أسألك بمعاقــد العز من عرشك وأن يقول بحق فلان وبحق أنبيائك ورسلك ، وبحق البيت الحرام » .

ولا شك أن الشافعي رضي الله عنه يعلم هذا من مذهب أبي حنيفة في التوسل فكيف يتوسل به ... وهو يكره هذا النوع من التوسل بل ويحرمه ؟! فهل من المعقول بعد أن يعلم الشافعي من أبي حنيفة ذلك أن يتوسل به ...؟ هـــذا غير معقول البتة ... بل هو إغضاب لأبي حنيفة لأنه يكرهه ويحرمه ... لأنّ الله كرهه ويحرمه ... ولا شك أن الشافعي وأبا حنيفة رضي الله عنهما.. لا يحبان إلاّ ما يحب الله ولا يكرهان إلا ما يكرهه الله سبحانه وتعالى...فكيف يتقرب الشافعي إلى الله بالتوسل بأبي حنيفة بما يغضب الله وأبا حنيفة . حاشاه رضي الله عنه من ذلك وهو بريء ممـــا نسب اليه . ولكن ماذا نقول للكذابين

والمفترين ...؟ اننا نشكوهم إلى الله تعالى : اللهم عاملهم بما يستحقون .

قال في « تبعيد الشيطان » : والحكاية المنقولة عن الشافعي ، أنه كان يقصد الدعاء عند قبر أبي حنيفة من الكذب الظاهر . ا هـ

إصرار الشيخ دحلان

يقول الشيخ دحلان في كتابه « الدرر السنية في الرد علـى الوهابية » : (وهؤلاء المانعون للتوسل ، يقولون بجواز التوسل بالأعمال الصالحة مع كونهـا أعراضاً فالذوات الفاضلة أولى) .

رد الشيخ رشيد رضا عليه

فردَّ عليه الشيخ رشيد رضا عليه الرحمة بقوله تعليقاً على كتاب: « صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان » :

إن التوسل بالأعمال الصالحة ، هو التقرب إلى الله تعـالى بما شرعه لعباده بالإجماع والنصوص القطعية ، وهو المعقول ... إذ هي التي تزكي نفس العامل ، وتجعله أهلاً لرضوان الله تعالى واستجابته لدعائه . وأما ذات غيرك ، فلا تأثير لهـا في تزكيتك مهما تكن تلك الذات فاضلة بعملها المزكي لها (**قد أفلح من زكاها /٩/ الشمس**) .اهـ

قلت : لا شك ولا ريب أن العمل هو الذي يجمّل الذات ، ولولا العمل لم يكن الذات شيئاً مذكوراً ، والعمل هو أداة معرفة الذات في خير أو شر ... فإن كان عمله خيراً فيعرف بذلك العمل ويوصف به وإن كان عمله شراً ، فيعرف بذلك العمل ويوصف بـه وهكذا ترى أن الذات يتبع العمل ، لا العمل يتبع الذات .

فالنبي ﷺ . والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وكذلك الصديقون والشهداء والصالحون... لولا أعمالهم العظيمة التي وفقهم الله إليها ما عُرفوا ... فبالأعمال الصالحة التي عملوها عرفت ذواتهم مكرّمة قال الله تعالى : (وَوَجَدَكَ ضالاً فهدى /٦/ الضحى) وقال عز من قائل : (قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم

/٧٧/ الفرقان) ففي هذا... دلالة على أن العمل هو الذي جعل الذات مقرّبةً. ولا شك أن العمل لعامله وليس لغيره نصيب فيه ... فإذا فهم ما تقدم تبين أن العمل أفضل من العامل وهو الذي جعله فاضلاً؛ لا أن العمل صار فاضلاً لما صدر عن ذلك الذات ...! ولهذا فإن علياً رضي الله عنه كان يقول :

[إعرف الرجال بالحق لا الحق بالرجال واعرفِ الحق تعرفْ أهله]

* * *

وبهذا...تبين فساد قول الشيخ دحلان ..وثبت أن الأعمال الصالحة أفضل من الذات ، بل هي التي جعلته ذاتاً فاضلاً ... وبها عرف. ولولا الأعمال ، لما كانت الذوات شيئاً مذكوراً .

٢٧ ـ الرد على الشبهة الأخيرة ...

أمّا ما أوردتموه علينا – في آخر ما زعمتموه من حجج – من أنكم توسطون إلى الله أنبياءه وأولياءه والصالحين... في قضاء حوائجكم ، كما توسطون إلى كبير من المخلوقين ، أحدَ المقربين إليه في حوائجكم لتقضَى عنده .

فنقول وبالله المستعان : إن وساطة المخلوق للمخلوق جائزة ... فقد يكون هذا الكبير الذي ذكرتموه في شبهتكم ، تعتريه علل في نفسه مانعة دون قضاء حوائج الناس ، من جهل ، أو ظلم ، أو منفعة مادية أو معنوية يتطلّع إليها ، أو مصالح متبادلة قائمة بينه وبين الوسيط أو أية علة أخرى تشكل حائلاً دون قضاء مصالح الناس .

فمثل هذا الكبير الذي افترضتم وجوده ... يَحتاج ولا شك إلى وسيط مقرّب لديه يتوسط لحل المشاكل المستعصية ...

ولكن .. لا يجوز إن صح قيام الوساطة إلى هذا الكبير للحيلولة دون علله الضارة بمصالح الناس ... أن يصح قيـــام هذه الوساطة بين الله وبين خلقه !!! لأن القياس بين الوساطتين قياس مع الفارق إذ أن الله تعالى لا تحول بينه وبين خلقه مثل تلك العلل ... !!!؟

تنزه الله وتقدس وتعالى عن ذلك علواً كبيراً ...

ولعلكم أدركتم فساد قياسكم ، واقتنعتم بعـــدم صلاح وروده حجةً لكم علينا، ومع ذلك نسألكم : لو كان هذا الكبير ... مشهوراً لدى العام والخاص بإحقاق الحق والعدل ، وفاتحاً باب الدخول عليه على مصراعيه للناس كافة ... فيدخل عليه من شاء ، ويسمع من كل أحدٍ ظلامته ، ويقضي بها على الشكل الأتم الأكمل من الحق والعدل ، بلا أية واسطة ... فبالله عليـكم أكنتم تحتاجون إلى واسطة للدخول عليه ..؟ ستقولون : لا .. بل ندخل عليه بلا واسطة .

ثم نسألكم أيضاً : بالله عليكم ، أيكون هذا الذي قضى لكم حوائجكم بلا واسطة أفضل في نظركم ... أم ذاك الذي جعل دونه ودون مصالح الناس حجاباً فلا يقضي حوائجهم إلاّ بوسائط ، في نظركم أفضل...؟ ستقولون : بل هذا الذي يقضي حوائجنا بلا واسطة أفضل في نظرنا..وفي أنظار الناس جميعاً.

فنقول : يا سبحان الله ، لمـاذا لم تفترضوا الأفضل لله تعالى وانكم لتعلمون أن الله تعالى واجب دائماً في حقه الأفضل والأمثل ؟ ولكن يجب أن تعلموا علم اليقين إنكم والله لو شبهتم الخالق بالمخلوق الأفضل لكفرتم ... فكيف وقـد شبهتموه بأدنـىء مـــا يتصور من الحـكام الظالمين الذين لا يوصلون الناس إلى حقوقهم إلا بوساطات المتوسطين ، وشفاعات الشافعين ... !!!؟

فهل شعرتم في عملكم هذا ... أنكم ما قدرتم الله حق قدره... هدانا الله وإياكم سواء السبيل ، وسلكنا وإياكم صراطاً مستقيماً .

والحمد لله رب العالمين

فتوى رسمية

من مفتي الديار المصرية

نشرتها مجلة الاذاعة المصرية في ١٩٥٧/٣/٧

سئل فضيلة الأستاذ الشيخ حسن مأمون مفتي الديار المصرية سؤالين هـامين عن زيارة الأضرحة والتوسل فأجاب فضيلته بما يلي :

س ١ – ما حكم الشرع في زيارة الأضرحة – أضرحة الأولياء – والطواف بالمقصورة ، وتقبيلها والتوسل بالأولياء ؟

ج ١ – أود أن أذكر أولاً ... أن أصل الدعوة الاسلامية ، يقوم عـلى التوحيد . والإسلام يحارب جاهداً كل ما يقرب الإنسان من مزالق الشرك بالله. ولا شك أن التوسل بالأضرحة والموتى ، أحد هـذه المزالق . وهي رواسب جاهلية . فلو نظرنا إلى ما قاله المشركون عندما نعى عليهم الرسول ﷺ عبادتهم للأصنام ، قالوا له :

(ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) فهي نفس الحجة التي يسوقها اليوم الداعون للتوسل بالأولياء لقضاء حاجة عند الله ، أو التقرب منه . ومن مظاهر هذه الزيارات ... أفعال تتنافى كلية مع عبادات اسلامية ثابتة . فالطواف في الإسلام ، لم يشرع إلا حول الكعبة ، وكل طواف حُوّل إلى مكان آخر ، حرام شرعاً . والتقبيل في الإسلام ، لم يسن إلا للحجر الأسود . وحتى الحجر الأسود

قال فيه عمر وهو يقبله : (والله لولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما فعلت) فتقبيل الأعتاب ، أو نحاس الضريح ، أو أي مكان به حرام قطعاً .

وتأتي بعد ذلك الشفاعة . وهذه هي في الآخرة غيرها في الدنيا . فالشفاعة ارتبطت في أذهاننا بما يحدث في هذه الحيـاة من توسط إنسان لآخر أخطأ عند رئيسه ، ومن بيده أمره ، يطلب اليه أن يغفر له هذا الخطأ ، وإن كان هـذا المخطيء لا يستحق العفو والمغفرة ... غير أن الله سبحانـه وتعالى ، قد حدد طريق الشفاعة في الآخرة فهذه الشفاعة لن تكون إلا لمن يرتضي الله أن يشفعوا ، ولأشخاص يستحقون هذه الشفاعة ، وهؤلاء أيضاً يحددهم . إذن فكل هـذا متعلق بإذن الله وحكمه . فإذا نحن سبقنا هـذا الحكم بطلب الشفاعة من أي كان ... فإن هذا عبث ، لأننا لا نستطيع أن نعرف من سيأذن الله لهم بالشفاعة ومن يشفع لهم .

وعلى ذلك ... يتضح أن كل زيارة للأضرحة – غير الشرعية – والطواف حولها ... وتقبيل المقصورة والأعتاب ... والتوسل بالأولياء ، وطلب الشفاعة منهم ... كل هذا حرام قطعاً ومنافٍ للشريعة ، أو فيـه إشراك بالله . وعلى العلماء أن ينظموا حملة جادة ... لتبيان هذه الحقائق ... فإن الكثير من العامة بل ومن الخاصة ... !! ممن لم تتح لهم المعرفة الاسلامية الصحيحة ... يقعون فريسة الرواسب الجاهلية التي تتنافى مع الإسلام . وإذا أخذ الناس بالرفق في هذا الأمر ، فلا بد أنهم سوف يستجيبون للدعوة ، لأن الجميع حريصون ولا شك على التعرف على حقائق دينهم .

س ٢ – هل يجوز النذر لغير الله ، مثل أن ينذر أحدهم نتاج ماشيته أو ريع أرضه ، أو مبلغاً من المال لأحد الأولياء ؟ وهل يقر الاسلام هذه النذور ؟

ج – وردت الآيات صريحة في أن النذر لا يجوز إلا لله والنذر لغير الله شرك فالنذر طاعة ، ولا طاعة لغير الله .

حسن مأمون

مفتي الديار المصرية

الخاتمة

بهذه الفتوى التي أفتاها الشيخ حسن مأمون مفتي الديار المصرية ، أختتم هذا الكتاب .

هذا الكتاب الذي أوضحت فيه التوسل المشروع ، والتوسل الممنوع . وقد ذكرت أدلة كلا الطرفين ... ويعلم الله أنني ما تحيزت إلاّ للحق ، وللحق وحده .

لا شك انني طرف في هذا النزاع العلمي العقائدي. فإنني من مؤيدي التوسل المشروع ومن مخالفي التوسل الممنوع ومع الذين يحرمونه تحريماً باتاً ... ولكنني أستطيع أن أقول انني كنت منصفاً في إيراد حجج الخصم وفي الرد عليها ... ولا شك انني أعتقد اعتقاداً جازماً ، أن ما سموه حججاً وأدلة ليست كذلك البتة... لأن الحجة لا يقال لها حجة إلاّ إذا أثبتت فكرة ما وأوضحتها وأظهرت الحق فيها ... أما إذا لم تستطع هذه التي يسمونها حججاً إثبات المقصود فليست بحجج ولا أدلة ... إنما هي شُبَهٌ ... ظنوها حججاً ، وما كان الظن في يوم من الأيام يغني عن الحق شيئاً ... وعلى كل فإننا قد أظهرنا للجميع زيفها وزيغها وذكرنا أقوال علماء الحديث والعارفين بالرجال فيها... فسقطت متوناً وأسناداً، وتهافتت كورق الخريف . وقد رأى القارىء المسلم الكريم بأم عينه ، كيف كان ينهار صرح شبههم لبنةً لبنة ... إلى أن هدّ بنيانهم إلى القواعد ... إن

كان هناك قواعد !!! وكلي أمل أن يعتبروا بهذه النهاية للباطل وكيف انه زهق تحت ضربات الحق ان الباطل كان زهوقاً .

ولعل أحداً يقول : إنك اعترفت بأنك طرف في هذا النزاع ... فكيف سمحت لنفسك أن تنفرد بالحكم على خصومك ... فحكمك في حقهم غير مقبول لأنك طرف . فكيف تكون في آن واحد خصماً وحكماً ...؟!!! فأقول:

إن هذا النزاع القائم في هذا الموضوع لن تكون الأمـة بأجمعها إلاّ أحد طرفين إلزاماً لانه عقائدي ، وقد حدد الله فيه من أول الأمر أين هو الحق وما أنا إلاّ بذاكر فقط ... حكم الله تعالى . ومـا بلغه رسول الله ﷺ ، ولا يمكن إلا أن أكون طرفاً ... وقد كنت ... واخترت طرف الحق ... والحمد لله الذي هداني لهذا ، وما كنت لأهتدي لولا أن هداني الله .

وليست القضية خلافاً على أمور شخصية فلو كانت كذلك ... لصح فيها أن يقال: يجب أن يكون الحكم حيادياً ... أي ليس له مصلحة شخصية من هذا الخلاف القائم بين الطرفين المتقاضيين .

ولكن الأمر ليس كذلك فهو خلاف على قضية شرعية ليس الحكم فيهـا سوى الله تعالى وقد حكم هو سبحانه ... لا أنا الذي حكمت ، ولا غيري من المخلوقين ... وأعني بذلك أن الأمر من أساسه هـو لله تعالى ومن أجله أرسل الرسل من لدن آدم إلى محمد عليهم الصلاة والسلام ولست أول من ردد حكم الله على أمثال هؤلاء الذين يجيزون التوسل بذوات المخلوقين... فقد بحث هذا الأمر قبلي كثير ... فجمعت أنا بدوري هذه الأبحاث بأسلوب علمي منهجي وعرض سهل جديد ورددت بها في هذا الكتاب ... على من يختلف مع دعوة الحق في هذا الأمر الجليل فبسطت لهم الحجج القرآنية والأدلة السنية ، ولما بسطوا ما سموه بالحجج !!! نقضتها كذلك بحجج القرآن وأدلة السنة ، واستعنت كذلك على دحض شبهاتهم ... بأقوال علماء الحديث وعلماء رجال الحديث على ضعف ووضع وكذب وبطلان ما أوردوا من حجج على ما يزعمون... ولو كان غيري مختلفاً معهم لما أتى إلا بالذي أتيت . فالحياد في هذا الموضوع غير وارد البتة

بل هو مستحيل ... وان وجد فإنما هو طرف ولا شك، ولكن في جانبهم ... لأنه لا مكان له في جانبنا فإن الأمة بأجمعها دونما أي استثناء طرفان ... فإما هنا أو هناك ولا ثالث لهما . لأن الذي هو حيادي بين قول الله ورسوله وبين من كان خلافهما فهو مع خلافهما قطعاً .. إذاً لا حياد هنا البتة . إنما يمكن أن يكون أحدٌ ما بين بين من الطرفين ، أي بمعنى أنه لم يتضح له الأمر بعد ... ويسعى جهده لتفهم وجهة الحق حتى يتبعها ... فمثل هذا ... يكون هذا الكتاب شافياً لما يجد ... فإذا قرأه سيخرج بنتيجة حتمية دونما ريب ... أي سيكون أحد الطرفين حتماً ... فأين هذا الحياد المزعوم ...؟!!

إذاً لا حياد بين الحق والباطل ،لأن الحياد هنا كتم للعلم... والعلم أمانة و كتمانه خيانة . ولا شك أن مكان الخيانة هو في ناحية الباطل ولا مكان لها في طرف الحق ... وهكذا فإنّ الحياد بين الحق والباطل إنما هو انحياز صريح إلى الباطل ولا يسمع قول من يقول أنا حيادي في هذا النزاع ... بل يرد قوله ويقال له : خذ مكانك مع أهل الباطل ... وهذا طبعاً بعد أن يعرض عليه الحق بدليله .. فإن بقي على حياده المزعوم ... أشرنا إلى مكانه في الطرف الآخر ، وقلنا له : خذ مكانك مع أهل الباطل .

ولكن لنا الأمل الوطيد بالله تعالى ... ثم بكل من يقرأ هذا الكتاب أن يخرج بنتيجة إيجابية ... فيرى الحق حقاً ويرزق اتباعه ... ويرى الباطل باطلاً ويرزق اجتنابه بفضل الله ومنّه و كرمه .

فإذا كان هذا الكتاب ... سيخرج بقارئه إلى هذه النتيجة الطيبة ... فنستطيع إذاً ان نسميه الكتاب القائد والسِّفر الرائد إلى الحق ... فلا ينطق إلا باسمه ، ولا يهتدي إلا بنوره وهداه .

هذا الكتاب ... سيكون إن شاء الله ، الصيحة الرائدة ، والدعوة القائدة إلى المنطلق البناء ... يبني العقيدة ، كما أرادها الله في تبيانه ، وكما دعا اليها الصادق الأمين في بلاغه وبيانه ... حتى يعبد الله وحده كما يحب ويرضى .. فينطلق الأبناء من منطلق الآباء ... يجددون للاسلام بنيانه، الذي

سيبقى إلى ابد الآبدين في حفظ رب العالمين .

(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)

نحن لا ندعوا إلى شيء فرضناه ... أو إلى أمر ابتدعناه ... بل ندعوا : إلى الدعوة الأولى كما نزلت على داعيها أول مرة ... بلا تزييف ولا تأويـــل ولا تعطيل ...

أجل ... ندعوا إلى الدعوة المحمدية ، الندية السلفية ، الغضة الطرية ... وندعوا الآذان أن تنصت للوصية التي نطق بها الصادق المصدوق قبيل التحاقه بالرفيق الأعلى :

[تركتكم على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها · لا يزيغ عنها إلا هالك]

علّها ترن في الآذان ، وتعيها القلوب .

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى ما شاء الله وسلم تسليماً كثيراً **(وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين)** .

في ١ صفر سنة ١٣٩٤
الرياض

خادم الدعوة السلفية إلى الصراط المستقيم
محمد نسيب الرفاعي

بسم الله الرحمن الرحيم

خطاب مفتوح لفضيلة الشيخ ناصر الألباني

ردٌّ على نقده لكتابي « التوصل الى حقيقة التوسل »

الوارد في كتابه (التوسل أنواعه وأحكامه)

[إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهدِه الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتنّ إلاّ وأنتم مسلمون ﴾ ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً ﴾ ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾]

[أما بعد فإن خير الكلام كلام الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر

الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار]

. . .

وصف لظاهر كتاب فضيلته :

ثم انني اطلعت على كتيّب بحجم الكف ، في مئة وخمسين صفحة تقريباً ، مغلف بورقٍ مقوّى ، كتب على غلافه الخارجي في أعلى الزاوية اليمنى : رَقم – ٧ – من رسائل الدعوة السلفية . وفي وسط الغلاف : « التوسل أنواعه وأحكامه » وتحتها : بحوث كتبها وألقاها : محمد ناصر الدين الألباني . وكتب على الغلاف الداخلي نفس العبارات ، بزيادة : آلف بينها ونسقها : محمد عيد عباسي .

شعوري أول ما رأيت الكتاب :

أخذت الكتاب بشوقٍ ولهفة ... كيف لا .. والبحث فيه عن التوسل بحث شيق ... لا سيا ، والكاتب هو الأستاذ الألباني والمؤآلف بين أبحاثه ومنسقها كاتب قدير ، وأخ حبيب في الله هو الأستاذ العباسي ، والقارىء ، أخ سلفي يتحرّق شوقاً ، إلى قراءة أبحاثٍ سلفية ، ثرّة بالهدى والخير ، عساه أن يستفيد منها ... ما دام الكاتب والمؤآلف المنسّق ، على مستوى القمة من كتّاب الدعوة في بلاد الشام . عدا عن أن بين القارىء والكاتب والمؤآلف ، أوشاج رحم في الدعوة إلى الله تعالى، وصلات أخوّةٍ وثيقةٍ فيه ، ومحبة متينةٍ راسخة في ذات الله سبحانه .

شعوري وأنا أقرأ الكتاب :

أخذت الكتاب بقوة ... وشرعت أقرأ باهتمام بالغ ... وتؤدةٍ وأناة ، لا سيا .. وإنني قبل سنة ونيف من طبعه ... كنت أخرجت كتاباً في الموضوع

نفسه ، بشكل مفصل ... يقارب للثلاثمأة وخمسين صفحة من القطع المتوسط ، فلعلّي أجد في كتاب الأستاذ الجليل ، وفي ثنايا بحوثه القيمة ... فوائدَ قد تكون فاتتني في كتابي ... فأستدرك ما شرد مني ، واستلحق ما سُبقت إليه ، فأضيفه إلى معلوماتي ، وإلى أبحاث كتابي في طبعة قابلة إن شاء الله تعالى ...

أجل .. بهذه الروح المتلهفة ، وبهذه النية المخلصة ، وبهذا القصد العلمي المجرد النبيل ، انكببت على الكتاب ، أطالعه وألتهم أبحاثه ، وأعب من سطوره ، جرعاتٍ هنيئةً مريئة ، من العلم والخير والهدى .

« تنبيه ...!!!؟ »

وبينما أنا في بحبوحة من هذه الهناءات الغامرة ، واللذة الروحية العارمة ... إذ يفاجئني انقطاع النور من سطوره وتوقف عن سلسله العذب !!! قبل أن أرتوي من منهله الصافي ، وغديره الجم ... وإذ يعلن الكاتب بداءة من أول السطر : « تنبيه » وكأنه السهم يشير إلى منعطف جديد ... وهكذا فقد فاجأ الأستاذ الألباني قرّاءه بتنبيهه ... الهام !!! وقال : « إطلعنا بعد صف هذه الملزمة...على كتاب : / التوصل إلى حقيقة التوسل / للشيخ محمد نسيب الرفاعي الذي ذيل اسمه عليه بلقب : « مؤسس الدعوة السلفية وخادمها » وتقتضينا الأمانة العلمية ، والنصيحة الدينية ، وقول كلمة الحق ، أن نبين حكم الله كما نفهمه ، وندين الله تعالى به فى هذا اللقب فنقول : إن من نافلة القول أن نبين أن الدعوة السلفية إنما هي : دعوة الإسلام الحق كما أنزله الله تعالى على خاتم رسله وأنبيائه محمد ﷺ فالله وحده مؤسسها ومشرعها ، وليس لأحد من البشر كائناً من كان أن يدعى تأسيسها وتشريعها ... » إلى آخر ما سنعالجه من بقية قوله ...

وهكذا تابعت القراءة ، اشحذ الفكر ، وأشد العزم لفهم مراد الشيخ هداه الله وإدراك ما رمى إليه ، لأن الموضوع كان بالنسبة إليَّ شخصياً موضع اهتمامي

في حد ذاته ، لأنه يعنيني بالذات، لهذا... تابعت القراءة بروحٍ مرحة ، وتقبل للنصيحة ، بإمعانٍ ودقة ، وأعصاب هادئة ...!!! إلى أن أتيت على ما عناني به الشيخ من **تنبيهه** ...

ثم تابعت القراءة ولم أحرم نفسي ، من بهجة التمتع ببقية أبحاث الكتاب إلى أن فاجأتني « الفهرس ... » معلنة خاتمة الكتاب . فجزاك الله خيراً يا أيها الأستاذ بقدر ما تحدثت في كتابك من الحق .

أخي الأستاذ الكبير

قيل : إن كتابك لو كنتَ مؤلفه قبل كتابي / التوصل إلى حقيقة التوسل / وناشره ... لقيل إن كتابي شرح له ... أي شرح لكتابك ، أما وإن كتابك تأخر بعد صدور كتابي بسنة ونصف ... قيل إنه مختصر لكتابي !! وما دروا أن كتابي بعض ثمار غرسك ، وكان بعض الأحبة رغبوا إلي – بعدما اطلعوا على كتابي – أن اختصره ، ليفيد العامة من الاختصار، كما أفاد الخاصة من المخالفين من الأصل لموضوع الكتاب ، فوعدتهم وعداً مؤجل التنفيذ إلى مشيئته تعالى ؛ ولكن كفيتني – بارك الله فيك – مؤونة ذلك ...

استدراكي على ما عنيتني به

ومع شكري الجزيل لفضيلتك على حرصك البالغ ، على تتبع أخطاء أخيك !! وإهدائها إليه ... فبنفسٍ رضية ونفَسٍ طويل ، عدت إلى المواضع التي أشرتَ إليها ... وبعد أن تأملتها – بحسب الطاقة – وجدت ضرورة ملحّة للعودة إليك ... لأستعيد نظرك ، في أكثر ما أشرتَ إليه ... فلعلّك واجد في حكمك عليها ... ما يقتضي الرجوع عنه بعد التأمل ، وإنعام النظر ... ولعل حرصك على فائدتي ، ورغبتك الأكيدة في إسداء النصح إليّ ..!!؟ تسرعتَ وتعجلت... وها أنذا أعرض رأيي المتواضع لتستبين لك نيتي ، ويتضح لك مقصدي ...

أخي الكبير ..

١ – لن أثبت لك أنك اطلعت على كتابي قبل صف الملزمة السادسة من كتابك ... كيلا يقال إنني أحاول تكذيبك ... معـــاذ الله ولكن أذكرك – فلعلك ناسٍ – بأنني أهديتك نسخة من كتابي التوصل إلى حقيقة التوسل مع نسخة من كتابي : تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير بواسطة الأخ فضيلة الشيـخ زهير الشاويش في النصف الأول من شهر ذي القعـدة ١٣٩٤ وصدّرت لك إهداءً عليها بقولي:/ أهدي كتابي هذا إليك لعلي أكون قد عرفت الفضل لأهله/ وبعد وصول هديتي إليك بشهر واحد أتيتَ إلى حلب وأبديت ملاحظاتك الواردة في كتابـــك على كتابي للاخوان وناقشتها معهم ... بينما كتابك ، وتاريخ مقدمته التي كتبها لك محمد عيد العباسي مؤرخة ٢٧ ربيـع الأول١٣٩٥ فهل نقدت كتابي قبل أن تطـّلع على ما جاء فيه !؟ومن أنبأك بأنني ألفت كتاباً في التوسل...حتى تأتي حلب – وقبل صف الملزمة السادسة..!!– من كتابك بأربعة أشهر ونصف،وتصف كتابي وتبدي ملاحظاتك عليه..!!.أنا أعذرك فإنك يا أستاذ كما كنت تصف نفسك:أنك نسّاء والظاهر أنك نسيتَ... ورفع عن أمة محمد الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه ... فسامح الله فيك طيب قلبك ، وسلامة سريرتك ...

لو قلتَ هذا حكمي ... ولم تقلْ هذا حكم الله ...!؟

٢ – أما قولك : «... وتقتضينا الأمانة العلمية ، والنصيحة الدينية ، وقول كلمة الحق أن نبين حكم الله كما نفهمه وندين الله به »

ج : فإنني كنت أعرفك بالتأنـّي والأناة ، فما بالك تسرعت بقولك : « أن نبيّن حكم الله » ؟!! فلو قلت أن نبين رأينا أو حكمنا، لكان أقرب إلى الواقع، وما يدريك أن رأيك هو حكم الله...؟ فإنك لست معصوماً ... فقد تكون أخطأتَ عندها يكون الخطأ منسوباً إلى الله ... لا إليك .. لأنك قلت : أن

نبين حكم الله !! وإنك معي إذا قلتُ لك : لأن تخطىء ألف ألف مرة في حكمك ... أحب إليك وإليّ وإلى الناس أجمعين ... من أن تخطىء في صفات الله تعالى فتصفه بما ليس من صفاته ولا حكمه... ولو مرة واحدة. أليس كذلك يا أستاذ...؟ فإذا ظهر لك أنك كنت مخطئاً – وسيظهر ان شاء الله إن لم يكن قد ظهر – فأين يكون موضع قولك : « وتقتضينا الأمانة العلمية ، والنصيحة الدينية وقول كلمة الحق ... » ؟ سأعتذر لك أنا ... قبل أن تعتذر لنفسك أنت ... [كل ابن آدم خطّاء وخير الخطائين التوابون] ولتجدنّ الله تواباً رحيماً .

٣ – إدعاؤك أن الله هو مؤسس الدعوة السلفية ، إدعاء باطل

ثم قلت تجاوز الله عن سيئاتك : « إن من نافلة القول أن نبين أن الدعوة السلفية ، إنما هي دعوة الإسلام كما أنزله تعالى على خاتم رسله وأنبيائه محمد صلى الله عليه [وعليهم] وسلم فالله وحده مؤسسها ومشرعها ، وليس لأحد كائناً من كان أن يدعي تأسيسها وتشريعها » .

ج – : لا شك أن الإسلام الحق الذي أنزله الله على رسوله ﷺ هو كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ ، إنما أحب أن أذكّر – أيضاً – الأستاذ الجليل غير معلم : بأن هناك فارقاً بين الإسلام وبين الدعوة إليه فالإسلام تشريع وهو لله وحده والدعوة إلى الإسلام تنفيذ وهو للمخلوق ، أو بقول آخر : الإسلام غاية ، والدعوة إليه وسيلة لتحقيق تلك الغاية . إذاً ... فالله مشرع الإسلام ، والأنبياء والرسل ومن سار على هديهم من المجددين والمصلحين منفذون لهذا التشريع وداعون إليه ، ومؤسسو العمل لتنفيذه كلّما كانت ردّة ، وحيثما حصلت جاهلية ، حتى يعودَ الإسلام على مثل ما كان في عهد رسول الله ﷺ .

وإن تأسيس الدعوة إلى الاسلام ، من الأمور التكليفية الواجبة على كل

مسلم عاقل مستطيع ... فمن قام بها أثيب ، ومن هجرها عوقب .

والدعوات إن لم تكن على مثل ما دعا إليه الرسول ﷺ فهي دعاوى وادعاءات لا دعوات ... ولما كان عليه الصلاة والسلام هو وصحابته سلف الأمة ، كان كل من يدعو إلى مثل ما دعا إليه الرسول ﷺ ، داعياً على منهج السلف. وهكذا فإن الدعوة الحقّة للاسلام منذ أن كان الإسلام على الأرض هي الدعوة على نهج السلف الصالح، ولا يقبل الله دعوةً إلى دينه وشرعه إلاّ بها. فإذا قلنا الدعوة السلفية، فلا نعني إلاّ الدعوة التي دعا بها رسول الله ﷺ ؛ إذاً فالدعوة السلفية هي الوسيلة الوحيدة لتنفيذ أحكام الإسلام والدعوة إليه في الآفاق... والدعوة هذه يعتريها، ما يعتري القائمين عليها من الشباب والكهولة والهرم والموت. وموتها بموت القائمين عليها . أما الإسلام؛ فهو خالد تعهد الله حفظه ﴿ إنّا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ فكلما أصاب هذه الدعوة الهرم أو الموت ، بعث الله من يجدّد شبابَها ويُحييها ، وذلك واضح في قوله ﷺ : [من أحيا سنةً أميتت من بعدي فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ...] وموت السنّة بموت العمل بها ... ولن يخلو الدهرَ من مجدد يجدد أمر الاسلام والعمل به والدعوة إليه ... أمثال الأئمة الأربعة وابن تيمية وابن القيم وعلماء السلف من بعدهم مثل: محمد بن عبد الوهاب ، والصنعاني ، والقاسمي وأمثالهم ... فابن تيمية إذاً مؤسس الدعوة السلفية في بلاد الشام ، والشيخ محمد بن عبدالوهاب مؤسسها في الجزيرة العربية ، والصنعاني في اليمن، وصدّيق حسن خان في باهوبال بالهند ، والقاسمي بدمشق ، وابن باديس في الجزائر ، وحامد الفقى في مصر ، وتقي الدين الهلالي في المغرب ، وعبد الله الحسوفي الموصل ، والألوسي في بغداد وسعيد الجابي في حماة ، وجددتَها أنت في دمشق وبهجة البيطار قبلك ... وهكذا فقد كان يقوم بها في كل صقع من أصقاع الإسلام من يلهمه الله تعالى، أن يؤسسها بعد جاهلية تضر بالبلاد والعباد .

أما حلب ... فما أظنها كانت خاليةً ممن يعرف الحق .. ولكن كانت

خالية فيما أعلم ممّن يجرأ على الصدع بالحق والجهر به . فوفقني الله تعالى – على قلة بضاعتي – أن أقوم بالدعوة بحلب جاهراً بهـا أولاً في محيط « الكلية الاسلامية » التي كنت مراقبا موجهاً فيها ، فاستجاب لها بعض الطلاّب ، ثم دعوت بها بين طبقات الشعب ، وكنت أطوف على العلماء والمشايخ لعلّي أجد بينهم النصير فكان منهم من يستجيب لها ولا يجرأ على الجهر بها وكان الآخرون من أهل الطرق وأهل وحدة الوجوده والاتحاد والحلول ، يناصبونني العداء .. فكنت أغزوهم لوحدي في عقر تكاياهم وزواياهم وخانقاهاتهم ، وأتصدى لدهاقين الزندقة والوثنية المبرقعة ،حتى أصبحت الدعوة السلفية علَماً عليّ بحلب وغدوتُ أنا علَماً عليها بحلب ... لا أقول هذا فخراً وإعجاباً واستعلاءً ... لا والذي خلق السموات والأرض ... إنما أحرجتَني فاضطُرِرْتُ إلى تعداد نِعم الله عليّ... الذي وفقني والحمد لله بها إلى خير القول والعمل . وكنت أنت كذلك في دمشق ... وهكذا حتى سمعت بك ... فأسرعت أنا إلى لقائك ، والتعرّف عليك ، وضممت جهودي إلى جهودك ، واقترحت عليك : ألاّ نجعلها حبيسةً في دمشق وحلب ، بل يجب أن تعمَّ البلاد بأجمعها . فوافقتَ حفظك الله ، ثم بدأنا بالخطوة الأولى بالتعرف على علماء دمشق وزيارتهم كبهجة البيطار ، وحامد التقي وخالد جوجه وسائر من زرناهم كمظهر العظمة وغيره نعرض عليهم العمل على أساس هذه الدعوة ثم ذهبتُ إلى حماة فوحّدنا معهم العمل وإلى حمص كذلك ... وكذلك مع إخواننا في الجزيرة والرقة وأدلب ... وهكذا إلى أن أصبحت الدعوة السلفية ممثلةً في أكثر البلاد السورية . ثم تعدّت خطواتنا إلى خارج البلاد السورية فاتصلتُ بإخواننا في مصر والسعودية ، وأرسلتُ من اخواننا البعثاتِ العلمية إلى الرياض فتخرجتْ من معاهدها وكلياتها العلمية نماذجُ طيبة من الدعاة إلى الله يحملون شهاداتها العليا ثم عادوا إلى بلادهم يحملون العلم بالدعوة فنشروها عن علم ومعرفة وبصيرة .

وإنني أعترف بأنني قد أفدت منك ومن صحبتك العلمَ النافع ... بالاضافة

إلى ما استفدته وما تلقيته من العلوم من علماء المملكة العربية السعودية كالشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ والشيخ عبد اللطيف بن ابراهيم آل الشيخ والشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ عبدالله بن حميد والشيخ محمد عبد الرزاق حمزة . مما حبّب إليّ المطالعة الدائمة والكتابة والتأليف بما أحمد الله تعالى عليه، وهو أهل للحمد والشكر .

نعم ، هذه خطواتي بحلب فأنا ولا فخر مؤسس الدعوة السلفية فيها... ولا أرى أنا ، ولا يرى غيري في هذه التسمية شيئاً يمتّ في قليل أو كثير ، إلى ما ذهبتَ إليه ، وفيما أذهبتَ نفسك عناءً بالتمحُّل !!.. وتحميل الألفاظ ما لا تحتمل من المعاني والمفاهيم ... وإن كل من سمع بما قلت ... كانوا يستغربون فهمك هذا !!! وزعمك أن الله هو مؤسس الدعوة السلفية ...!!؟

يا سبحان الله ...!! أتأخذ عليّ أنني سميت نفسي بهذا الاسم أو اللقب.. وتزعم أن مؤسس الدعوة السلفيــة هو الله بلا دليل ولا حجة ، ولا تأخذ على نفسك أنت، أنك أضفت إلى الله تعالى إسماً جديداً ما سمّى به نفسه؟ وإن هذا العمل يعدّه علماء التوحيد ... إلحاداً بأسماء الله تعالى ... هــذا لا تأخذه على نفسك ... ولكن تجيد جداً اتّهام غيرك بما هو بريءٌ منه . إن قولك بأن الله تعالى مؤسس الدعوة السلفية قولٌ ما سبقك إليــه من أحدٍ من الأولين ولا الآخرين ... ولو أردتُ يا فضيلة الشيــخ .. أن أسلك سبيلك ، وأتمحّلُ تمحُّلاتـك لوجدت في حالك وقالك أمثلةً عديدة ... خذ مثلاً منهـا : أنك سميتَ نفسك أو سماك أبوك – لا أدري – بناصر الدين ... فمن بربـك ناصر الدين حقيقةً ... أأنت ...!!؟ أم هو الله تعالى وتقدس ، وإن اسم ناصر الدين هو أقرب معنىً ولفظاً إلى أسماء الله تعالى من لقب مؤسس الدعوة السلفية ... فما بالك ترى في عين أخيك ... ما لا تراه في عينك ..!!؟ .

ولكنني أعلم جيداً ... انك لما سميتَ نفسك بناصر الدين لم تقصدْ أنت

ولا أبوك رحمه الله أن تنازع الله في أسمائه الحسنى ... هذا ما أنا متيقن منه ولا شك ... وانني لأعلم إنما كانت تسميتك بناصر الدين تيمّناً بأنك ستكون إن شاء الله ناصراً لدين الله ، وعاملاً على نشره والدعوة إليه ، تلك النصرة التي هي من صفات المخلوقين لا من صفات الخالق سبحانه وتعالى. فهلاّ وجدتَ لأخيك عذراً - إذا كان هناك موجب للعذر - على افتراض أن ما زعمتَه وارد - ولو جدلاً - كما وجد لك عذراً في تسمية نفسك بناصر الدين ..!!؟

على أنك والله لأعلم مني ، بأن هذه التمحُّلات ... لا تبرىء صدراً من حقد ... ولا تشفي فؤاداً من غليل ...

نعم إذا أردنا أن نحاسبك على الألفاظ ، فإنك لتقع في نفس الحفرة ، التي حفرتها لأخيك - وقد وقعتَ - ويبقى أخوك واقفاً على حافتها يمد يده إليك لانتشالك منها ... كما يقضي بذلك الأخاء ، والود ، والوفاء .

وإنني لأستطيع ان أجد بين المسلمين من يقول ، بل وجميعاً يقولون : إن ناصر الدين هو الله تعالى وتقدس ، ولكنك لن تجد - ولو حرصت - ولا مسلماً واحداً ... حتى ولا نفسك الطيبة المؤمنة المطمئنة تقول: إن الله مؤسس الدعوة السلفية ، وأعود فأذكّرك ولا أعلمك : ان تأسيس الدعوة السلفية من صفات المخلوقين لا من صفات الخلاق العظيم .

إذا كان الله مؤسس الدعوة السلفية ... فهل هو أيضاً خادمها !!؟ :

وإذا وافقناك جدلاً، في وصف الرب سبحانه وتعالى وتقدس ، أنه مؤسس الدعوة السلفية ، فهل هو أيضاً خادمها ؟ ألا يكفي وجود لفظ « وخادمها » كي تنفي عن مخيلتك ... ما ذهبتَ إليه ...؟ عفا الله عنك وسلكنا واياك صراطاً مستقيماً .

٤ً – تأسيس الدعوة إلى الله تقرب إليه تعالى وليس شركاً أكبر به !!! :

ثم قلت – تجاوز الله عن زلاّتك – : « ولهذا فادعاء إنسان مهما علا وسما تأسيس هذه الدعوة الإلهية المباركة إنما هو في الحقيقة خطأ جسيم ، وجرم بليغ، هذا إذا لم يكن شركاً أكبر والعياذ بالله تعالى . »

ج – : كنت أسمع منك كلمةً وما زلت أذكرها : « أثبتِ العرشَ ثم انقش » وأنا أقول : أثبت دعواك بأن الله مؤسس الدعوة السلفية أولاً ... ثم انقش عليها بعد ذلك ، بأنّ من يدعي تأسيسها من دون الله يكون قد أشرك به الشرك الأكبر، وإن ما تظنه صحيحاً في نظرك ... لا يلزم أن يكون كذلك في نظر الناس ؛ فدع يا هداك الله احتمالاً ولو بنسبة ضئيلة جداً لوجود الخطأِ في قولك ، حتى تؤمّن خط الرجعة ... فلا تتورط بالجزم بقول .. قد تضطر بعد قليلٍ إلى التراجع عنه . ودع عنك تصنيف الناس إلى خالقهم وتقوّلك : هذا مخطىء خطأ جسيماً ، وذا مجرم جرماً بليغاً وذاك مشرك شركاً أصغر ، وذلك مشرك شركاً أكبر!! فهذا دعه يا رعاك الله لرب الناس يحكم على عباده بما يشاء ... من يصدق من الناس .. أنك تكفّر أخـــاك / نسيباً / !!؟ وترميه بالشرك الأكبر ! لا لشيء ... إنما لاجتهاد خاطىء تورطْتَ فيهِ ... بعد أن صدر كتابُك حاملاً إلى أخيك سهامـــاً ، استقرت في عضده ، ورأيت الدم البريء ينزف من جرحٍ يا ليت عدواً غرزه فيه ... إذاً لابتسم ... هذا الدم الذي طفق يخط على الأرض: أود أن ألقى الله مظلوماً لا ظالماً...أهكذا غدونا نحن السلفيين ..!!؟ يرمي بعضُنا بعضاً بالشرك الأكبر ؟!! ولا أدري استجابة لمن ..؟ بعد أن كنّا يداً واحدة على الشرك وأهله .. هذا الشرك الذي ما يزال يعصب رأسه من جراح عميقة ثخينة ... غرزها فيه أهل التوحيد بالأمس ... فانتقم الشرك البغيض ، لا بيد أهله وذويه ولا بيد عصابته التي تؤويه ، إنمـــا استعار يداً عزيزةً مؤمنة كريمة موحِّدة...طعنت أخاً مؤمناً كريماً موحداً..

سامحها الله وغفر لها ...

٥ً – : ثم قلتَ عفا الله عنك « ... هذا وقد تصفحنا الكتاب المشار إليه على عجل ... فوجدنا فيه بعض الأخطاء ننبه على بعضها ... فمنها أنه قال في صفحة ٢٤٥ أن في سند هذا الحديث (أي حديث الرجل الذي كان يختلف إلى عثمان بن عفان في حاجة له) رجلاً اسمه / روح بن صلاح / إنما هو علة الحديث الثالث كما سيأتي ... »

ج – : نعم إن قولك هذا حق ، فإن علة الحديث ليست روح بن صلاح كما قلتَ ، ولكن سبقك بهذا التنبيه فضيلة الشيخ اسماعيل الأنصاري وذلك على أثر إهدائي إليه نسخةً من كتابي التوصل إلى حقيقة التوسل ، فبعد أن اطلع عليه وقرأه صفحةً صفحة جزاه الله خيراً أثنى على الكتاب ، وعلى المجهود الذي صرف من أجله ثم استدرك فقال . إنما لاحظت في تخريجك لحديث الرجل الذي كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجة له.../ أنك اعتمدت قول السهسواني الهندي رحمه الله بأن فيه رجلاً هو / روح بن صلاح/ وليس هذا صواباً من السهسواني ، لأن / روحاً / هذا ليس علة الحديث ، إنما هو : شبيب ابن سعيد الحبطي كما ذكر ذلك شيخ الاسلام أحمد بن تيمية رحمه الله . ثم قال جزاه الله خيراً : إن كتابك لا يضيره ما بينتُه لك... وأسأل الله سبحانه أن يجزيك خيراً بما وفقك الله إليه من الدفاع عن العقيدة السلفية الطيبة ، ثم كتب لي كلمة في تقريظ الكتاب جاء في بعض فقراتها : « ... ثم بعد شيخ الاسلام ابن تيمية لم أطلع على من اعتنى بجمع كل ما يتعلق بموضوع التوسل في كتاب خاص كما اعتنى به الأخ الشيخ محمد نسيب الرفاعي ، فقد أفرده بكتابٍ سمّاه / التوصل إلى حقيقة التوسل / ... » إلى آخر ما جاء في تقريظ فضيلة الشيخ اسماعيل الانصاري البحاثة في علوم الحديث في الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد بالرياض .

ثم لما وصلني كتابك –لا من طريقك..!!؟ – إنما من طريق سماحة الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد الشيخ عبدالعزيز بن باز حفظه الله ورعاه ، الذي رغب إليّ بالاطلاع عليه وبيان الرأي فيه ... فرأيت فيه ملاحظتك على كتابي . فإنه وإن سبقك بهـــا فضيلة الشيـخ اسماعيل الأنصاري ، إلا أنني لا يسعني إلاّ أن أشكرك أيضاً .. على مجهودك .. في بيان واقـع هذا الحديث جزاك الله خيراً ، وانني لا أتأخر عن واجب الشكر لمن أهدى إليّ عيوبي .. في أي قالب كان ..!!؟ ولكنني أذكر يا أستاذ ... أنني سئلتُ عنه بحضورك في إحدى جيئاتِك إلى حلب...فأجبتُ : إن في سند هذا الحديث رجلاً اسمه / روح بن صلاح / ثم التفت إليك مستفسراً عن صحة مـا أقول... فقلتَ : نعم . ثم طلبتَ كتاب « صيانة الانسان ... » للشيخ بشير السهسواني الهندي رحمه الله فقلّبتَ صفحاتِه...فتوقفتَ عند إحداها وقلت : أنظر واقرأ ... فإذا علة الحديث / روح بن صلاح / تعني أنك تثبت صحة قولك : نعم ... مستشهداً على ذلك بما جاء في كتاب « صيانة الانسان » كما ذكره فيه ، مؤلفه السهسواني رحمه الله ... فحفظتُ هذا ... متيقناً من صحة هذا التخريج ... من أن علة الحديث هو / روح بن صلاح / لا سيما وقد حظي بموافقتك ... كقولهم : (ووافقه الذهبي ...)

ثم لما ألّفتُ كتابي ، ذكرتُ فيه – عندمـــا وصلتُ إلى نقاش هذا الحديث ... أن علّته هو / روح بن صلاح / وهذا ما يؤكد تأكيداً تاماً أنه لا يجوز الاعتماد على أحد في تصحيح أي حديث مّا ... ما لم تبحث بنفسك عن مظانّ وجوده في كتب الجرح والتعديل، وجهابذة أهل هذا الفنّ الجليل.. وكنتُ متيقناً وما زلت .. أنك والسهسواني رحمه الله منهم ، ولا يمنع صدور بعض الأخطاء منكما...ألاّ تكونا منهم إذ [كل ابن آدم خطّاء وخير الخطائين التوابون].

اللهم تبنا إليك يا رب العالمين [اللهم اغفر لي خطئي وعمدي ، وهزلي

وجدي ... وكل ذلك عندي...] ولولا الأخطاء ما تعلم المتعلمون ... وانني على كل حــال .. أعود فأشكرك على تنبيهك لي .. وإن كان لك نصيب وافر ... تشترك معي فيه بالنسبة لموافقتك، على صحة تخريج الحديث، من قبل السهسواني رحمه الله في كتابه المذكور وقوله فيه ، أن علة الحديث هو « روح ابن صلاح » ولولا موافقتك تلك ... لما قلتُ في الحديث ما قلتُ ... ولست بقولي هذا ، محاولاً التنصّل من المسؤولية ... لا ، إنما أذكـّرك بأن لك شراكةً ... ونصيباً من هذه المسؤولية معي ... عفا الله عنـّا جميعاً بعفوه ومنـّه وكرمه .

٦ً — : « مالك الدار » في نظر الشيخ ، غير معروف العدالة والضبط !! :

ثم قلتَ هداك الله : تحت عنوان : أثران ضعيفان :

١ً — : «أثر الاستسقاء بالرسول ﷺ بعد وفاته صفحة / ١١٦ / «...وبعد أن فرغنا من إيراد الأحاديث الضعيفة في التوسل ، وتحقيق القول فيها .. يحسن بنا أن نورد أثراً كثيراً ما يورده المجيزون لهذا التوسل المبتدَع ، لنبين حاله من الصحة والضعف ، وهل له علاقة بما نحن فيه أم لا ؟ فأقول : قال الحافظ في الفتح جزء ٢ ص ٣٩٧ ما نصه : »

« روى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح من رواية أبي صالح السمان،عن مالك الدار – وكان خازن عمر– قال : أصاب الناسَ قحط في زمن عمر، فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ فقال : يا رسول الله : استسقِ لأمتك ، فإنهم هلكوا فأتى الرجلَ في المنام فقيل له : إئت عمر ... الحديث وقد روى / سيف/ في الفتوح أن الذي رأى المنـام المذكور هو بلال بن الحارث المدني أحـد الصحابة « اهـ قلتُ/ : والجواب من وجوه : »

« الأول : عدم التسليم بصحة هذه القصـة ، لأن مالك الدار غير معروف

العدالة والضبط ، وهذان شرطان أساسيان في كلّ سند صحيح كما تقرر ذلك في علم المصطلح . »

وقد أورد ابن أبي حاتم في / الجرح والتعديل / (٢١٣/١/٤ /) ولم يذكر راوياً عنه غير أبي صالح هذا . . . ففيه أشعار بأنه مجهول ، ويؤيده أن ابن أبي حاتم نفسه – مع سعة حفظه واطلاعه – لم يحكِ فيه توثيقاً فبقي على الجهالة ولا ينافي هذا القول قول الحافظ « ... بإسنادٍ صحيح من رواية أبي صالح السمان ... » لأننا نقول : انه ليس نصاً في تصحيح جميع السند ، بل إلى أبي صالح فقط . ولولا ذلك ، لما ابتدأ هو الإسناد من عند أبي صالح ، ولقال رأساً: « عن مالك الدار وإسناده صحيح » لكنه تعمّد ذلك ، ليلفت النظر إلى أن ها هنا شيئاً ينبغي النظر فيه ، والعلماء إنما يفعلون ذلك ، لأسباب منها : أنهم قد لا يحضرهم ترجمة بعض الرواة ، فلا يستجيزون لأنفسهم حذف السند كله لما فيه من إيهام صحته ، لا سيما عند الاستدلال به ، بل يوردون منه ، ما فيه موضع للنظر فيه . وهذا هو الذي صنعه الحافظ رحمه الله هنا ، وكأنه يشير إلى تفرد أبي صالح السمان عن مالك الدار ، كما سبق نقله عن ابن أبي حاتم ، وهو يميل بذلك إلى وجوب التثبت من حال مالك هذا ، أو يشير إلى جهالته والله أعلم . »

« وهذا علم دقيق لا يعرفه إلا من مارس هذه الصناعة . ويؤيد ما ذهبتُ إليه أن الحافظ المنذري أورد في الترغيب ج ٢ / ص ٤١ – ٤٢ / قصة أخرى من رواية مالك الدار عن عمر ثم قال : رواه الطبراني في الكبير ورواته إلى مالك الدار ثقات مشهورون ، ومالك الدار لا أعرفه . وكذا قال الهيثمي في مجمع الزوائد / ج / ٣ ص ١٢٥ / » وقد غفل عن هذا التحقيق صاحب كتاب التوصل ص / ٢٥١ / فاغتر بظاهر كلام الحافظ ، وصرح بأن الحديث صحيح ، وتخلص منه بقوله « فليس فيه سوى جاء رجل ... » واعتمد على أن الرواية التي فيها تسمية الرجل ببلال بن الحارث فيها / سيف / وقد عرف حاله . » اهـ

« وختمتَ كلامك بالنسبة لهذا الموضوع ، أي موضوع الكلام عن مالك الدار بقولك: «هذا لا فائدة كبرى فيه –أي من قولي : « فليس فيه سوى جاء رجل»–بل الأثر ضعيف من أصله ، لجهالة مالك الدار كما بيناه » .

شهادة كبار علماء الحديث بأن مالك الدار ليس مجهولاً ... :

ج – ليس لي أية مصلحة في مناقشة الخصوم، في كتابي / التوصل إلى حقيقة التوسل / في تحقيق صحة القصة ... بل على العكس فالتصحيح أمر لا أبحث عنه ولا أرغبه ... لأنني أعالج في كتابي رده وتضعيفه نهائياً لأنه بنظري حديث ضعيف لا من جهة أن فيه مالك الدار، إنما ضعفته من جهة أن الذي جاء قبر الرسول ﷺ في تلك الرواية ... رجل لم يسمَّ . فهو إذاً مجهول. أما الرواية التي فيها : أن ذلك الرجل هو بلال بن الحارث الصحابي ... فليست ثابتة كما بيّنا ذلك في كتابنا / التوصل إلى حقيقة التوسل / ولذا فقد أصبح الحديث ضعيفاً ، وإنك ولا شك تقرُّني من ناحية تضعيف الحديث . من هذا الوجه ، فضلاً عن وجود مالك الدار الذي زعمت أن فيه جهالة أو كما قلتَ: « غير معروف العدالة والضبط وهذان شرطان أساسيان في كل سند صحيح ... » أما أنا فأقول : حتى ولو ثبتت عدالة وضبط مالك الدار فإن الحديث ضعيف لأن هذا الرجل الذي جــاء القبر رجل مجهول ... وانني أترسم خطاك في قولك آنفاً : « وتقتضينا الأمانة العلمية ، والنصيحة الدينية ، وقول كلمة الحق أن قولك في مالك الدار أنه غير معروف العدالة والضبط ليس مسلّماً فيه.. وهاك ما يقوله الحافظ ابن حجر في كتابه « الإصابة في تمييز الصحابة » الجزء / ٣ / ص / ٤٦١ / رقم : ٨٣٥٨ / في ترجمة مالك الدار أنقلها بالحرف الواحد :

(١ً – : (مالك) بن عياض مولى عمر هو الذي يقال له – مالك الدار– **له إدراك** ، وسمع من أبي بكر الصديق، وروى عن الشيخين،ومعاذ ،

وأبي عبيدة . روى عنه أبو صالح السمان ، وابناه : عون ، وعبد الله ابنا مالك .

٢ً – : وأخرج البخاري في تاريخه من طريق أبي صالح ذكوان عن مالك الدار : أن عمر قـــال في قحوط المطر : يا رب لا آلو إلاّ مـــا عجزت عنه

٣ً – : وأخرجه ابن خيثمة من هذا الوجه مطوّلاً ... قال : أصاب الناسَ قحطٌ في زمن عمر ، فجاء رجل إلى قبر النبيّ ﷺ في المنام ، فقال له : إئت عمر فقل له إنكم ستسقَوْن فعليك الكفـّيْن . قال : فبكى عمر وقال : يا رب ما آلو إلا ما عجزت عنه .

٤ً – وروينا من فوائد داود بن عمر الضبي جمع البغوي من طريق عبد الرحمن ابن سعيد بن يربوع المخزومي عن مالك الدار قـــال : دعاني عمر بن الخطاب يوماً ، فإذا عنده صرّةٌ من ذهب فيها أربعمأة دينار فقال : إذهب بهذه إلى أبي عبيدة فذكر قصته ..

٥ً – : وذكر ابن سعد في طبقاته : **أن مالك الدار في الطبقة الأولى من التابعين في أهل المدينة** قال : روَى عن أبي بكر ، وعمر ، وكان معروفـــاً .

٦ً – : وقال أبو عبيدة : ولاّه عمر وكَـلَـةَ عياله ، فلما قدم عثمان ولاّه القَـسْمَ ، فسمّي مالكَ الدار .

٧ً – وقال اسماعيل القاضي عن علي بن المديني : كان مالك الدار خازنـــاً لعمر . ا.هـ كلام ابن حجر العسقلاني في الإصابة .

. . .

وقال الذهبي في تاريخ الاسلام الكبير ج ٣ ص ٦٩ : « مالك بن عياض المدني ويعرف بمالك الدار ، سمع من أبي بكر وعمر ومعاذ بن جبل. وروى عنه ابناه : عون وعبدالله . وأبو صالح السمان ، وعبد الرحمن بن سعيد بن يربوع . وكان خازناً لعمر » . ا.هـ. كلام / الحافظ الذهبي /

. . .

قلتُ :

يتضح مما تقدم من ترجمة مالك الدار أن الرجل ليس كما وصفته فقلتَ : « فيه جهالة ، وغير معروف العدالة والضبط »

وكان من وصفك له : أن حكمت على حديثه ، بأنه غير صحيح ... ولكن تبين أن الرجل معروف وقد سمع من أبيبكر وعمر وعثمان وأبي عبيدة ومعاذ ابن جبل رضي الله عنهم حتى ان الحافظ ابن حجر أول ما ذكر من ترجمته قال : « له إدراك » أي فيه مظنة إدراك صحبة ... وإلا لما ترجمه في جملة من ذكر من تراجم الصحابة ، في كتابه : الإصابة في تميز الصحابة .

ثم رأيتَ ما قاله البخاري فيه وابن خيثمة ، وداود بن عمر الضبي في فوائده ، وابن سعد في طبقاته ، والذهبي في تاريخ الإسلام الكبير في ترجمة مالك الدار مما يتأكد أنه ليس مجهولاً ، لا كما قلت : غير معروف العدالة والضبط ...

٧ً – : ثم قلت : « أورده ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل / ١٤ / ١/٢١٣ ولم يذكر راوياً عنه غير أبي صالح السمان هذا ... ففيه اشعار بأنه مجهول . ويؤيده ابن أبي حاتم نفسه – مع سعة حفظه واطلاعه – لم يحك فيه توثيقاً فبقي على الجهالة . »

لم يشترط ابن أبي حاتم : أن من كان معروفاً من قبل واحد فقط يكون مجهولاً :

ج - كيف تقول هذا هنا ... مع أنك ذكرت - حفظك الله - في الجزء الأول من مؤلفك : « سلسلة الأحاديث الضعيفة ص ١٣٤ ما نصه : « ابن أبي حاتم رحمه الله قد نص في أول كتابه على أن الرواة الذين أهملهم من الجرح والتعديل ، إنما هو لأنه لم يقف فيهم على شيء من ذلك ، فأوردهم رجاء أن يقف فيهم على الجرح والتعديل فيلحقه بهم » ا.هـ كما ذكرت ج ٣ ص ٨٣ نص ابن أبي حاتم في مقدمة الجزء الأول من الجرح والتعديل: ق ١ ص ٣٨ وهو : « على أنا ذكرنا أسامي كثيرة مهملة من الجرح والتعديل كتبناها ليشتمل الكتاب على من روي عنه العلم رجاء وجود الجرح والتعديل فيهم ، فنحن ملحقوها بهم بعدُ إن شاء الله » إذاً ... فعدم ذكر رواةٍ عن مالك الدار إلاّ أبو صالح السمان لا يفيد أن مالك الدار مجهول، بل هو من جملة الذين توقف فيهم ابن أبي حاتم ، رجاء أن يقف فيهم على الجرح والتعديل ، فيلحقه بهم بعدُ إن شاء الله. وان عدم حكاية ابن أبي حاتم توثيقاً في مالك الدار ، لا يفيد أن مالك الدار مجهول . ثم من أين علمت ان ابن أبي حاتم نصّ على أن من لم يذكر له إلا راوياً واحداً يعتبر عنده مجهولاً ...؟ حتى تتم لك يا أستاذ دعواك بأن عدم ذكره راوياً عن مالك الدار غير أبي صالح السمان يبقى على الجهالة ...؟! / حتى وعلى فرض أن ابن أبي حاتم لم يذكر عنه ولا راوياً واحداً لا يفيد أن ابن أبي حاتم يقول فيه مجهولاً ، بل هو متوقف فيه لعلّه يرى له رواةً ، فيلحقهم به . كما ذكر هو آنفاً . ثم هب أيضاً أن ابن أبي حاتم ما ذكر ، ولا رأى له رواةً طوال حياته ... فماذا يعني ...؟ هل يعني أن الرجل مجهول مطلقاً ...؟ لا ... إنما كل ما في الأمر ... أنه عند ابن أبي حاتم مجهول . ولا يلزم إذا كان مجهولاً عند ابن أبي حاتم أن يكون كذلك عند الجميع ... فقد يكون مجهولاً عنده ، ومعروفاً عند غيره ، كما ثبت ذلك تماماً .. والواقع .. أنه روى عن مالك الدار لا واحد فقط ... إنما روى عنه أربعة ، وهم :

أبو صالح السمان واسمه ذكوان، وابناه : عون، وعبدالله ابنا مالك، وعبدالرحمن ابن سعيد بن يربوع المخزومي ... فهل يكون مالك الدار مجهولاً بعد هذا ..؟! قال الخطيب البغدادي وغيره : وترتفع الجهالة عن الراوي بمعرفة العلماء له ، أو برواية عدلين عنه . وكذلك فقد سمع من : أبي بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان ، وأبي عبيدة ، ومعاذ بن جبل رضي الله عنهم فأين تكمن الجهالة التي زعمتها في مالك الدار ...؟ لا سيما وأن فيه مظنة صحبة ...! قد تثبت ، وقد لا تثبت ، طالما قال ابن حجر فيه ... « له إدراك » . وقال عنه ابن سعد في طبقاته : « إن مالك الدار في الطبقة الأولى من التابعين في أهل المدينة ، وكان معروفاً »

إذا كان الشخص مجهولاً عند بعض ... فلا يلزم أن يكون كذلك ... عند البعض الآخر :

٨ً - : ثم قلتَ - هداك الله - : « ويؤيد ما ذهبتُ إليه : أن الحافظ المنذري ، أورد في الترغيب - ٢/٤١-٤٢ / قصةً أخرى من رواية مالك الدار عن عمر ، ثم قال : رواه الطبراني في الكبير ، رواته إلى مالك الدار ثقات ، ومالك الدار لا أعرفه ، وكذا قال الهيثمي في مجمع الزوائد ، - ٣/ ١٢٥ »

ج - : لا يلزم أيضاً ، من قول كلٍ من المنذري ، والهيثمي في مالك الدار : « لا أعرفه » أن يكون مجهولاً عند غيرهما ... وعندما يكون معروفاً ممن ذكرنا ... لا يضره قولها فيه « لا نعرفه » ولا يكون مجهولاً ... ولو قدّر لهما أن يطلعا على من عرّفه ... لقالا - اعتماداً على من يَعْرِفُه - : هو معروف وثقة ... ثقةً بمن ظهر أنه معروف عندهم ... فلا يقولان بعد ذلك ... لا نعرفه .

الحمد لله على « غفلتي ... » و « اغتراري ... »

٩ً – ثم قلتَ عني – سامحك الله – « وقد غفل عن هـذا التحقيق ... صاحب كتاب « التوصل ... » فاغتر بظاهر كلام الحافظ »

ج – أقول وبالله المستعان : الحمد لله على مـا قدّر لي من « غفلة ... » عن هذا التحقيق ... وإلاّ أكون قد وقعت بأخطاء بمثل ما وقعتَ فيه أنت من أخطاء ، في ذلك التحقيق ..!!

كما أحمده تعالى على ما قدّر لي أيضاً من « اغترارٍ .. » بظاهر كلام الحافظ أمير المؤمنين بالحديث . وأكرر الحمد والشكر والثناء عليه تعالى ، الذي ألهمني مراجعة : « الإصابة » حتى أقع والحمد لله على الإصابة في التحقيق عن مالك الدار بما تأكدتُ به من الحافظ رحمه الله أن مالك الدار ليس مجهولاً كما زعمت ، بل هو معروف من قبل أكابر الصحابة ، وغيرهم .

قلت ... وما أزال أقول ... إنني لست حريصاً أبداً ، على أن يكون هذا الحديث أو القصة على جانب ولو ضئيل جداً من الصحة ... لأنني في مقام الردّ على من يصحّحها ... ولذا فقد ضعفتُها ، **من أجل أن الرجل الذي جاء القبرَ ... لم يثبت أنه بلال بن الحارث رضي الله عنه** ، لأن الرواية التي تقول: إنه بلال بن الحارث... فيها : / سيف / بن عمر الضبي وهو ضعيف، ومتروك، ومتّهم بالزندقة فانتفى أن يكون الرجل الذي جـاء القبر ... هو بلال بن الحارث ... وبقي الرجل الذي جاء القبر غيرَه... ولكنه لم يسمَّ حتى يُعرفَ من هو ، فمن هذا الوجه جاء تضعيفي للحديث ... لا سيما وان الحديث الذي أورده الحافظ جاء فيه : « أنه جاء رجل » ولم يسمَّ ، فبقي على جهالته...التي هي سبب ضعف الحديث ، فصار تضعيفي إياه من كلا الطريقين .

ثم جئت أنتَ .. سامحك الله – تتّهمني بتصحيح الحديث !! فكيف

أصححه في الوقت الذي أحرص على ردّه ، والردّ على من يُصحّحه ..؟! إنما قلتُ ... ما قاله الحافظ ابن حجر : « صحيح السند من رواية أبي صالح عن مالك الدار » وحاولتَ أنتَ أن تضعّف السند من جهة مالك الدار الذي ذهبتَ إلى تجهيله ...

ثبوت تضعيفي للحديث من جهالة من جـــاء القبر ... وبطلان تضعيفك لجهالة مالك الدار :

١٠ – : ثم ختمت كلامك عن هذا الحديث ... بقولك : « وهذا ... » أي قولي المتقدم بشأن الحديث : « فليس فيه سوى جاء رجل ... » واعتمادي على أن الرواية التي فيها تسمية الرجل ببلال بن الحارث فيها / سيف / وقد عرف حاله ... قلتَ « لا فائدة كبرى فيه بل الأثر ضعيفٌ من أصله لجهالة مالك الدار كما بيّناه »

ج – فأقول : نعم انك ما رأيت كبير فائدة ، في تضعيفي الحديث من جهة جهالة من جاء القبر ، إنما ضعفتَه من جهة مالك الدار لجهالته فيما وصل إليه اجتهادك ... وثبت – كما تقدم – أن مالك الدار لم يكن مجهولاً ... فانتفى أن يكون مالك الدار علة الحديث لجهالته ، بل ثبت أنه معروف من أكابر الصحابة وغيرهم ... وأن زعمك : « بأن الأثر ضعف من أصله لجهالة مالك الدار ... » قد انهار ... وما أدري إذا كنت ستضطر اضطراراً إلى تضعيفه من جهة جهالة من جاء القبر ... فيكون لقولي « فائدة كبرى فيه ... ، لا كما قلت... ويظهر لك انني مـا صحّحتُ الحديث كما قلتَ ، بـل ردَدْتـُه ، ردَدْتُ على من يصحّحُه ... ثم إن الخطأ الذي حرصتَ أن تُلحقَه بكتابي ... ظهر أيضاً أنه ليس خطأ...بل هو الصواب... إنما كان الخطأ من قِبلك !! بسبب تجهيلك مالكَ الدار ، الذي تبيّن أنـه معروفُ العدالة والضبط لا سيما وفيه مظنّة صحبة...

النقول عن أهل الجرح والتعديل شأن المحدثين عموماً

١١ - لقد قلتَ في كتابي ما قلتَ ... ثم لما سألك عنه بعض الإخوان بحلب : إذا كنت تجد فيه من خير ... فقلت : إنه « نُقـُول » استصغاراً لشأن الكتاب ، واستهتاراً به .. فلماذا ..!!؟ ان مناقشتي لبحث التوسل المشروع بكامله .. ومناقشة بحث التوسل الممنوع وما جاء فيها من معالجة متون أحاديثه التي أوردها الخصوم ... أتحدّى أياً كان ... إذا كان يستطيع أن يثبت إنني نقلت حرفاً واحداً من أي كتاب ، أما مناقشة أسناد الأحاديث الواردة في التوسل الممنوع ... فلا شك أنها « نقول... » عن كتب الرجال ، وعن مؤلفات أهل الجرح والتعديل ... وإنني أجزم وأقطع بأنه لا يوجد أحد لا في هذا العصر ، ولا قبله ... يستغني عن الرجوع إلى تلك النقول ... وهل تستطيع أنت أن تخرّج حديثاً واحداً ، دون الاستعانة بتلك النقول ... أو من حفظك عن تلك النقول ..؟ وإلا فما معنى وجود مكتبتك في بيتك، ومكتبات العلماء في بلاد الدنيا ، قل لي بربك : هل من عالم ما في أي فن يستغني عن النقول من غيره في الموضوع الذي يؤلفه ..؟ فإذا كان في النقل عار أو شنار فلست أنت المبرّأ الموفور ..!!؟ إن انتاجي وانتاج غيري من الإخوان كان يجب أن يفرحك ، ويكون مبعثَ حمدٍ لله وشكرٍ في كل آن ... فلا تُضيّعْ أجركَ بما يضيق به صدرُك... وافرح بما غرستَ فليس أشهى على قلب آكلٍ ثمرةً.. من ثمرةٍ هو باذرها ... لا تخف ... لسنا بالغين شأوك ، ولا مزاحمين فضلك ، ولا منازعيك منزلتك الرفيعة ... وطبْ قلباً ونفساً ، وافتح صدرك ... ولا تبتئسْ من نجاح بعض إخوانك ... وتلطّف ببيان ما تراه من (القصور ...) بلسان يسيل منه ذوبُ العسل... لا بكلام أمرَّ من نقيع الحنظل..! ثم ما كان يضيرك يا أخي لو عرضت عليَّ - قبل الطبع - ملاحظاتك على كتابي، وقدمتها لي كنصيحة أخ لأخ ..؟ إذاً لأرسلت إليك رأيي فيها ...فإن اقتنعتَ به ... وإلا فإن الطبع والتكفير والتشهير... لديك متسع من الوقت للحصول عليها...

في كل زمن ، فتستدرك ما فاتك مما تحب ..!!؟

وأمّا ما رميتني به جميعاً ... من الشرك الأكبر ، والغفلة ، والاغترار ، وحب الظهور والتفاخر والادّعاء.. فلا أدري إذا كنت قد ندمت على تسرّعك هذا ... لأنك تعلم علم اليقين أنك ظلمتني ... وأظنك قد ندمت – والندم توبة – فإنني أصفح وأعفو وليس هذا بعزيز على أخ حبيب لأخ حبيب ، رفقاء ربع قرن في الدعوة إلى الله ... وإلاّ ... فسأحتفظ لنفسي بحق مقاضاتك أمام أحكم الحاكمين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم .

محمد نسيب الرفاعى
مؤسس الدعوة السلفية وخادمها بحلب

مصادر الكتاب

القرآن الكريم
المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي
تفسير ابن كثير للحافظ ابن كثير
تفسير القرطبي
تفسير الصنعاني لموسى بن عبد الرحمن الصنعاني
تفسير ابن جرير الطبري
تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير لمحمد نسيب الرفاعي
صحيح البخاري
صحيح مسلم
سنن أبي داود
سنن الترمذي
سنن النسائي
سنن ابن ماجه
موطأ مالك
مسند أحمد
مسند الحسن بن سفيان
سنن الدارمي
سنن البيهقي

شعب الايمان للبيهقي
سنن الدارقطني
مستدرك الحاكم
المدخل للحاكم
النبلاء للحاكم
صحيح ابن حبان
جامع الأصول لابن الأثير
الطبراني الكبير
مصنف ابن أبي شيبة   عبد الرزاق بن أبي شيبة
شرح شواهد المغني للسيوطي
فتح الباري شرح صحيح البخاري   لأبن حجر العسقلاني
شرح صحيح مسلم للنووي
تهذيب التهذيب   لأبن حجر العسقلاني
تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني
كتاب الموضوعات لأبي الفرج ابن الجوزي
ميزان الاعتدال للذهبي
الجرح والتعديل لابن أبي حاتم
لسان الميزان لابن حجر
نصب الراية للزيلعي
مجمع الزوائد للهيثمي
عمل اليوم والليلة لابن السني
فضائل الأعمال للأصبهاني
الأذكار لمحي الدين النووي
شرح الأذكار لابن علان
فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية

قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لشيخ الأسلام ابن تيمية
الصراع بين الاسلام والوثنية للقصيمي
صيانة الانسان عن وسوسة الشيخ دحلان للشيخ بشير السهسواني الهندي
إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم
إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان « «
تبعيد الشيطان بتقريب إغاثة اللهفان
شرح العقيدة الطحاوية . . . .
كتاب التوحيد حق الله على العبيد لإمام الدعوة المجدد شيخ الاسلام
محمد بن عبد الوهاب
قرة عيون الموحدين للشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب
فتح المجيد شرح كتاب التوحيد « « « « « « «
جلاء العينين لخير الدين الحنفي
الدر المختار
شرح المختار
شرح التنوير للعلائي
شرح كتاب الكرخي للقدوري
التتارخانية
المنتقى
تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة للمراغي
مصنف الفتوح والردة
الأنساب للزبير بن بكار
اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير
السيرة المطولة لابن كثير
وفيات الأعيان لابن خلكان
تاريخ الاسلام الكبير للذهبي

الصارم المنكي في الرد على السبكي لابن عبد الهادي
سيرة ابن هشام
شرح الاحياء للزبيدي
خلاصة الوفا للسمهودي
كتاب الشامل لابي منصور الصباغ
شفاء السقام للسبكي
الخيرات الحسان لابن حجر المكي
الصواعق المحرقة » »
الجوهر المنظم
الدر المنظم
ذخائر العقبى في مناقب القربى
مجمع الأحباب لطاهر بن هاشم باعلوي
الفتوحات المكية لابن عربي
الدرر السنية في الرد على الوهابية للدحلان
صحاح الجوهري
القاموس المحيط
المصباح

الفهرس

طبع على مطابع
دار لبنان
للطباعة والنشر
بيروت - ص.ب ٥٦٢٠ - هاتف ٢٩٣٠٤٢